الغزو اليوناني لبلاد الرافدين
(٣٣١ – ١٢٦ ق.م)

رسالة تقدم بها
محمد الأسعد بن بو بكر الحفصي

إلى
مجلس كلية الآداب
في جامعة الموصل

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير
في التاريخ القديم

بإشراف الأستاذ الدكتور
عامر سليمان إبراهيم

رجب ١٤٢٤ أيلول ٢٠٠٣

GREEK INVASION TO MESOPOTAMIA
(331 - 126 B.C)
THESIS SUBMITTED

By

MOHAMED LASSAD BN BOUBAKER HAFSI

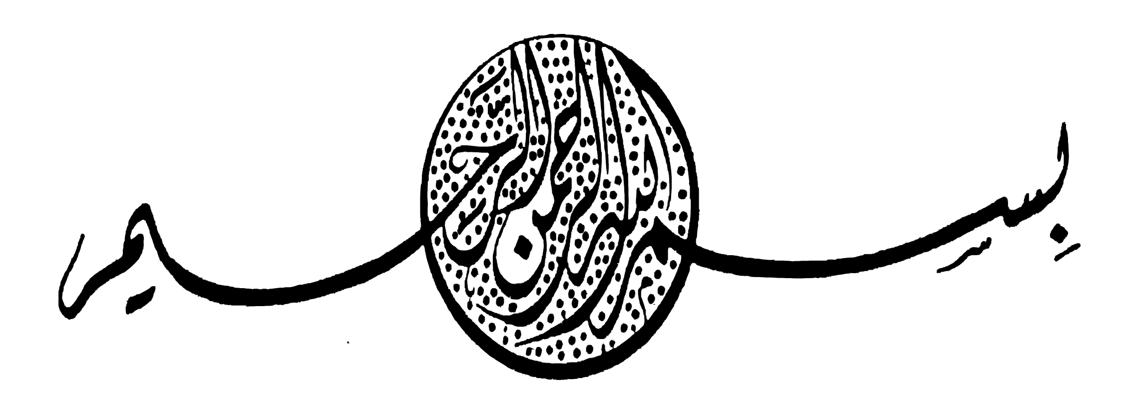
To
The Council of The College of Arts
University of Mosul

In Partial Fulfillment of The requirements for The Degree of Master of Arts

In
Ancient History

Supervised by
PROF: AMER SULAIMAN IBRAHIM

Sep/ 2003 **Rajab 1424**

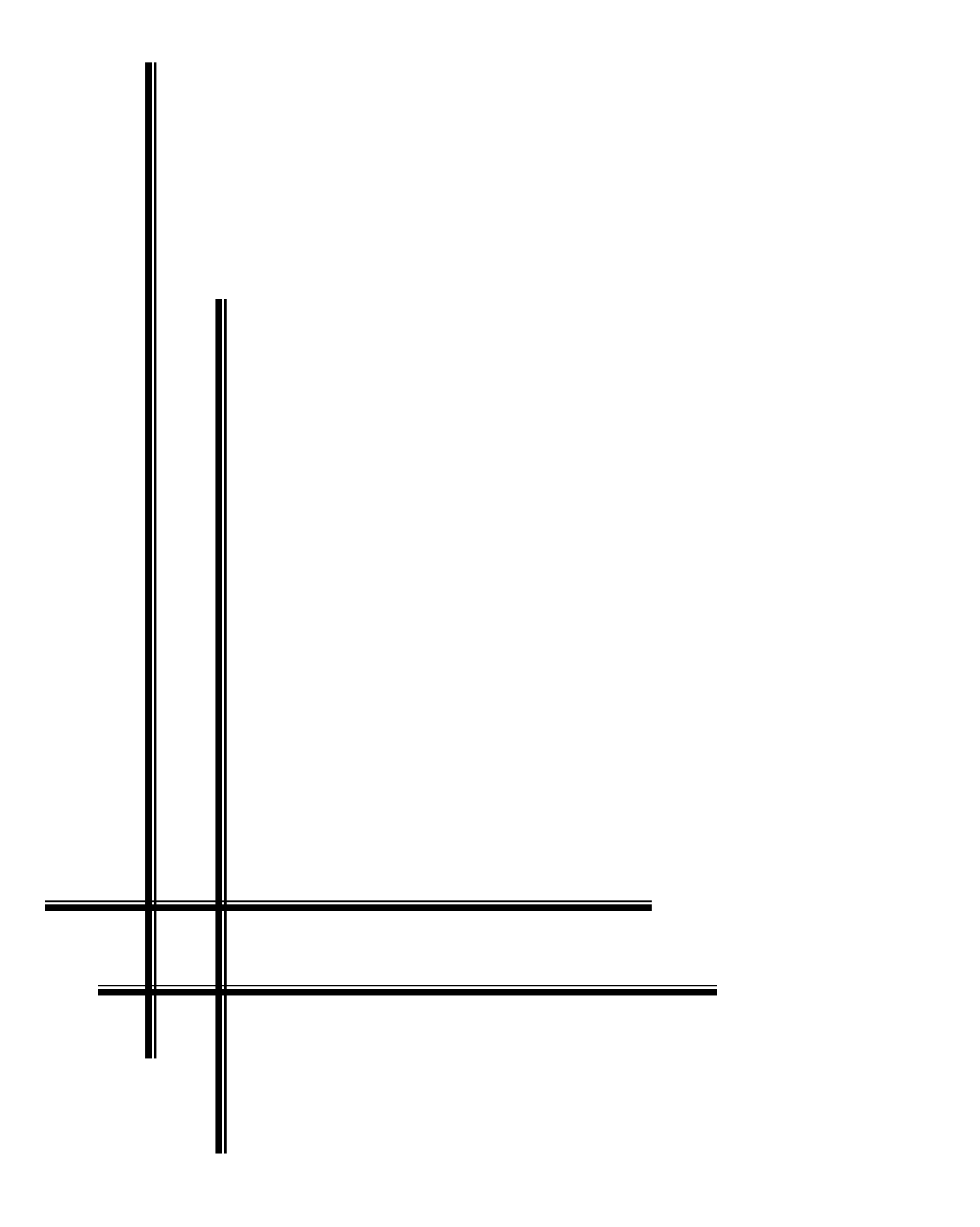


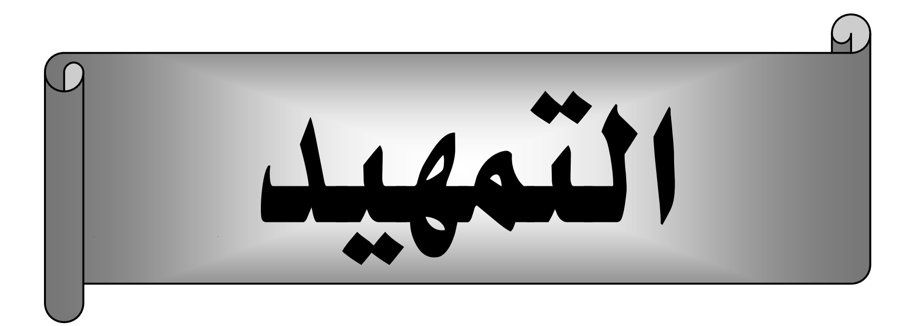
﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

صدق الله العظيم

(سورة آل عمران/ من الآية ١٤٠)

المقدمة





أ. اوضاع بلاد اليونان العامة وزعامة مقدونيا

ب. ظهور الاسكندر واسباب الحملة على الشرق

الفصل الأول

الغزو اليوناني لبلاد الرافدين

١. استعدادات الجيش المقدوني وبداية اطوار الحملة العسكرية على الشرق .
٢. عبور الاسكندر إلى اسيا وموقعة غرانيكوس .
٣. موقعة ايسوس واحتلال سوريا ومصر .
٤. الاوضاع العامة في بلاد الرافدين قبل الاحتلال اليوناني .
أ. الاوضاع السياسية والادارية .
ب. الحياة الاقتصادية والاجتماعية .
ج. الحياة الدينية والثقافية .
٥. معركة كوكميلة وغزو بلاد الرافدين .
٦. استمرار الزحف المقدوني صوب الشرق والعودة إلى بابل .
٧. بابل والمشروع العالمي للاسكندر .
٨. وفاة الاسكندر في بابل .

الفصل الثاني

مصير الامبراطورية المقدونية بعد وفاة الاسكندر

1. اجتماع بابل وتقسيم الامبراطورية .
2. فترة المنازعات الاسرية .
   - أ. الحرب السورية الاولى .
   - ب. الحرب السورية الثانية .
   - ج. الحرب السورية الثالثة .
   - د. الحرب السورية الرابعة والخامسة .
3. احوال العراق خلال الحكم السلوقي .
4. نهاية الحكم السلوقي المقدوني في بلاد الرافدين .

الفصل الثالث

سبل انتقال الحضارة العراقية القديمة إلى بلاد اليونان

تمهيد :

١. النطاق الجغرافي القريب .
٢. التجارة .
٣. الحملات العسكرية .
٤. الحضارات الوسيطة .
٥. دور الرحالة والزيارات العلمية .

الفصل الرابع

تأثيرات بلاد الرافدين الحضارية في الحضارة اليونانية في مجال العلوم الصرفة

١. العلوم الصرفة .

أ. العلوم الرياضية .

ب. اهم المعارف الرياضية العراقية القديمة .

- نظام العدد
- المعادلات
- الجبر
- الهندسة

٢. في مجال علم الفلك .

٣. في ميدان الطب .

٤. في ميدان الكيمياء .

الفصل الخامس

تأثيرات بلاد الرافدين الحضارية في الحضارة اليونانية في مجال العلوم الانسانية

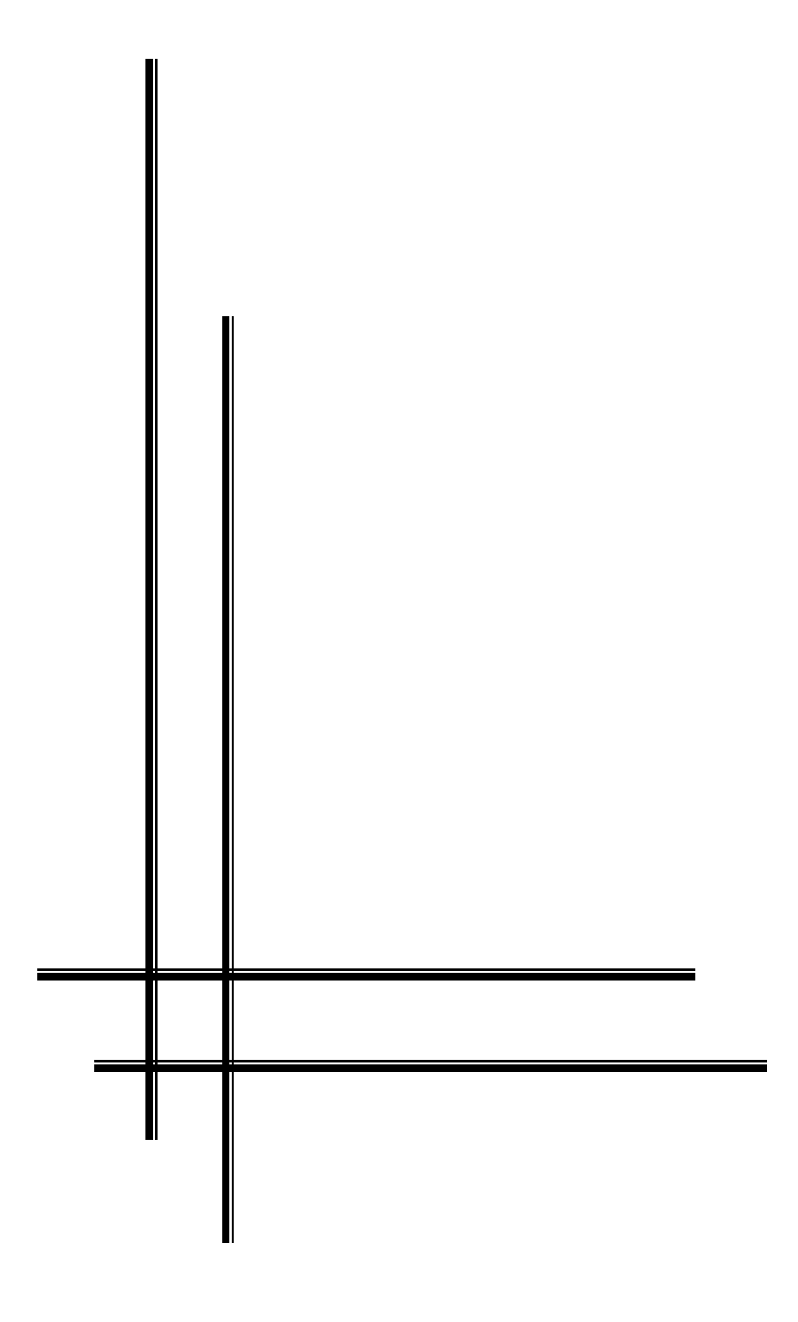
١. في مجال الادب : الملاحم والاساطير .
٢. في الكتابة واللغة .
٣. في التدوين التاريخي والفكر الجغرافي .
٤. في المعتقدات الدينية والفلسفة .
٥. في القانون .

الفصل السادس

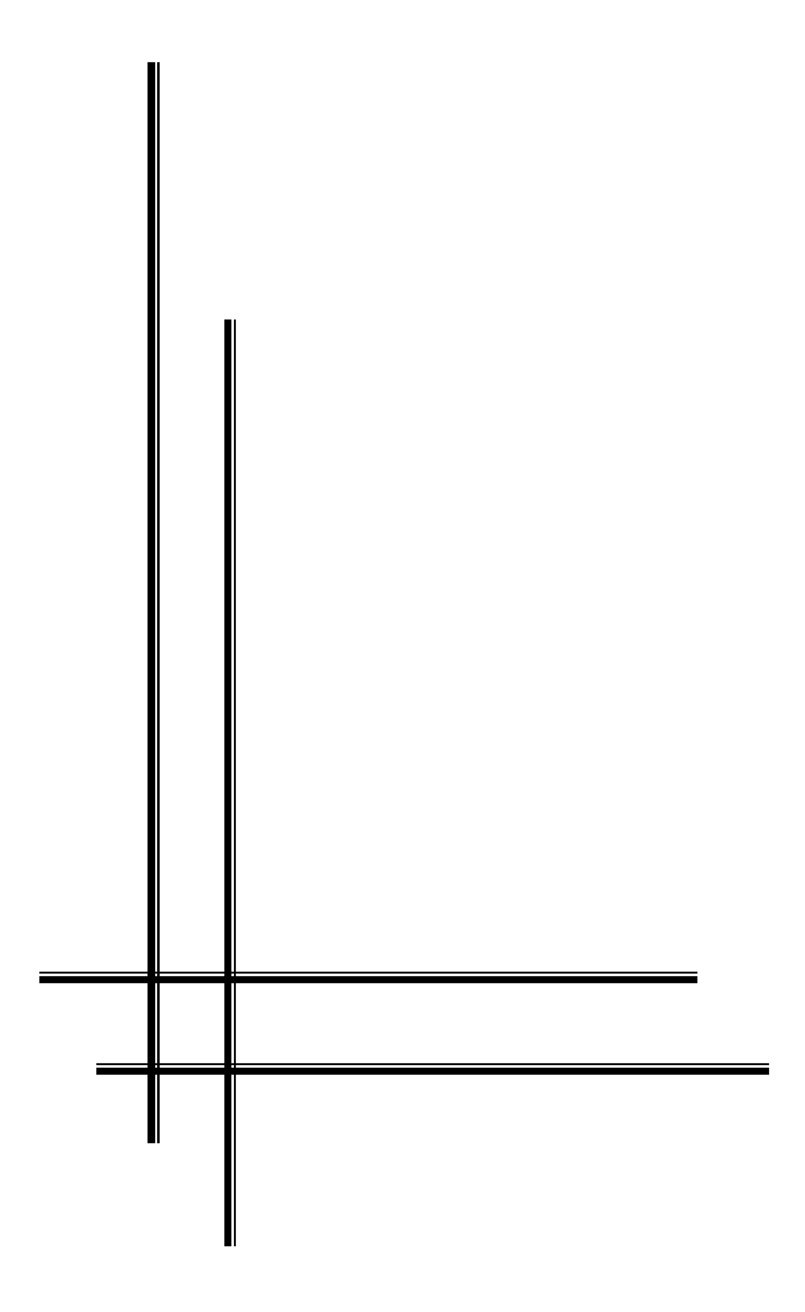
تأثيرات الحضارة الهيلينية في حضارة بلاد الرافدين

١. التطبيقات السياسية والادارية (نظام الحكم والادارة)
٢. الاوضاع الاقتصادية : المالية والنقدية .
٣. في التركيب الاجتماعي والحياة الدينية .
٤. في العمارة وانتشار الثقافة الهيلينية .
٥. الفن الاغريقي وآثاره في بلاد الرافدين .

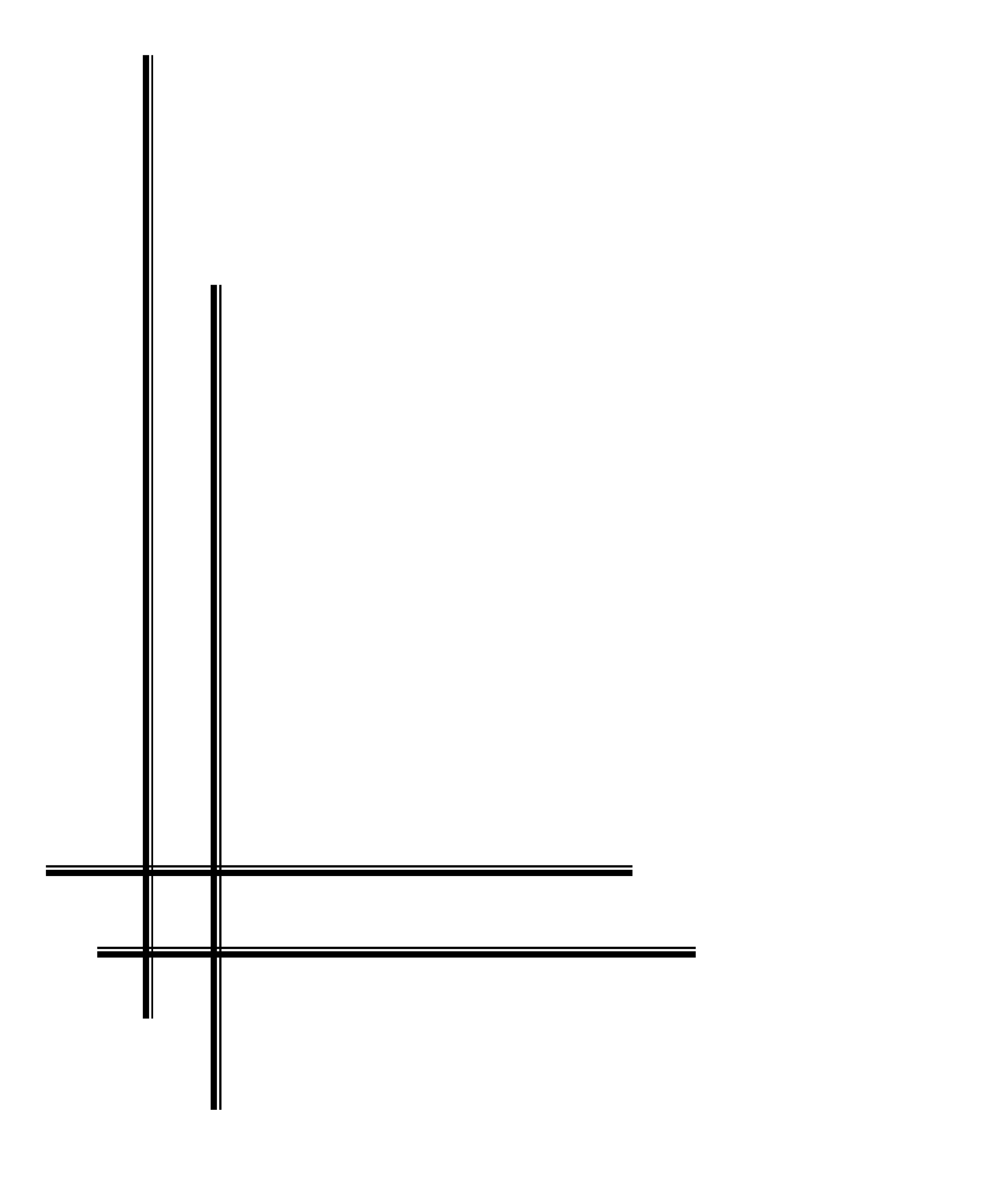
الاستنتاجات



الأشكال التوضيحية



المصادر العربية والاجنبية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعد المدة الواقعة بين عامي (٣٣١-١٢٦ ق.م) مدة حرجة واستثنائية في حياة سكان بلاد الرافدين ، حرجة لانها مرحلة احتلال وهيمنة واستثنائية لتعرض بلاد الرافدين فيها ولاول مرة في تاريخ العراق القديم لغزو جاء من الغرب الاوربي عن طريق اليونانيين الذين غزوا الشرق وبسطوا هيمنتهم على بلاد الرافدين بالكامل والذي كان يشمل جميع الاراضي التي تتمثل بالعراق الحالي ولذلك فموضوع بحثنا يكتسب اهمية كبيرة لكونه يضع تحت المجهر طبيعة هذه المرحلة وحيثياتها وابعادها وعليه مثل التوجه اليوناني الغربي الذي اخذ طابعا عسكريا احتلاليا نحو الشرق والشرق الاقصى خلال السيطرة المقدونية المباشرة اثر حملات الاسكندر المقدوني وما بعدها منعطفا تاريخيا بارزا في طبيعة العلاقات بين الشرق والغرب فلاول مرة في تاريخ هذه العلاقات تبرز ظاهرة حضارية جديدة متميزة في خصائصها وعناصرها مزجت بين الحضارة الشرقية الاصلية في كل من بلاد الرافدين ووادي النيل وبين الحضارة الغربية التي جاء بها اليونان معهم في غزوهم لهذه البلدان وانتجت حضارة سماها المؤرخون الغربيون بالحضارة الهلنستية تمييزا لها عن الحضارة التي سبقتها وهي الحضارة الهيلينية لقد التقت حضارة الشرق والغرب وانصهرت كلتا الحضارتين في بودقة حضارية مشتركة كان من اهم سماتها هي الاندماج والتفاعل والتاثير المتبادل نسبيا بينهما . ولو عدنا إلى فترات تاريخية اسبق لهذه الصلات لوجدنا عدم تكرار مثل هذه (الظاهرة الهلنستية) ان جاز لنا ذلك ان نسميها الا اننا بلا شك سنلاحظ تكرارها

كـ (ظاهرة استعمارية) اخذت اشكالا متعددة خلال الحروب اليونانية الفارسية في القرن الخامس ق.م وما بعدها ، هذا فضلا عن الصلات غير المباشرة التي ربطت المنطقتين منذ الالف الثالث ق.م والتاثيرات الحضارية التي انتقلت من والى البحر الايجي والعالم الاغريقي.

لم تكن منطقة بلاد الرافدين غائبة او محايدة في هذا الصراع الحضاري بين الشرق والغرب فهي وكما هو الدور الذي قدر لها ان تخوضه دائما مثلت ميدان الصراع وقلبه النابض فقد استهدفها القائد المقدوني كحلقة ضمن حلقات احتلاله المباشر الذي فرضه على الشرق كله واراد من بابل ان تكون عاصمة لامبراطوريته العالمية التي رام تأسيسها .

ولذلك يثير موضوع الغزو اليوناني في بلاد الرافدين اشكالات عدة اساسية فهو اضافة إلى كونه قد مثل سابقة تاريخية بين الشرق والغرب الا انه يضعنا امام تساؤلات وقضايا تاريخية

ذات ابعاد حضارية في غاية الخطورة واولها ان هذا الغزو اليوناني الغربي للشرق الاسيوي هو بداية حلقة في سلسلة الصراع الدامي بين الطرفين على اعتبار ان الحروب اليونانية الفارسية لم تكن بذات المعنى والحجم الذي كانت عليه حروب الاسكندر وان مثلت سببا اساسا لكونها كانت حروب متكافئة بين بلاد فارس وبلاد اليونان وكانت اسيا الصغرى تمثل ميدان الصراع .

لقد كان الاسكندر قبل توجهه للشرق يحمل في فكره مشروعا حضاريا للعالم ، كان يريد من العالم ان يدين بالثقافة والتقاليد اليونانية ويصطبغ بالصبغة الهيلينية وقد لقي تأييدا ودعما كبيرين من بلاد اليونان ماديا وفكريا لتنفيذ مشروعه هذا الذي ينطوي على مفهوم حضاري يقترب من مفهوم (العولمة) بمفهومها المعاصر لقد رأى الاسكندر كما ترى العولمة الان بان الهيمنة على العالم يمر من خلال بلاد الرافدين وان اختلفت الاساليب والاليات فالغاية واحدة .

ورث اليونانيون الامبراطورية التي اقامها الاسكندر ودخلت بلاد الرافدين مرحلة احتلال جديدة هيمن عليها السلوقيون الذين اخذوا العراق كجزء من حصتهم في الامبراطورية كما تبنوا سياسة الاسكندر في ادارتهم لاملاكهم في الشرق ، فرفعوا لواء الحضارة الهيلينية في كل مكان وارادوا (هلنسة العراق) والمناطق الخاضعة لنفوذهم بطرح بديلهم الحضاري الذي جاءوا به فاصطدموا عند تنفيذ مشروعهم هذا بحضارات شرقية اصيلة ضاربة في الاصالة والقدم ولاسيما منها حضارة وادي النيل وحضارة بلاد الرافدين موضوع بحثنا هذا.

لقد كان الاعتقاد السائد لدى اليونانيين قبل احتكاكهم بالشرقيين ومعرفة حضاراتهم بانهم دون الحضارة وقوم (برابرة) وقد قال فلاسفتهم ان الحرب ضد (البرابرة) هي حرب (عادلة وطبيعية) . ولم يدور بخلدهم انهم سيجدون في الشرق حضارة اصيلة تسبق حضارتهم بآلاف السنين تفوق حضارتهم في جوانب عديدة .

انه من المفارقات الملفتة للنظر التي وجدناها ونحن بصدد البحث في هذا الموضوع ان اليونانيين عوضا ان يكون تاثيرهم في واقع البلاد التي احتلوها اكثر عمقا وانتشارا وفاعلية من تأثرهم بالواقع الجديد باعتبار انهم اصحاب حضارة يعتقدون بتفوقها ، نجد ان الذي حصل هو العكس وخصوصا في علاقتهم بمنطقة بلاد الرافدين ، لقد اخذ اليونانيون من هذه البلاد مختلف العناصر الحضارية الموجودة فيها اكثر مما جلبوا معهم من عناصر الحضارة الهيلينية ويجمع المؤرخون والباحثون على ان منطقة بلاد الرافدين لم تتأثر كثيرا بحضارة اليونانيين مثلما تأثرت بها منطقة بلاد الشام ووادي النيل وسائر الحضارات الشرقية الاخرى لانها كانت تشق طريقا

خاصا بها منذ البداية حدد مصيرها[١] حتى انه خلال بحثنا عموما وخاصة فيما يتعلق بهذا الجانب اعترضتنا صعوبات عديدة حول المعلومات المتعلقة بالتاثيرات اليونانية في هذه البلاد فضلا عن الصعوبات الاخرى التي تضمنها الموضوع بشكل عام حيث تجدر الاشارة إلى ان الفترة الهلنستية في تاريخ العراق القديم تعد من الفترات المغمورة التي لم يولها الباحثون العناية الكافية وهو عين السبب الذي افضى إلى عدم توفر المعلومات الكافية عن هذه الفترة .

ومع ذلك فقد حاولنا من خلال هذا العمل المتواضع ان نسلط الضوء على طبيعة وحيثيات هذه الحقبة التي تعد من اهم الحقب الزمنية في تاريخ العراق القديم وان نضع هذا الموضوع في اطار محدد عارضينه بشيء من التفصيل حيث قسمنا بحثنا الى قسمين أساسين، القسم الاول بحثنا فيه الجانب السياسي في حين بحثنا في القسم الثاني الجانب الحضاري ففيما يتعلق بالقسم السياسي قسمناه على فصلين ، الاول خصصناه للحديث عن الغزو اليوناني لبلاد الرافدين ، اسبابه واطواره ، اما الفصل الثاني فتناولنا فيه مصير امبراطورية الاسكندر بعد وفاته وبينا اهمية بلاد بابل ودورها بالنسبة لليونانيين السلوقيين .

على ان القسم الثاني والذي يخص الجاني الحضاري تم تقسيمه على اربعة فصول ، بحثنا في الفصل الاول سبل انتقال حضارة العراق القديم إلى بلاد اليونان ، اما الفصل الثاني فيتعلق بتأثيرات بلاد الرافدين الحضارية في الحضارة اليونانية في مجال العلوم الصرفة في حين خصصنا الفصل الثالث لبحث تاثيرات بلاد الرافدين الحضارية في الحضارة اليونانية في العلوم الانسانية .

اما الفصل الرابع فبينا فيه تاثيرات الحضارة الهيلينية على حضارة بلاد الرافدين .

وفي الختام ، الحمد لله وحده ان وفقت في انجاز هذا العمل المتواضع فان كان لاحد الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في اخراجه إلى الوجود فهو لهذا البلد العظيم ، العراق الذي فتح لي ابواب العلم على مصراعيه بكل كبر وصدر رحب ولا عجب ، فهو الكبرياء والشموخ والعطاء دائما وابدا ، كما يعود الفضل ايضا في انجاز هذه الرسالة لاستاذي المشرف الدكتور عامر سليمان هذا الاستاذ الجليل الذي بذل كل ما يملك لخدمة العلم وطلابه وافاض علينا من حسن خلقه ونور علمه في كل وقت ولا انسى له توجيهاته الصائبة والسديدة وملاحظاته القيمة ومتابعته الجادة وتصويباته الموفقة التي كان لها اكبر الاثر فيما قدمته ليكون البحث على الوجه الذي هو عليه الان .

---

(١) الهاشمي ، تغريد جعفر ، وحسن حسين عكلا ، الانسان تجليات الازمنة ، ط١، دمشق ، ٢٠٠١ ، ص٢٨٩ .

كما اتقدم بجزيل الشكر والعرفان لاساتذتي الافاضل في قسمي التاريخ والاثار واخص بالذكر منهم الدكتور ناطق صالح مطلوب والدكتور حسين ظاهر حمود والاستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد محمد والاستاذ الدكتور علي ياسين الجبوري والاستاذ خالد سالم اسماعيل والدكتورة احلام سعد الله الطالبي اشكرهم جميعا لما قدموه من توجيهات وتصويبات موفقة اثرت البحث واغنته .

واقدم شكري الجزيل إلى اساتذتي اعضاء لجنة المناقشة لتجشمهم عناء قراءة الرسالة وابداء الملاحظات السديدة للارتقاء بها إلى احسن صورة فجزاهم الله احسن جزاء وشكري الخالص وتقديري لكل من ساعدني من قريب او بعيد في اثراء هذا البحث وابتهل إلى الله سبحانه وتعالى ان يجازيهم بالخير والبركة والثواب واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين .

ومن الله التوفيق

الباحث

تـمهيـــد

أ. أوضاع بلاد اليونان العامة وزعامة مقدونيا :

شهدت بلاد اليونان قبل سيطرة مقدونيا عليها حروبا ومنازعات حربية قامت بين دويلات المدن الرئيسة والمتمثلة باسبارطة واثينا وطيبة حيث كانت المنازعات القائمة بين هذه الدويلات تقوم على اساس الهيمنة وبسط النفوذ كما كانت كل مدينة ترنو الى بروزها كقوة كبيرة على حساب الدويلات الاخرى من اجل الاستحواذ على الموارد الاقتصادية من ناحية والانفراد بالزعامة في بلاد اليونان من ناحية اخرى واضفاء شرعيتها على قيادة الامة اليونانية في المعارك المصيرية ضد العدو الخارجي .

هذا ما كانت كل دويلة – مدينة تخطط له وتعمل على تحقيقه الا ان هذه الحروب لم تكن في غير صالح أي من هذه الدويلات ، بل انها زادت من تردي الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعمقت الخلافات بين ابناء الوطن الواحد(١).

وللوقوف على ما احدثته هذه الحروب من خراب على بلاد اليونان يجدر بنا أن نستعرض بايجاز اهم اطوار الصراعات التي شهدتها البلاد والتي هي في حقيقة الامر ليست بالامر الغريب على دويلات المدن اليونانية بل ان هذه الصراعات قد مثلت ظاهرة تاريخية كبيرة في مسيرة التاريخ اليوناني عموما ، فقد عرفت البلاد حروبا طاحنة سميت بالحروب البيلوبونيزية التي نشبت بين اثينا واسبارطة خلال منتصف القرن الخامس ق.م وخلفت مآسي كبيرة واضعفت كلا الطرفين لعشرات السنين(٢).

بدأ الخلاف ينشب بين طيبة واسبارطة منذ عام ٣٧١ ق.م وكان لهذا الخلاف اثر مدمر لكلا الجانبين عندما حاولت اسبارطة غزو طيبة لرفضها توقيع الاتفاق الثلاثي مع كل من اسبارطة واثينا الا ان الجيش الاسبارطي سُحق في معركة لوكترا امام الجيش الطيبي بقيادة ابيامينونداس عام ٣٧١ ق.م لم تكن اثينا تنظر بعين الرضا لما تفعله طيبة باسبارطة وتحقق انتصاراتها في بلاد اليونان، ولذلك عملت ومنذ موقعة لوكترا على أن تجعل طيبة في عزلة تامة كما وأن اسبارطة قد هزمت فانه من الضرورة ملء الفراغ وقيادة بلاد اليونان وتشكيل حلف دفاعي على غرار الحلف الاثيني بشرط ادامة صلح عام ٣٧١ ق. م لمواجهة اطماع طيبة(٣) .

---

(١) عكاشة ، علي وآخرون، اليونان والرومان، ط١ ، اربد ، ١٩٩١، ص٩١.

(٢) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة، حياة اليونان ، مج٢ ، ج٢، ترجمة : محمد بدران ، بيروت، ١٩٨٨، ص٣٤٢-٣٤٥.

(٣) عبو، عادل نجم ومحمد ، عبد المنعم رشاد ، اليونان والرمان، دراسة في التاريخ والحضارة ، الموصل، ١٩٩٣، ص١٥٤-١٥٥.

في مقابل ذلك لم تبق طيبة مكتوفة الايدي بل عملت على كسب المؤيدين وعقد التحالفات خارج الاتحاد البيوتي وتوجت ذلك بنصر حاسم على اسبارطة منذ عام ٣٦٨ ق.م بعد معارك دامية خاضتها على اراضي البيلوبونيز(١).

وهكذا اصبحت طيبة واثينا وجها لوجه في النزاعات الدائرة في بلاد اليونان وبرغم أن اثينا كانت ترغب في انهيار اسبارطة وانتهاء دورها القيادي لتحل محلها الا انها كانت لا تريد لاسبارطة ان تسحق تماما بينما تستأثر طيبة بالزعامة والهيمنة الشاملة "كما انها لم تكن تريد ان يظهر لها منافس جديد في البر الاغريقي عوضا عن اسبرطة"(٢) ولذلك تحالفت مع اسبارطة ضد طيبة منذ عام ٣٧٠ ق.م وبدأ هذا الحلف يعد العدة للرد على تهديدات طيبة ومواجهة اخطارها وتجدر الاشارة الى ان طيبة قد تم لها اخضاع مقدونيا بموجب اتفاقية وقعتها مع ملكها عندما قدم هذا الاخير ثلاثين شابا من ابناء العائلات النبيلة في مقدونيا كرهائن لقاء ضمان الاتفاق وقد كان فيليب الثاني والد الاسكندر المقدوني من بين هؤلاء الرهائن(٣).

وفي تلك الاثناء عملت طيبة على كسب واستمالة الجانب الفارسي حيث أبدت بلاد فارس استعدادها لدعم طيبة بالمال والرجال واصدرت قرارات تقف الى جانب طيبة وقد اعتبرت طيبة هذا الاجراء نصرا في حد ذاته فبعد أن كانت هذه المساعدات من فارس لصالح اسبارطة واثينا تحولت فجأة الى طيبة وذلك بفعل المجهودات التي قام بها بيليبوداس مبعوث طيبة الى فارس حيث استطاع هذا الاخير قلب الموازين رأسا على عقب(٤).

كان من نتيجة ذلك أن احتلت طيبة مرة أخرى البيلوبونيز(*) عام ٣٦٧ ق.م مما ادى الى تحالف مدن اخيا مع طيبة . وبين عامي ٣٦٣-٣٦٢ ق.م شهدت بلاد اليونان ايضا اضطرابات عنيفة قامت بين الدويلات اليونانية حيث تضررت مصالح اثينا كثيرا واصبحت محل شك وريبة في

---

(١) عبو، عادل نجم وعبد المنعم رشاد محمد، اليونان والرمان، دراسة في التاريخ والحضارة ، الموصل، ١٩٩٣، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٦.

(٣) الناصري ، سيد أحمد علي، الاغريق، تاريخهم وحضارتهم (من عصر البرونز حتى امبراطورية الاسكندر الاكبر) ، ط١، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص٣٤٨.

(٤) بترى ، أ ، مدخل إلى تاريخ الاغريق وأدبهم وآثارهم، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، جامعة الموصل، ١٩٧٧، ص٤٩ .

(*) البيلوبونيز : وهو قسم يطلق على جنوب بلاد اليونان ومعناه جزيرة بيلوبس .

نظر الاخرين . في حين تعرض اقليم البيلوبونيز الى غزو رابع من طرف ايبامينونداس قائد طيبة وحاول غزو اسبارطة للمرة الثانية على التوالي[1].

هكذا كانت الاوضاع السياسية في بلاد اليونان تمر من وضع سيء إلى اسوأ وقد أدى هذا الوضع السياسي المتردي الى تعميق الفوارق الاجتماعية وبروز طبقات متفاوتة اجتماعيا واقتصاديا وعم الفقر البلاد واشتدت النزاعات بين طبقات المجتمع الذي أصبح شبه مفكك[2].

لقد انعكس هذا الوضع سلبا على اقتصاد البلاد وأدى الى تناقص التجارة الخارجية واضمحلالها بسبب ظروف الحرب حيث تفشت ظاهرة عدم الثقة بين المواطنين وظهرت مجموعة من اللصوص والمجرمين والقراصنة المسيطرين على المضايق والخلجان في حين كان قطاع الطرق ينهبون القوافل عبر الطرق التجارية الموصلة من والى بلاد اليونان[3].

أدت هذه الاوضاع المتردية التي عاشتها بلاد اليونان الى اضعاف الدويلات الرئيسة فيها وافساح المجال لقوى اقليمية اخرى في المنطقة كانت تهيء نفسها للتوسع والهيمنة واهم هذه الدويلات التي بدأت تبرز على الساحة هي مقدونيا التي وقفت الدويلات اليونانية عاجزة عن مواجهتها وايقاف مشاريعها التوسعية بما في ذلك اثينا التي كانت تعتبر نفسها اكبر هذه الدويلات واقواها والناطقة باسم اليونانيين جميعا ، المدافعة عن حقوقهم ومصالحهم[4].

تقع بلاد مقدونيا في الشمال من بلاد اليونان وهو اقليم ذو اراضي شاسعة وخصبة وله امتدادات جبلية وعرة تتخللها غابات كثيفة مما جعل اقليم مقدونيا شبه معزول وبعيد عن المؤثرات الخارجية ، لا سيما الاتية من بلاد الاغريق . اما عاصمة البلاد القديمة فكانت تسمى ايجاي (aegae) وهي العاصمة الاصلية للمملكة المقدونية[5] .

ان الشعب المقدوني يعود الى اصول الاقوام الهندو– اوربية، ويتكلم اللغة اليونانية وبذلك فهو جزء من الشعب اليوناني عموما الا انه رغم الازدهار الحضاري الكبير الذي تعاقب على دويلات – المدن اليونانية بقي بعيدا عن هذه المؤثرات منغلقا على نفسه لم يرتق بعد الى مرتبة المدنية على غرار مدنية دويلات المدن اليونانية[6].

---

(١) عبو، عادل نجم ومحمد عبد المنعم رشاد ، المصدر السابق، ص١٥٨-١٥٩.

(٢) عكاشة ، علي وآخرون، المصدر السابق، ص٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٩١.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٢.

(٥) الناصري ، سيد احمد علي، المصدر السبق، ص٣٣١-٣٣٢.

(٦) العابد ، مفيد رائد، دراسات في تاريخ الاغريق ، دمشق ، ١٩٨٠، ص١٤٦.

وبالرغم من شحة المعلومات عن تاريخ مقدونيا السياسي وحكامها قبل عهد فيليب الثاني الا انه يمكن القول بأن مقدونيا عرفت بعض الملوك الاقوياء الذين حكموها ودافعوا عن استقلالها ووحدتها[١].

"وهكذا كانت مصائر مقدونيا تتوقف الى حد بعيد على ما تهيئه الظروف لها وكانت المقادير تكرمها بأن تقيض لها رجالا ذوي شخصيات قوية ليتولوا العرش في اللحظة الدقيقة من تاريخها"[٢].

وكان من بين الرجال الاقوياء الذين ظهروا لزعامة مقدونيا فيليب وهو في العشرين من عمره كان رجلا طموحا شغوفا بالسياسة والحكم وادارة الحرب مكنته مؤهلاته وتجاربه من الوصول الى سدة الحكم في سنة ٣٥٩ ق.م[٣].

ان اولى الاجراءات التي بدأها فيليب فور تتويجه ملكا هي ترتيب الاوضاع الداخلية في مقدونيا واصلاح المؤسسة العسكرية ، وقد استفاد من الخبرات العسكرية للدويلات اليونانية الاخرى مثل طيبة واثينا بأن زود جيشه في سلاح الفرسان والمشاة بمعدات حربية هيلينية حديثة وقام بتنظيم الفرق من حملة التروس فاصبح فيلقا يضاهي في تكوينه الفيلق في جيش طيبة[٤].

وتعزيزا لحركة الاصلاح التي مست الجيش قام فيليب أيضا بادخال انماط جديدة من الاسلحة على فرق الجيش المختلفة فسلح جند المشاة بانواع مستحدثة من الدروع والتروس الثقيلة ودعم فريق اخر برماح طويلة لها فاعليتها في ميدان القتال اضافة الى رماح قصيرة وخفيفة ومعدات اخرى من الاقواس والنشاب ولما كانت صنف الخيالة قبل عهده يشوبها الاضطراب وعدم لتنظيم فقد اعاد تنظيمها ودرب فرسانها تدريبا عسكريا شاملا بحيث اصبحوا قادرين على المناورة والحركة والقتال في وحدة واحدة متكاملة[٥].

اما على الصعيد الاداري فقد فرض فيليب على الشعب المقدوني الخدمة العسكرية فأصبحت الزامية وقسم البلاد الى نواحي ادارية كل ناحية ملزمة بتقديم خيرة ما تملك من خيالة ومشاة[٦]. وقام أيضا ببناء القلاع والحصون داخل البلاد وعلى اطرافها وجعل نظام الحكم الاداري والسياسي المالي مركزيا مطلقا[٧]. وقد دلت انتصاراته السياسية والعسكرية التي حققها على الليريين في الغرب والبايونيون في الشمال (Paeonians) على انه كان يمتلك جيشا ذا قوة هائلة وانضباط عالي[٨].

---

(١) رستم ، اسد، تاريخ اليونان، (من فيليبيوس المقدوني إلى الفتح الروماني) ، بيروت ، ١٩٦٩، ص٢١.

(٢) توينبي ، ارنولد ، تاريخ الحضارة الهيلينية، ترجمة : رمزي عبده جرجس، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص١٢٥.

(٣) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٦.

(٤) توينبي ، ارنولد ، المصدر السبق ، ص١٢٩-١٣٠.

(٥) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٨.

(٦) العسلي، بسام، الاسكندر الاكبر المقدوني (٣٥٦-٣٢٣ ق.م)، ط١، ١٩٨٠، ص٥٣.

(٧) رستم ، اسد ، المصدر السابق، ص٨.

(٨) العابد ، مفيد رائد ، المصدر السابق ، ص١٤٧.

وهكذا انتقلت مقدونيا في عهده من دويلة ضعيفة متخلفة مجزأة إلى دولة قوية ذات اطماع بعيدة في بلاد اليونان[١].

ولذلك بدأ بتطبيق سياسة مزدوجة تجاه المدن اليونانية، فمرة يستخدم القوة العسكرية وطورا يفاوض بعضها الآخر إلى ان بسط نفوذه على البلاد بأجمعها[٢]. وانتخب فيليب على اثر ذلك رئيسا للعصبة الامفيكتيونية فيما بعد[٣].

أدت جهود فيليب السياسية والعسكرية التي احدثها في بلاد اليونان الى نتائج جد خطيرة ليس فقط على المستوى الداخلي في مقدونيا وبلاد الاغريق وانما امتدت هذه النتائج لتشمل رسم مستقبل الشرق السياسي عموما بانعقاد مؤتمر كورنثة الذي اتخذت بصدده قرارات حاسمة داخليا وخارجيا، حيث دعا فيليب منذ عام ٣٣٨ ق.م الدويلات اليونانية قاطبة الى عقد مؤتمر في مدينة كورنثة تحدد فيه سياسة البلاد العامة ، وقد لبت هذه الدويلات كافة الدعوة ما عدا اسبارطة التي فضلت التقوقع على نفسها والانفراد بمصيرها[٤]. وبالفعل تم انعقاد هذا المؤتمر وانتخب فيليب القائد العام له[٥].

ان من جملة قرارات هذا المؤتمر تكوين مجالس ولجان ذات اختصاصات وصلاحيات متعددة ومتنوعة تكون لها الحرية التامة في عقد اجتماعاتها في اية دويلة من الدويلات المنضوية تحت لواء الحلف كما لها الصلاحيات المطلقة في النظر في القضايا القومية الكبرى والمصيرية لبلاد اليونان ككل وتم انتخاب الملك فيليب قائدا عاما للحلف الذي منح مقدونيا صلاحيات ونفوذا كبيرين[٦].

واطلق على هذا الحلف اسم الحلف الهيليني واتخذ من مدينة كورنثة مقره وتمثلت هيكليته في مجلس "يضم مندوبين عن كل المدن اليونانية على البر الأوربي" اما على المستوى الوظيفي لهذا الحلف فهو ملزم بتقديم ما يحتاجه الملك المقدوني من جنود ومعدات وتجهيزات تخدم اهداف الحلف وتحميه من الاخطار الخارجية ، فضلا عن احقيته في اصدار قرارات ملزمة موجهة الى الاعضاء كافة ، يحضر عليهم أي شكل من اشكال النزاعات أو الحروب فيما بينهم ، اما في حالة نشوب مشكلة بين دويلات الحلف فان على هذا المجلس أن يعمل على حل هذا الخلاف بطريقة سلمية أي بواسطة محكمين ينظرون في النزاعات التي تنشب بينهم[٧].

---

(١) عكاشة ، علي واخرون ، المصدر السابق ، ص٩٢.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) بترى ، أ ، المصدر السابق، ص٥٣.

(٤) الناصري ، سيد أحمد علي، المصدر السابق ، ص ٣٨٥-٣٨٦.

(٥) بترى ، أ ، المصدر السابق، ص٥٤.

(٦) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق، ص٣٨٨.

(٧) عكاشة علي وآخرون، المصدر السابق، ص٩٣.

وبذلك يكون فيليب قد تمكن من لم الشتات والفرقة التي عانى منها العالم اليوناني لعدة عقود ذاق فيها الامرين ، بل نجد أن فيليب قد ذهب الى ابعد من ذلك عندما دعا الحلف الى عقد اجتماع عام في سنة ٣٣٧ ق.م "لمناقشة مشروع القيام بحملة عسكرية ضد الشرق وكما يقول ديودورس أضفى فيليب على الحملة طابعا هيلينيا عندما وصفها بأنها من أجل الانتقام والرد على حملة الفرس ضد بلاد اليونان في القرن الخامس ق. م"[١].

"بسبب الظلم الكثير الذي عانته اليونان من الفرس منذ الحروب الفارسية"[٢] وفي نفس ذلك العام بدأ فيليب استعداداته للحملة العسكرية الموجهة ضد الشرق، ومن اهم الاجراءات التي اتخذها بشأن ذلك انفاذ قائده بارمنيون عام ٣٣٦ ق.م على رأس جيش في حملة عسكرية الى اسيا اهدافها لا تتجاوز كونها استطلاعية وتمهيدية فضلا عن كونها تحريضية تستهدف التواجد الفارسي في المدن الاغريقية في ايونيا والثورة ضده[٣] ، وقد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن حيث ان هذه المخططات التي رسمها فيليب لغزو الشرق لم يكتب لها النجاح الا في عهد ابنه وخليفته من بعده الاسكندر الاكبر، فقد بوغت فيليب بطعنة خنجر من احد ضباطه المتربصين به يسقط على اثرها صريعا عندما كان يحضر زفاف ابنته عام ٣٣٦ ق.م[٤].

---

(١) الناصري، سيد احمد، علي، المصدر السابق، ص٣٨٦-٣٨٧.

(٢) بترى، أ، المصدر السابق، ص٥٤.

(٣) الناصري، سيد احمد، علي ، المصدر السابق، ص٣٨٧.

(4) Bury, J, B, A History of Greece to the Death of Alexander the Great . London, 1959, p.735 .

ب. ظهور الاسكندر الكبير وأسباب الحملة على الشرق :

ولد الاسكندر الكبير في منتصف صيف عام ٣٥٦ ق م في مدينة بيلا عاصمة مقدونيا وعندما بلغ الثالثة عشر من عمره اتخذ ارسطو الفيلسوف اليوناني الشهير كمعلم له ، فمنذ حداثة سنه تميز بذهنية متوقدة واصبح يحمل الصفات الاغريقية بكل معنى الكلمة[١].

لم يتلق الاسكندر من اساتذته دروسا في المفاهيم الاخلاقية والسياسية فحسب وانما اصبح يشارك اساتذته ايضا في مواضيع فلسفية اكثر عمقا وفهما ، فقد تعلم ان المدنية ضرورية في الحكم كما تلقى ايضا دروسا تقول ان كل البرابرة (غير اليونانيين) هم عبيد بطبيعتهم لاسيما اولئك الاسيويين ، ويبدو ان ارسطو قد طبع في الطفل حب التعلم والقراءة الشي الذي جعل التلميذ يعجب باستاذه ويحبه اول مرة اكثر من والده فيليب[٢].

لسنا في صدد تتبع السيرة الذاتية للاسكندر بقدر ما نريد ان نبين تاثير طفولته على تكوينه أو بروزه كقائد محنك منذ شبابه وتوطيده السلطة في بلاد اليونان وغزو الشرق فيما بعد . ويظهر ذلك من خلال اعماله العسكرية الى جانب والده، فعندما وصل السادسة عشر من عمره وبينما كان والده فيليب يحاصر بيزنطة تمكن الاسكندر من سحق ثورة في تراقيا قامت ضد حكم ابيه واسس فيها مدينة سماها باسمه (مدينة الاسكندر)[٣]. وفي سن الثامنة عشر تولى قيادة الجيش في موقعة خرونية[٤].

كان الاسكندر المقدوني في العشرين من عمره عندما اغتيل والده عام ٣٣٦ ق م ولكن على الرغم من كونه شابا فانه كان قادرا بشكل جيد على تولي حكم المملكة التي شيدها والده... كان قائدا محبوبا من قبل جنوده وكانت رغبته هي المشاركة في الصعوبات والمخاطر مع جنوده. جيشه كان الافضل بين جيوش العالم وافضل حتى من جيش فارس . ذلك ان فيليب كان قد قضى الكثير من الوقت في تدريب جنوده واستحدث طريقة جديدة في القتال... كما انه عمل على تسليحه... ولهذا كان له الاثر البالغ والفعال لدى الجنود... كانت طموحات الاسكندر قد اصبحت ممكنة في ان يكون الحاكم الاعظم في العالم ولهذا فقد عمل على فتح الامبراطورية الفارسية ، وفي الحال بدا بوضع الخطط لذلك المشروع الكبير . ولكن قبل ان يقوم بغزو بلاد فارس كان عليه اخضاع ثورة التمرد والعصيان في المدن الاغريقية التي انتهزت فرصة وفاة فيليب لاستعادة حريتها[٥].

---

(1) Robinson, Charles, Alexander, Ancient History (From prehistoric times to the death of Justinian) , New york 1958 , p.315-316 .

(2) Robinson, Op cit, p.316.

(3) Robinson, Op.cit, P. 317 .

(٤) رستم، اسد، المصدر السابق، ص١٧.

(5) GADD, K, M, from Ur to Rome, London, 1958 , P. 186-187.

وعلى الرغم من ذلك لم يكن الاسكندر مستعدا لمنحهم الحرية وقد قمع في النهاية بحزم ذلك التمرد الذي حدث في المدن الاغريقية[١].

لقد ثارت هذه المدن في وجه الاسكندر ورامت الانفصال والاستقلال خاصة عند سماعها انه قد مات عندما كان يخمد ثورتين قامتا في تريباليا وايليريا الا ان الخبر كان مجرد اشاعة وعملت اثينا بزعامة ديموسثيبنس على تحريض الثوار عندما هاجموا حاشية مقدونية كانت تتخذ من مدينة كادميا قاعدة لها[٢].

وتم للاسكندر ما اراد عندما قضى على كل هذه الفتن والمؤامرات وتم تدمير مدينة طيبة كليا باستثناء بيت الشاعر بيندار، اما اثينا فقد تساهل معها لانه كان ينظر اليها باعتبارها وطن الادب والفن الاغريقيين ، هذا وفي نفس الوقت عمل على ان يرتبط اكثر بالاغريق عندما جند منهم اعدادا كبيرة ادمجهم في جيشه استعدادا لغزو بلاد فارس[٣].

لاشك بان الاسكندر بعد قضائه على حركات التمرد والثورة التي قادتها اثينا وطيبة ضده بدا يهيئ نفسه وجيشه والعالم الاغريقي برمته الى توجيه قوته نحو الخارج ، ولكن هذه المرة خارج بلاد اليونان حيث تعتبر الاجراءات الحربية التي قام بها في بلاد اليونان وتوطيد سلطته في هذه المناطق من الاعمال الايجابية في تطبيق مشروعه الشامل ، غزو اسيا والشرق خاصة وقد تمكن على اثر ذلك من لم شمل العالم الاغريقي تحت لواء الحلف الهيليني الكورنثي الذي ورثه عن ابيه واعاد هيكلته بموجب قرارات جديدة تخص بنود الحلف ، داخليا وخارجيا ، وقد بقي هو المسؤول الاول على مستوى القيادة العامة للحلف باعتباره "حامي ذمار الحضارة الهلينية" وغازي الشرق[٤]، ولذلك سنحاول تسليط الضوء على مختلف الاسباب التي دفعت العالم الاغريقي – الاوربي الى شن هذه الحملة الشعواء ضد الشرق الاسيوي ، في هذه الفترة من التاريخ اذن هذه الاسباب التي سنبحثها وجدناها تمس جوانب عديدة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فهي في جوانب منها داخلية تتعلق بالظروف العامة التي شهدتها بلاد اليونان قبل تاريخ الغزو ، وفي جوانبها الاخرى خارجية تحمل ارث وجذور علاقات تاريخية بين الشرق والغرب .

ان من ابرز الاسباب الداخلية العميقة غير المباشرة التي المت ببلاد اليونان ودفعتها الى التوسع الخارجي على حساب الامم والشعوب الاخرى هو الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الصعب

(1)GADD, K, M, Op cit, p. 187.

(٢) سرقس، بحرجي ديمتري، تاريخ اليونان، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص٣١٦.

(3) GADD, K, M, op. cit, P.187 .

(٤) سارتون جورج ، تاريخ العلم ، العلم القديم ، في العصر الذهبي لليونان ، ج ٣ ، ترجمة : عبد اللطيف احمد علي ، مصر ، ١٩٧٠ ، ص١٧٤ .

الـــذي كـــان يعيشـــه الاغريـــق فـــي بلادهـــم "فقـــد ظلـــت هـــيلاس تعـــاني ابـــان القـــرن الرابع ق.م من المشكلة ذاتها التي كانت تعانيها في القرن الثامن ق.م الا وهي زيادة عدد السكان ، ان استعمار سواحل شرق البحر المتوسط والبحر الاسود والثورة الاقتصادية التي اعقبتها لم تكن كافيتين لتوفير الاقوات بصفة دائمة للعدد الكبير من البطون الهيلينية السغبة التي ينبغي اشباعها والتي ما فتأت تزداد مطردة"(١) .

وقد لعبت البيئة دورا اضافيا في تردي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية بين الاقاليم الايجية نتيجة لفقر التربة وصعوبة الظروف المناخية الى جانب ضيق المجال الجغرافي والذي عرفته المدن الاغريقية والاقاليم الايجية بشكل عام(٢) "لان ارض بلادهم ضيقة وفقيرة ولا تكفي لاعاشتهم"(٣) كما قال ذلك افلاطون وتوكيديتس .

ولما كان الاقتصاد عماد الدولة وعنصرا اساسا في قيامها فانه توجب على بلاد اليونان ان تجد لها مجالات اخرى للتوسع وجلب الثروة والرخاء الى البلاد(٤) "قد كتب ايزوقراط ، عن سكان بلاد اليونان من الجند الذين هم جند والا اصبحوا من العاطلين الذين امكن استخدامهم لاستعمار اسيا الصغرى"(٥) وبالفعل ادت هذه الظروف الى ارتفاع نسبة البطالة وتفاقمها بشكل متزايد خاصة بين العمال الذين يعملون في الورشات فبدأ الاغريق يعملون على ايجاد بدائل لذلك، فركبوا البحر واصبحوا قراصنة ومرتزقة لدى الاجانب(٦) .

اثر هذا الواقع الاقتصادي في المجتمع الاغريقي أيما تأثير على اساس ان النظام الاجتماعي لاي مجتمع غالبا ما يخضع الى منظومة قانونية تصيغ علاقات الافراد مع بعضهم البعض من جهة وعلاقتهم بالدولة التي تحكمهم من جهة ثانية ولما كانت قوانين المشرع اليوناني متطابقة تطابقا تاما مع بعضها وتشمل مختلف المدن اليونانية الرئيسة وقتئذ في مجال "حبس العقار على الاسرات" فان هذه العقارات بالنسبة للمواطن الاثيني أو الاسبارطي أو الطيبي أو غيره لا تفي بالغرض المطلوب وهو سد حاجيات ومتطلبات العائلات المعيشية ومن ثم كان لابد على المواطن الاغريقي ان يجد له مواطن ومستقرات جديدة خارج البلاد، فراح يهاجر الى اصقاع بعيدة شرقا وغربا طلبا لهذه الغاية وكانت هذه الاجراءات ذات هدفين ، فقد تأخذ منحى سلمي باستقرار مجموعات مهاجرة في ارض معينة خارج بلاد

---

(١) توينبي ، ارنولد، المصدر السابق ، ص١٣٢.

(٢) احمد ، علي عبد اللطيف ، التاريخ اليوناني في (العصر الهلادي) ج١، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص٢٠.

(٣) عياد ، محمود كامل ، تاريخ اليونان ، ج١، دمشق ١٩٦٩ ، ص١٢٥.

(٤) عكاشة، علي وآخرون، المصدر السابق، ص٩١.

(٥) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية، ترجمة : عبد العزيز جاويد ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص١٧.

(٦) عكاشة ، علي واخرون، المصدر السابق، ص٩١.

اليونان وتصبح ملكا لها بعد ان تستعمرها وتنشر فيها خصائصها الحضارية وقد تأخذ منحى عسكري حربي بان تقدم احدى المدن في بلاد اليونان أو بلاد اليونان كله ممثلا في دولة واحدة[١].

على ان تبسط نفوذها العسكري والسياسي كليا أو جزئيا على منطقة خارج حدودها وتقيم فيها مستعمرات ومستوطنات تنشر من خلالها ما تريد ان تنشره في هذه البلاد أو تلك من عناصر حضارية مختلفة ومتنوعة هي في الاصل وليدة الحضارة الاغريقية المختلفة نوعيا على الحضارات الاخرى مثل ما حصل بعد الغزو الاغريقي للشرق اثر حملات الاسكندر الحربية وما بعدها. كانت ترمي الى تغيير ملامح الشرق الحضارية ونهب خيراته بعد الهيمنة عليه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا[٢] اذن فالغزو قد يشمل كل هذه العناصر الحضارية مجتمعة ويصبح بذلك صراعا حضاريا شاملا، وفي واقع الامر اذا ما تتبعنا حيثيات هذا الصراع الذي قام ابان منتصف القرن الرابع وما بعده بين الهيلينيين والشرقيين نلاحظ وجود جذور تاريخية وسياسية اثرت على نفسية المواطن الاغريقي ليس فقط الحاكم السياسي أو الانسان العادي وانما تعدته لتشمل شريحة مثقفة من الفلاسفة والمفكرين الكبار في العالم الاغريقي . وأدت الاوضاع السياسية في بلاد اليونان إلى تفاقم الازمة مما دفع السكان إلى الهجرة خارج البلاد بسبب هيمنة الطبقات الارستقراطية على الوضع الاقتصادي وصراعها فيما بينها[٣]، اضافة الى ذلك فقد تتعرض البلاد الى فتن واضطرابات سياسية أو حروب ومنازعات –تحدث بين هذه المدينة أو تلك– يكون ضحيتها المواطن العادي مما يشكل خطرا مستديما على النظام أو الحكومة السياسية القائمة فيضطر الى مغادرة البلاد نحو افاق اوسع وارحب[٤].

لاشك ان وراء الاسباب الداخلية السالفة الذكر اسبابا وعوامل اخرى تاريخية ونفسية كان لها الاثر البالغ في قيام الغرب اليوناني بغزو الشرق الاسيوي ، تلك هي تدخل بلاد فارس المستمر في شؤون بلاد اليونان الداخلية منذ القرن الخامس ق م. فقد كانت بلاد فارس تمثل بالنسبة لليونانيين العدو التقليدي الذي كان دائما يشكل خطرا على حدودهم الشرقية "وهذا ما ادى الى قيام الحروب الفارسية التي خاضها الاغريق ضد الفرس في الفترة الواقعة بين ٤٩٠–٤٧٨ ق.م"[٥] حيث دارت معارك ضارية بين الجانبين كانت وطأتها كبيرة على اليونانيين وخاصة مدينة اثينا كانت منطقة اسيا الصغرى ساحة حرب ومنطقة "مجال حيوي" وصراع دائم بينهما بسبب المدن اليونانية الواقعة في اسيا الصغرى والتي كثيرا ما كانت تدور في فلك النفوذ الفارسي "الذي كان يعتمد على الطغاة في حكم اسيا

---

(١) فهمي محمود، تاريخ اليونان، ط١ ، ١٩١٠ ، ص٩٧–٩٨.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) عياد ، محمود كامل ، المصدر السابق ، ص١٥٢.

(٤) فهمي، محمود، المصدر السابق، ص٩٨.

(٥) العسلي ، بسام ، المصدر السابق، ص٥٩–٦٠.

الصغرى"[١] ولما كان اليونانيون ولاسيما الاثينيون منهم ينظرون الى هذه المدن على انها يونانية الأصل فان قيام حروب بين الاثنين بات أمرا حتميا . لقد عانت الدول اليونانية كثيرا من التسلط الفارسي وتدخل هؤلاء في شؤون بلاد اليونان اكثر من مرة وكانت الحروب سجالا بين الدولتين والسبب في ذلك يعود الى ان الفرس كانت لهم اطماع توسعية على تخوم بلاد اليونان ولاسيما في اسيا الصغرى وكان من نتيجة ذلك ان قامت بين الطرفين حروب ثلاثة سميت بالحروب المادية[*] (٤٩٠-٤٤٩ ق.م) وقد استنزفت هذه الحروب كلا الجانبين الفارسي والاغريقي وقد كان الضرر الذي لحق ببلاد اليونان اكبر في هذه المعارك[٢].

كانت العلاقات بين اثينا والمدن الايونية في اسيا الصغرى جد وطيدة، وقد وقفت اثينا في وجه التقدم الفارسي في هذه المناطق وقدمت العون للثوار في ايونيا ضد التواجد الفارسي هناك الشي الذي اغضب الملك الفارسي دارا الثاني (٤٢٣-٤٠٥ق.م) وحنق على اثينا وعند انتهاء الثورة بدا الملك يستعد لغزو اليونان انتقاما من اثينا وقد جهز أسطولا بحريا ضخما لذلك في الوقت الذي بدا بتطويق مدينة اتالوس فاجأته عاصفة بحرية كبيرة حطمت اسطوله وقضت على الحملة[٣] .

ويبرز التسلط الفارسي على المدن اليونانية ايضا في حروب البيلوبونيز (٤٣١-٤٠٤ ق.م) ودسائس الفرس للتفريق بين اليونانيين[٤] وكان تدخلهم ايضا بين سنتي (٤٠٤-٣٧٩ ق.م) في عصر نهضة اسبارطة وعقد هذه الاخيرة تحالفا مع الفرس ضد الدويلات اليونانية وخانت بها عهد اليونان عام ٣٨٧ ق.م وفيه كانت حملة العشرة الاف اغريقي المرتزقة الذين اصبحوا يعملون في خدمة الملك الفارسي كيخسرو[٥].

وبمجيء منتصف القرن الرابع ق.م بدات تظهر في بلاد اليونان حركة تزعمها العديد من الفلاسفة والمفكرين الاغريق تنادي بوضع حد للتسلط الفارسي على بلاد الاغريق ومجابهتهم في عقر دارهم لاسيما وان الظروف العامة بدات تسير نحو الاحسن، ذلك انه نتيجة للسياسة التي انتهجها الملك فيليب في بلاد اليونان ومحاولته توحيدها تحت زعامته وطموحاته في غزو بلاد فارس والشرق بدأ بعض الفلاسفة من امثال ايزوقراط يؤيدون مثل هذه الاجراءات والمشاريع، خاصة وان الخطر

---

(١) المصدر نفسه ، ص٦٠ .

(*) هي الحروب الثلاثة التي نشبت بين الفرس وبلاد اليونان بسبب اسيا الصغرى قامت الحرب الاولى عام ٤٩٥ والثانية عام ٤٨٠ والثالثة عام ٤٤٩ ق.م .

(٢) فهمي ، محمود ، المصدر السابق، ص١١٨-١١٩.

(3) Betten Francis S, The Ancient world from the earliest times to 800 AD , part – one, New york , P. 171-172 .

(٤) فهمي ، محمود ، المصدر السابق ، ص١٦٩.

(٥) فهمي ، محمود ، المصدر السابق ، ص١٨٣.

الفارسي منذ اعتلاء ارتحشتشا الثالث عرش فارس ٣٥٩ ق.م بات في ازدياد وتفاقم ويعتبر إيزوقراط، الفيلسوف والمفكر والمدافع عن حقوق الاغريق في الوحدة والحرية والاستقلال من ابرز الناشطين الداعين الى وحدة الاغريق والتصدي للصلف الفارسي "وكانت الرسالة التي بعث بها ايزقراط الى العالم الهيليني هي الوحدة الاغريقية وتكوين جبهة عسكرية دفاعية (symmachia) من جيوش اثينا واسبارطة وطيبة وباقي الدويلات اليونانية والقيام بحملة غزو ضد الفرس في عقر دارهم"[١].

ولكي يشحذ همم وإرادة الملوك فقد بادر هذا الفيلسوف بارسال العديد من الرسائل الى الملك فيليب ملك مقدونيا باعتباره الاقوى في بلاد اليونان يحثه فيها ويبارك مشاريعه بخصوص وحدة الاغريق والتصدي للفرس[٢].

وقد التقت اراء ايزقراط هذه مع كل من اراء وافكار افلاطون وارسطو فقد قال افلاطون "بان البرابرة هم اعداء بالفطرة ومن الضروري ان يشن عليهم الاغريق حربا حتى ولو ادى الامر الى استخدامهم ارقاء أو إبادتهم"[٣] اما الفيلسوف ارسطو فقد صرح بان "الحرب ضد البرابرة (أي غير اليونانيين) هي حرب عادلة وطبيعية"[٤] ، وهكذا يبدو لنا جليا ان التحضير للحملة العسكرية ضد فارس والشرق قد سبقته تحضيرات فكرية ونظرية ، اول من كان يدعو اليها هم نخبة من المجتمع اليوناني الذين اجمعوا على ان الحرب على من سواهم من الشعوب (البرابرة) هي طبيعية وضرورية وعادلة وقد تقبل المواطنون الاغريق هذه الافكار ورحبوا بها وتبنوها وايدوا قادتهم ومفكريهم فيما ذهبوا اليه[٥].

ومما يدل على ان هذه الافكار قد تجسدت فعلا على ارض الواقع ابان الغزو المقدوني للشرق هو البيان السياسي الذي صدر عن الاسكندر فيما بعد وخلال حملته العسكرية في مدينة ماراثوس بعد انتصاره في ايسوس عندما رفض عرض الملك الفارسي في الصلح حيث كانت مضامين هذا البيان السياسي تؤكد على "الاضرار التي لحقت بمقدونية وبلاد الاغريق نتيجة الحروب الفارسية – اليونانية ، وانه أي الاسكندر – باعتباره قائدا اعلى للحلف الاغريقي فانه يقوم الان بالثار والانتقام لهذا العمل"[٦] فيما بينها .

---

(١) الناصري ، سيد احمد ، علي، المصدر السابق، ص٣٦٧-٣٦٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٨.
(٣) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص١٥٩ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) العسلي، بسام، المصدر السابق، ص ٥٩-٦٠ .
(٦) المصدر نفسه، ص٧٠.

ولكن هل صحيح ما اعتقده بعض الفلاسفة اليونان مثل افلاطون وارسطو وغيرهما بان "للهيلينيين حقا فطريا في الغزو والفتوح" لانهم ولدوا احرارا بينما ولد الاخرون عبيدا[١] ؟ .

تذكر بعض المصادر التاريخية – انه تم العثور على مقال يبحث في تأثير البيئة الطبيعية على تكوين الشخصية بين وثائق مدرسة الفيلسوف ابقراط تعود إلى احد الكتاب قبل فترة ارسطو بحوالي مائة سنة يشير فيها كاتبها" بصدق بالغ وبصيرة نافذة" ، "إلى ان الشعوب غير الهيلينية التي تقطن البلاد المتخلفة لا تقل سموا في الروح أو تعشقا للحرية عن الهيلينيين انفسهم وقد دلت نتائج الغزو الهيليني على صحة هذا القول، والحقيقة ان مبدأ حق الهيلينيين الطبيعي في السيادة على (الاجناس الأخرى) لم يكن الا ذريعة للعودة إلى مثل حالة اضطهاد اسبارطة لعبيد الأرض"[٢].

---

(١) توينبي، ارنولد، المصدر السابق ، ص١٣٣.

(٢) المصدر نفسه .

الفصل الأول

الغزو اليوناني لبلاد الرافدين

١. استعدادات الجيش المقدوني وبداية اطوار الحملة العسكرية على الشرق :

تعود البدايات الاولى في الاعتناء بالجيش المقدوني وتكوينه الى عهد فيليب الثاني ملك مقدونيا، الذي حرص كل الحرص على ان يجعل مقدونيا اقوى الدويلات اليونانية عندما أدرك الامكانيات الاقتصادية والبشرية الهائلة لبلاده وتوجيهها لخدمة الجيش والمجتمع[١]. ان الاموال الهائلة التي جمعها فيليب لبناء جيشه ومن ثم تطويره يعود مصدرها بالاساس الى مناجم الذهب التي استخرجها من بانجايوس[*] وذلك في سبيل "بناء مؤسسة عسكرية قادرة على تنفيذ مشاريعه السياسية مستقبلا"[٢] فقد اصاب التطور والاستحداث الجيش المقدوني الذي رام فيليب ان يدخله عليه ليكون قويا ومتماسكا ، فقد كانت النخبة المؤلفة من هذا الجيش والمتمثلة بقوة الفرسان مصدرها ابناء العائلات النبيلة والارستقراطية التي كانت تمثل الدعامة الاساسية في اعداد وتجهيز هذه النخبة من الفرسان والمعدات الحربية الجديدة والمستحدثة، هذا وفي نفس الوقت شهدت فرق المشاة اهتماما موازيا لفرق الفرسان بان عمد فيليب الى ادخال انواع من الاسلحة الجديدة الصنع وتشكيلات عسكرية متطورة زود بها فرق المشاة .

ان هذه التقنيات الجديدة التي جاء بها فيليب ولاسيما ما ادخله على صنف المشاة والتشكيلات العسكرية ما هي الا تلك السياسة العسكرية الاثينية والطيبية المستحدثة. فبهذا التسليح والتشكيلات تمكنت اثينا في حربها الانتقامية ضد اسبرطه من تمزيق صفوف تشكيلات الفرق التابعة لاسبرطة، وكان القائد الاثيني المعروف في هذه المعركة هو افيكراتيس (Iphicrates)[٣] الذي "اتخذ نموذجا جديدا من المشاة خفيفي التسليح المزودين بالحراب ذات الطعنات النافذة يفوق في قوته تشكيل (حملة التروس) بسيوفهم ذات الطعنات الواخزة وقد كفل هذا النمط الجديد للجندي حرية استخدام رمحه بكلتا يديه نظرا لان يده اليسرى قد ازيح عنها عبء ذلك الترس التقليدي الدائري

---

(١) باقر، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج٢ ، ط١ ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص٤٣٩ .

(*) بانجايوس وهي منطقة جبلية في تراقيا غنية بمناجم الذهب وقد استغل فيليب هذه المناجم في بناء قوته العسكرية .

(٢) توينبي ، ارنولد ، المصدر السابق ، ص١٢٧ .

(٣) المصدر نفسه .

الثقيل"[١] واستبدل بنوع اخر من التروس صغير وخفيف الوزن يستخدم في اليد اليسرى والى جانب ذلك استطاع فيليب ان يجهز فرقا تتكون من المشاة ذات التسليح الاثيني العالي .

تعد سياسة فيليب العسكرية هذه الاساس الذي ارتكزت عليه سياسة الاسكندر التوسعية فيما بعد داخليا وخارجيا فقد امكن لفيليب ان يضمن لمقدونيا وبلاد اليونان قوة عسكرية توحدهم وتمنع عنهم شر (البرابرة) الفرس[٢] وقد دخل فيليب في حروب طاحنة ضد الدويلات اليونانية لمدة خمسة عشرة سنة توجت اخيرا بانتخابه قائدا عاما لجميع اليونانيين في مؤتمر كورنثه للقيام بحملته على بلاد فارس وسحق الجيوش الفارسية المتواجدة في ايونيا التي تمكنت من صد هذه الجيوش ومعرفة مواطن ضعفها وقوتها الشي الذي ادى الى توحيد المقدونيين واليونانيين صفوفهم وقوتهم وتوجيهها ضد الامبراطورية الفارسية[٣] ، الا ان الاقدار لم تشا لفيليب ان ينفذ خططه هذه فقد تم اغتياله عام ٣٣٦ ق.م لاسباب غير معروفة وقد ورث ابنه الاسكندر اضافة الى الحكم والادارة اعباء هذه السياسات والمتمثلة اساسا في خطط والده وسياسته الاستراتيجية تجاه الشرق وامكانية غزو او ايقاف الاعتداءات المتكررة التي كانت الدولة الفارسية تقوم بها من حين الى اخر على الدويلات اليونانية ، ولتنفيذ هذا المشروع الاخير بدا الاسكندر تحضيراته واستعدادته العسكرية نيابة عن بلاد اليونان وممثلا لها في مؤتمر كورنثة الذي انتخبه قائدا للحملة[٤].

وقد بدا الاسكندر باتخاذ اجراءات ترتيبية وتنظيمية سواء فيما يخص الاوضاع الداخلية في بلاد اليونان او بخصوص تنظيم الجيش المعد للحملة ففي بلاد اليونان شهدت سنة ٣٣٤ ق.م بداية الانطلاق من مدينة بيلا بصحبة جيشه المؤلف من قوات عسكرية[٥] "يزيد عددها على اثنين وثلاثين الفا من المشاة وخمسة الاف من الفرسان، كما نظم قوة اخرى لحماية مقدونيا اثناء غياب القوة الاولى عن البلاد وكانت قوة الحماية هذه مؤلفة من تسعة الاف من المشاة وستمائة من الفرسان"[٦] اوكل مهمة قيادتها الى القائد العجوز انتيباتر الذي كان الاسكندر يرى فيه اكفأ الشخصيات القيادية في تولي

(١) توينبي ، ارنولد ، المصدر السابق ، ص١٢٩-١٣٠.

(٢) المصدر نفسه ، ص١٣١ .

(٣) باقر، طه، المقدمة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٣٩ .

(٤) العسلي ، بسام ، المصدر السابق، ص٥٦ .

(٥) سرقس ، بحرجي ديمتري ، المصدر السابق، ص٢١٧.

(٦) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٥٦.

شؤون بلاد اليونان وحفظ الامن والاستقرار فيها[١] وفي نفس الوقت يتولى رئاسة حلف كورنثة نيابة عن الاسكندر[٢].

لقد دامت استعدادات الاسكندر في تجهيز هذه الحملة حوالي سنتين وهي مدة تبدو كافية لانجاز جيش سيتولى القيام بحملة خارج حدوده غير مضمونة العواقب[٣] لذلك كان هذا الجيش الذي اعده الاسكندر متنوع التجهيز ومتعدد التركيب فضلا عن كونه عالي التنظيم من خلال هيكليته ووظيفته وملحقاته .

ومثلما مر بنا سابقا فيما يخص عدد الجيش المعد للحملة من فرسان ومشاة توجد قوات من المشاة ضمن هذا الجيش تابعة للاسكندر ومؤلفة من المقدونيين الخلص ويصل عددها الى حوالي اثنا عشر الفا وفيلق عدده تسعة الاف جندي مقسمين الى ست فرق اقليمية[٤] كل فرقة منسوبة الى اقليم من اقاليم مقدونية الستة اما الفرق الاخرى الخاصة بحمل الدروع والتي تصل الى حوالي اربعة الاف فقد تم تقسيمها الى ثلاث فرق عسكرية[٥] .

ان حملة الدروع هؤلاء كانوا مزودين بسلاح ثقيل شأنهم شأن مقاتلي الفيلق وكانت وظيفتهم مهمة وهي التخفيف من الاعباء التي يقوم بها المشاة ذوو التجهيزات الثقيلة وكانت ضمن المشاة هذه فرقة تسمى الاجيما (agema) ودورها يتمثل في حراسة القائد العام للجيش وهو الاسكندر اما فرقة الفرسان فكانت توجد فيها فرقة معروفة يطلق عليها تسمية الرفقاء وقد كان هؤلاء يجندون من ابناء ملاك الاراضي الصغار في مقدونيا ثم تقسيمهم الى ثماني فصائل اقليمية[٦].

كان الجيش المقدوني ايضا مؤلف من مجموعة من المحاربين يضم جنود بلقانيون يشكلون نخبة مقاتلة وتحتوي هذه النخبة نفسها عددا من الخيالة التراقيين وهم يرتدون نوعا من السراويل الفضفاضة ويلبسون دروعا موشاة بالجلد وهؤلاء يقودهم ضباط من اصل مقدوني ، وكان دور هؤلاء الخيالة التراقيون في المعارك بمثابة البادئ والمستعد للغارات التي تتولاها فرق اخرى في الجيش المقدوني كما يقومون بحملات استطلاعية تستهدف معرفة قوات العدو وجس نبضها[٧].

---

(١) سرقس ، بحرجي ديمتري ، المصدر السابق ، ص٢١٧.

(٢) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر، ترجمة : زكي علي ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص٣٣.

(٣) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٥٩ .

(٤) باقر ، طه ، واخرون ، تاريخ ايران القديم ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٧٧ .

(٥) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

(٦) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص٣٤-٣٥.

(٧) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٥٦-٥٨.

اضافة الى ذلك توجد مجموعة من المقاتلين الثيساليين الشديدي القوة يصل عددها الى حوالي الفين[١] ويأتي بعد ذلك "مشاة من التراقيون واغريانيون مسلحون بالتسي والمرازيق وكذلك تريباليون واوجبيسيون وايليون (البانيون) وعددهم يقرب من سبعة الاف ويضاف اليهم حلفاء اغريق يضفون مظهر الوحدة الهيلينية على قوات الحملة"[٢] يمثلون الحلف الكورنثي ورغم ان عدد هؤلاء يصل الى حوالي ستمائة من الفرسان وسبعة الاف من المشاة الا انهم لم يحضوا بثقة تامة من قبل الاسكندر .

وقد جمع هذا الحلف ايضا فئة من المقاتلين "الاجريانيين الضاربين بالحراب والكريتيين الرماة والتراقيين وكان مشاة الحلف بوجه عام يستخدمون بصفة خاصة في الحاميات وفي المحافظة على خطوط المواصلات ولكن الرماة من الكريتيين الذي لم يكونوا من قوات الحلف كانوا لا غنى عنهم، شأنهم في ذلك شأن الاجريانيين انفسهم"[٣].

يأتي على راس هذا الجيش نخبة من القادة الضباط الى جانب الاسكندر في الكفاءة والقيادة العليا وهؤلاء هم اركان الحرب من ذوي الخبرة العالية في قيادة الحروب وادارتها علما بان قسم من هؤلاء الضباط الكفوئين كان الاسكندر قد ورثهم من عهد والده فيليب ولاسيما منهم بارمينيون وابنه فيلوتاس إضافة إلى انتيجونس وغيرهم[٤].

وتجدر الاشارة هنا وعلى ذكر الاسطول البحري الذي اعده الاسكندر والذي يندرج في اطار حملته العسكرية ، فان هذا الاسطول كان صغير الحجم مقارنة بالاسطول الفارسي، ولذلك لم يوله الاسكندر الاهتمام والعناية اللازمتين بل ولم يعول عليه كثيرا ويعتقد بان الحرب لا يمكن ان تحسم الا في معركة برية يكمن فيها تفوقه العسكري وقوته ، ورغم ذلك فقد جهز الاسطول البحري بحوالي ١٨٠ سفينة[٥] من بينهم ١٢٠ سفينة تبرع بها حلف كورنثة للحملة مع فرق عسكرية مختصة بحصار المدن المدن حيث يمكن لهذه الكتائب المختصة ان تبني جسورا من القوارب العائمة[٦] وكان هذا الاسطول عند بدء الزحف راسيا في مياه امفيبوليس[٧].

وللوقوف على حجم هذه الحملة العسكرية الكبيرة التي أعدها الغرب الاغريقي لغزو الشرق ومدى التنظيم الكبير والاستعدادات الشاملة الذي عرفته هذه الحملة يجدر بنا ان نتطرق بالذكر الى ما

(١) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص٣٤-٣٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٤-٣٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٣-٣٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٤-٣٦.

(٥) رستم اسد ، المصدر السابق ، ص٢١.

(6) Haywood, Richard. Mansfield , Ancient Greece and the neareast , New york , 1968, 1968, P.571 .

(٧) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٢١ .

رافقها من هيئات وملحقات اضافية اضفت عليها طابعا مميزا ، حيث ان هذه الحملة العسكرية شملت ليس فقط هذه الصنوف المختلفة من الجيش المقاتل بل ضمت ايضا هيئات ادارية ووظيفية ولجانا فنية كان الاعضاء المشكلون لها ذوو اختصاصات متعددة ومتنوعة ، وكانت كل هيئة لها رئيس خاص بها يتولى شؤونها بمعونة الاخرين من الافراد الاعضاء في كل هيئة كما كان يسير في تطبيق التعليمات على ضوء "مخططات الاسكندر العسكرية" وقد برز من بين هؤلاء عدد من الفنيين عرفوا بمهارات عالية في هندسة وتطوير المعدات والتجهيزات العسكرية ، وابرزهم في استحداث ادوات الحصار هو ديادس التسالي السالف ذكره ، كما كان دينو كراتس يمثل دور رئيس فرع الانشاء والتعمير وهي هيئة مختصة بوضع المخططات والاشراف على سير اعمال مشاريع بناء المدن الجديدة التي يريد الاسكندر بناءها في البلدان التي يحتلها، وقد احتوى جيش الاسكندر ايضا لجانا استخباراتية وظيفتها "جمع المعلومات عن الطرق والسهول المناسبة لاقامة المعسكرات واقامة الكمائن وتسجيل المسافات التي يقطعها الجيش في زحفه"[١].

اضافة الى ذلك احتوت هذه الحملة عددا كبيرا من رجال العلم والادب وبعض الفلاسفة الذين يبدو ان وجودهم فيها كان بايعاز من معلم الاسكندر ارسطو[٢]، فنجد الفيلسوف كليثسينس (callisthencc) وانكسرخوس (Auaxarchus) وتلميذه بيرون (Pyrrhon)[٣] كما رافقت هذا الجيش جملة من الجغرافيين والمؤرخين والمختصين في مجال علم النبات والتربة والحيوان[٤].

ان هذه الحملة العسكرية الكبيرة والشاملة كانت ايضا تحتوي على سجل رسمي يتم فيه تدوين جميع الامور المتعلقة بالحملة والتي تحدث يوميا وذلك في شكل جريدة تصدرها الهيئة الادارية للجيش[٥].

هكذا اذن بدت استعدادات الاسكندر العسكرية قبل انطلاقه في حملته على الشرق وعندما حان موعد انطلاق الحملة كان الاسكندر يقوم بنظرة اخيرة يتفحص العتاد والمعدات فقام بمراجعة الخطط اللازمة لذلك في جو يسوده التعجب من قبل قواده الكبار "وعند مطلع كوكب السماك الرامح من سنة ٤٤٢ الاولمبية[*] تحرك الجيش المقدوني سالكا طريق الملك باتجاه مياه الدردنيل وكان الاسكندر يسير

---

(١) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٥٨-٥٩.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٢١.

(٤) العسلي ، المصدر السابق ، ٥٨-٥٩.

(٥) باقر ، طه واخرون ، تاريخ ايران القديم ، المصدر السابق ، ص٧٧.

(*) أي سنة ٣٣٤ ق .م ، فقد بدات الالعاب الاولمبية سنة ٧٧٦ ق .م .

في صفوف القطعات المتحركة وسط الغبار وجواره البيوكيفالس يسير وراءه وقد امسك سائسه بزمامه"[١].

٢. عبور الاسكندر إلى آسيا وموقعة غرانيكوس :

تمثل معركة غرانيكوس اولى المعارك في عمليات الاسكندر العسكرية في اسيا الصغرى فهي المعركة التي مهدت السبيل لبقية المعارك الاخرى التي خاضها الاسكندر على ارض اسيا وممتلكات بلاد فارس ، وقد سبقت هذه المعركة مجموعة من الاجراءت التي قام بها الطرفان اليوناني والفارسي قبل بدء الحرب ، وتتمثل هذه الاجراءات في الجانب المقدوني باستدعاء القائد بارمانيون في عام ٣٣٥ ق.م من سواحل البوسفور بصحبة عدد من جنوده وقد عمد هذا الاخير الى ترك حامية عسكرية على هذه السواحل[٢].

وتجدر الاشارة الى ان بارمينيون هذا قد تم انفاذه في صحبة قوة عسكرية استطلاعية منذ عهد فيليب الى سواحل البسفور باعتباره اكفأ الجنود واحسنهم قيادة بهدف حماية سواحل البسفور وكان على راس جيش يصل عدده الى حوالي ٤٠٠٠٠ جندي بين خيال وراجل[٣].

امر الاسكندر القائد بارمينيون بالاستعداد لعبور الدردنيل (الهلسبونت) وفي هذه الاثناء قام بتقديم قربان يتمثل في ثور الى الالهة[٤] ثم قال "سنزحف على اسيا مع بزوغ النجم السماك وان الخطط موجودة لديكم فاجلبوها"[٥] "ووقف ينظر طويلا الى افق البحر الذي قد يكون في الحقيقة معاديا معاديا ولكنه قد يجد وراءه بعيدا في الشرق جبال البرايا نيسادس"[٦].

نجد على الطرف الثاني في المواجهة العسكرية المرتقبة الجيش الفارسي، الذي كانت احواله "خاضعة لظروف نظام الارض السائد لدى الفرس لا في اسيا الصغرى فحسب بل في سوريا الشمالية وارمينيا وربما في جميع انحاء ايران كلها، وكان الفرس قد تخلوا عن اسلوبهم القديم المتبع في نظام الحرب وهو الذي كان يقوم على نشر الاضطراب واشاعة الفوضى في صفوف العدو وصب نار النبال والسهام على حشوده ثم الانقضاض عليه بعد ذلك بقوة الفرسان وكان رماة النبال والسلاح من الفرس قد اصبحوا سلاحا ثانويا ، على ان الامبراطورية كانت تزخر بخير القوات من الفرسان في حين

---

(١) لامب ، هارولد ، الاسكندر المقدوني ، ترجمة : عبد الجبار المطلبي و محمد ناصر الصانع ، بغداد ، ١٩٦٥، ص١١٨-١١٩.

(٢) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٦١.

(3) Hogarth, D. G., The Ancient east , London 1945 , P 209.

(٤) سرقس ، بحرجي ديمتري ، المصدر السابق ، ص٢١٧-٢١٨.

(٥) لامب ، هارولد ، المصدر السابق ، ص١١٤.

(٦) المصدر نفسه، ص١١٤.

كان المشاة يرادفون اما اقنانا نصف مسلحين ممن لا صالح لهم في القتال او هم من رجال القبائل الذين يعتصمون بالتلال ولا تنقصهم الشجاعة ولكن يعوزهم النظام والتدريب"[١] رغم ان الجيش الفارسي كان كبيرا يصل الى اكثر من مائة الف في مناطق اسيا الصغرى وحوالي اربعين الفا موزعين على مصر وارمينيا وسورية وقليقية اما الاسطول الفارسي فكان يتفوق على الاسطول المقدوني تفوقا ساحقا حيث وصلت عدد السفن البحرية للفرس الى حوالي ٤٠٠ سفينة منها القبرصي والفينيقي ، هذا فضلا ان اوضاع الولايات التابعة لفارس كانت تشكو من التفكك والانحلال رغم ما يعتريها من وحدة ظاهرية وذلك بسبب تباين الشعوب الخاضعة لسلطانهم في اللغة والدين والجنس[٢].

انطلق الاسكندر بالقوة المعدة للحملة من مدينة بيلا الى مدينة سيستوس واستغرق مدة عشرين يوما، في حين نجد ان الملك الفارسي ارتحشتا، قد قطع نفس المسافة في غضون ثلاثة اشهر في الوقت الذي كان فيه بارمانيون ينظم نفسه لعبور الدردنيل[٣].

وفي ربيع عام ٣٣٤ ق.م عبر الاسكندر الدردنيل ومعه قوة قدرها اربعون الف جندي وبدا بغزو الامبراطورية الفارسية حيث كان يامل من وراء ذلك الى استمالة قلوب اليونانيين وتأييدهم له بكونه بطلا وممثلا عنهم في الثار من الفرس الذين كانوا دائما سببا في خراب بلاد اليونان واضرام النيران في معابدها[٤].

كان عبور الاسكندر للدردنيل موفقا وناجحا حيث كانت الظروف المناخية جيدة وملائمة لذلك[٥] لذلك[٥] ولما اقترب الاسكندر من البر الاسيوي رمى بسهم على الاراضي الاسيوية اشارة منه الى بداية بداية امتلاكه جزءا من ارض اسيا وتم النزول ، وكان اول الجنود الذين وطأت اقدامهم ارض اسيا الغربية[٦] باعتباره القائد العام للجيش المقدوني[٧].

توجه الاسكندر وعبر سهل طروادة وصعد مرتفعات اليون (Ilion) حيث قام بتقديم النذور في معبد اثينا الذي لا زالت اثاره صامدة كما قدم ذبائح اخرى الى كل من هرقل الذي ينحدر منه وأمر ان تنهض مدينة اليون من جديد من بين انقاضها ، بعدما توج ضريح جده اخيل ، ولان اليون ناصرته فقد

---

(١) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص٤١-٤٢ .

(٢) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٢١-٢٢ .

(3) Hammond, N. G. L, A. History of Greece to 322 . BC, Oxford, 1967 p. 604

(4) Botsford, George . Willis, A History of the Ancient World, New york, 1921, P. 270 –271 .

(٥) لامب هارولد ، المصدر السابق ، ص١٢٥.

(٦) سرقس ، بحرجي ، ديمتري ، المصدر السابق، ص٢١٧-٢١٨.

(٧) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص٣٩٩-٤٠٠.

منحها حقوقا في ادارة حكمها بنفسها ورفع عنها قيمة الضرائب التي كانت تدفعها ، وقد كان هذا يعني الشي الكثير بالنسبة لمدينة طراودة وبلاد اليونان ككل[١].

غادر الاسكندر مدينة طروادة متجها نحو المعركة وقد وصلته الانباء "بان قوات كثيرة قوية من الاسيويين تتحرك من الشرق... وبدا الاسكندر يزحف بهدوء مع المقدونيين على طول الارض الواطئة القريبة من البحر الساطع... ولما جاءت طلائع الاستكشاف تقول ان العدو صار على مرأى منهم انقسم المقدونيون الى فيلقين ووصلوا في الوقت الملائم بالنسبة اليهم الى نهر امتلأ بماء المطر، يصب في بحر مرمرة، هو نهر غرانيكوس ورأوا عنده لاول مرة فرسان الجيش الاسيوي"[٢].

كان الجيش الفارسي في الضفة الاخرى من النهر يصل عدده الى حوالي الخمسين الف مقاتل بين فارسي مجند ويوناني مأجور بقيادة ممنون الروديسي[٣] ممثل الملك الفارسي دارا الثالث بمنطقة اسيا الصغرى للتصدي لليونانيين، وقد تمركز هذا الاخير في موقع مناسب من ضفة نهر غرانيكوس... في حين وقف الاسكندر على الضفة الاخرى للنهر بقوات بلغ عددها حوالي ٣٧ الف جندي اغلبهم من المشاة[٤]. واخذ الحيطة والحذر بعد ان وضع الخطط اللازمة ببدء الهجوم ومباغتة قوات الفرس، فنظم قواته في الجناح الايمن والايسر الذي كان يقوده بارمينيون وعززهم بمجموعة من رجال الفيلق وحملة الدروع، أما الجناح الايمن فقد تولى الاسكندر قيادته بنفسه وهو يتألف من فصائل الفرسان الرفقاء "ورماة السهام والرماح وانطلق بهم للهجوم بالرغم من نصيحة بارمينيون بانتظار تحرك العدو"[٥].

وعند نهر غرانيكوس (Granicus) وبالقرب من طروادة (Troy) وبدون تردد عبر الاسكندر النهر تحت ظروف عاصفة من الرماح والسهام[٦].

وعند عبور النهر التحم الجيشان في معركة حامية الوطيس كان بأسها شديدا على الاسكندر وقواته اذ كاد القائد المقدوني ان يقتل في هذه المعركة لولا براعة وخفة قائده كلايتوس الذي انقذه من موت محقق ، ذلك ان الفرس كان هدفهم هو التركيز على الجناح الذي يقوده الاسكندر بهدف قتله وحسم المعركة لصالحهم[٧].

---

(1) Bury, J. B , op. cit, p.750-751 .

(٢) لامب ، هارولد ، المصدر السابق ، ص١٢٧.

(٣) الاعظمي ، علي ظريف ، تاريخ الدولة اليونانية في العراق ، بغداد ، ١٩٢٠ ، ص٥.

(٤) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٦١-٦٢.

(٥) المصدر نفسه .

(6) Botsford , G. W. , op. cit, P.279-280.

(٧) باقر ، طه ، واخرون ، تاريخ ايران القديم ، المصدر السابق ص ٧٦-٧٧.

كادت خطة الجيش الفارسي ان تنجح لولا الهجوم الناجح الذي شنته خيالة الاسكندر حيث أخذت الكفة تميل لصالحه تدريجيا بفضل فرسان مقدونيا ذوي العدة الثقيلة وفصائل الفلانكس[١] "وانتهى الامر بانهيار مقاومة الفرس الذين لم يتمكن رجالهم من حملة الدروع والنبال من الصمود في وجه فرسان الاسكندر المدرعين"[٢] .

وعلى أثر ذلك انهار الجيش الفارسي مع المرتزقة الاغريق وهرب قائدهم ممنون من المعركة[٣] وقد كسب المقدونيون المعركة وقتلوا كثيرا من اليونانيين المرتزقة في الجانب الفارسي، كما اسروا الفين منهم، حيث ارسلهم الاسكندر كعبيد يقومون بالاعمال الشاقة في مقدونيا واعتبارهم خائنين للحلف[٤] "ولاشتراكهم في جيوش معادية للاغريق والمقدونيين طبقا لقرارات مؤتمر كورنثة"[٥].

مرت معركة غرانيكوس باطوار عسكرية بالغة الاهمية وقد استخدم فيها الطرفان المتحاربان اساليب مختلفة في التنظيم والقتال ، ففي الجانب الفارسي كان القائد اليوناني في الجيش الفارسي قد وضع خططا حربية رام تنفيذها وفق ما يخدم التحركات الميدانية والمعركة وقد حاول هذا القائد الاستفادة من الوضع الميداني لنهر الغرانيق ومحاولته التركيز في هجومه على الجانب المهم والرئيس في الجناح الذي يقوده الاسكندر[٦] الا أن الجيش الفارسي مني بخسارة ثقيلة وفادحة في صفوفه، لا سيما في صفوف القادة من صنف الفرسان أما خسائر الاسكندر فعلى ما يبدو لم تكن كبيرة[٧].

"كان من نتيجة هذه المعركة ان استسلمت سارديس دون قتال وتقدمت المدن اليونانية بمبايعة الاسكندر معتبرة اياه محررها ونصيرها"[٨] ضد الاوليكاكيات[*] العميلة للفرس ، ان سقوط المدن اليونانية الواحدة تلو الاخرى لآسيا الصغرى تحت سيطرة الاسكندر جعلها تحضى بامتيازات خاصة من قبله، فقد منحهم حكومات ديمقراطية كما انكر عليهم من الناحية الاخرى الامتياز المتعلق بنفي الاقليات[٩].

---

(١) بترى ، أ ، المصدر السابق ، ص٥٥.

(٢) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٦١-٦٢.

(٣) المصدر نفسه .

(4) Haywood , R. M. , op. cit, p.572.

(٥) الناصري ، سيد احمد ، علي ، المصدر السابق ، ص٤٠٠-٤٠١.

(٦) المصدر نفسه ، ص٦١-٦٢.

(٧) بترى . أ. المصدر السابق ، ص٤٥٧.

(٨) الناصري ، سيد احمد ، علي ، المصدر السابق ، ص٤٠.

(*) الاوليكاركيات وتعني الاقليات اليونانية العميلة للفرس .

(9) Botsford, G. W. , op. cit, p 280.

ان استتباب الامر للاسكندر في اسيا الصغرى وكسبه ولاء وتبعية الدويلات فيها منحه امتيازات هامة في حربه المقبلة ضد التواجد الفارسي في هذه البقاع امن بذلك مؤخرته قبل ان يواصل حملته العسكرية، كما أنه الغى الاجراء المتعلق بامكانية التصدي للاسطول الفارسي بحرا بأن سرح "هذا الاسطول لعجز موارده عن تحمل نفقاته" وعدم فاعليته في تحقيق الاهداف المأمولة، في مقابل ذلك سيطر على أهم الموانئ التي يمكن أن يستخدمها الاسطول الفارسي وذلك لقطع الطريق عنه واضعاف فاعليته وحركته، ومن اهم هذه الموانئ التي سيطر عليها الجيش المقدوني ميناء هاليكارناسوس وافسوس وملطية[١] "ولان الاسكندر كان يؤمن ان المعركة الفاصلة بينه وبين الملك دارا هي معركة تقررها الجيوش البرية. وفي جوردين تلقى الاسكندر امدادات عسكرية من مقدونيا والحلفاء وتقدم صوب انكورا (Aucyra) (انقرة) ومنها جنوبا الى كبدوكيا وقليقيا حيث وضع يده على بوابات قيليقيا الشهيرة ثم استولى بعد ذلك على طرسوس (Tarsus)"[٢].

لقد تنفس الاسكندر الصعداء عندما وصله نبأ وفاة القائد اليوناني في الجيش الفارسي ممنون ذلك ان ممنون كان يمثل حجر عثرة امام تقدم الاسكندر وقواته. بل أن الاسكندر نفسه كان يخشى تحركات ممنون في هذه المناطق ولان هذا الاخير ايضا كان كثيرا ما يقوم في وجه الاسكندر بتحريضه للثورات ضده وخشية من ان يقوم بغزو بلاد اليونان لارغام الاسكندر على التراجع الى بلاد اليونان وحمايتها. وبذلك اصبح بمقدور القائد المقدوني أن يواصل عملياته العسكرية[٣].

---

(١) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٦٣-٦٤ .

(٢) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٠٠-٤٠١.

(٣) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٦٤.

٣. موقعة ايسوس (٣٣٣ ق.م) واحتلال سوريا ومصر :

واصل الاسكندر بعد انتصاره في معركة غرانيكوس مسيره نحو الجنوب وقد اتخذ سهل ايسوس الضيق الذي يؤدي اتجاهه الى سوريا ، وفي هذه الاثناء تمكن الملك الفارسي دارا الثالث (٣٣٥-٣٣١ق.م) ان يسبق القائد المقدوني الى هذا الموقع[١] وقد سبق للاسكندر قبل ذلك أن اوكل الى بارمينيون مهمة استيلائه على الممرات المؤدية الى سهل ايسوس ، هذا السهل الذي عن طريقه يمكنه من احتلال سوريا واخضاعها مع بقية المناطق المجاورة لها وذلك نظرا لما يتمتع به هذا النهر من مكانة استراتيجية من الناحية العسكرية وفي اثناء ذلك تمكن الاسكندر من تأمين جناحه باستيلائه على مدن قيليقيا وتلال طرطوس الا ان الانباء التي وصلت الى الاسكندر جعلته يغير من خطته وذلك بأن انضم الى وحدات بارمينيون وترك ايسوس وحالها وفيها عدد كبير من جنوده من الجرحى والمرضى ويعد خبر سماعه دارا الثالث في أرض سوريا من الاسباب التي دفعته الى تغيير خطته[٢] "وللتأكد من صحة هذه الانباء عقد الاسكندر جلسة مستعجلة مع القواد ثم خرج الى ضباط الافواج ليعلن لهم الانباء" وخاطبهم بقوله "انكم لم تروا الهزيمة ولن تهزموا الان"[٣].

كان الملك الفارسي دارا يتجنب الالتحام مع الجيش المقدوني خلال تحركاته تلك الا أنه كان ينوي أن يشتبك مع الاسكندر وجيشه بالقرب من نهر بيناروس وهو مكان صغير لا يسع لاحتواء جيش ضخم كالذي اعده دارا[٤].

وفي اثناء ذلك كان الملك الفارسي دارا الثالث يتعقب قوات الاسكندر محاولا رصدها فنزل في ايسوس حيث وجد عددا من المرضى والجرحى من جنود الاسكندر فأبادهم عن اخرهم "واصبح في وسع دارا ان يكره الاسكندر عن خوض المعركة ووجهه صوب قاعدة ارتكازه"[٥] وعلى نهر بيناروس (Pinarus) تمركزت قوات دارا التي كانت تتألف من عدد كبير من الحرس والفرسان ورماة النبال فضلا عن مجموعة من المرتزقة الاغريق والكارداكيين وحيث وصل عدد الفرس إلى حوالي ٦٠٠ الف مقاتل بضمنهم ٣٠٠٠٠ اغريقي مرتزق الا ان ذلك لم يثن عزم الاسكندر على خوض غمار الحرب بجيش وان كان اقل عددا من جيش دارا[٦]. (ينظر شكل ١) .

---

(١) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٠١.
(٢) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص٥٥-٦١.
(٣) لامب هارولد ، المصدر السابق ، ص١٥٣.
(٤) بترى . أ. المصدر السابق ، ص٥٦.
(٥) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص٥٥-٥١ .
(٦) المصدر نفسه ، ص٥٥-٦١ .

سبق وان اشرنا الى ان الاسكندر قد اخضع اجزاء من قيليقيا بعد ان شفي من الحمى التي اصابته عندما كان بالقرب من طرطوس ، كما تمكن من انهاء حرب اهلية في ماليوس ، وقد وصلته الاخبار في حينها أن قوات دارا متواجدة في شمال سوريا بالقرب من حلب وتمركزت على رأس خليج ايسوس وعمد الاسكندر الى قيادة جيشه ما وراء نهر ميراندوس وسهل ايسوس املا ان يجبر دارا على التواجد في موقع ضيق لا يسمح لجنوده بحرية الحركة الفعالة[١] "وكانت الحالة هذه تشبه بعض تلك التي في غرانيكوس كما كانت الخطة العامة للهجوم واحدة من المعركتين"[٢].

وقد ادرك الاسكندر الخطأ الذي وقع فيه دارا وجنوده ولذلك نجده يصرح امام جنوده قائلا "انكم لابد من ان تلتحموا مع خيالة وحكام اسويين ممن كانوا عند نهر الغرانيق، فستلتحمون هنا مع جيش من الفرس والميديين ، كامل العدة والعدد وعلى رأسهم الملك العظيم ، وستكونون محظوظين لانهم لا يستطيعون ان يستفيدوا من عددهم وعدتهم في هذه الجبهة الضيقة في حين تستطيعون انتم ان تستخدموا قوتكم الخارقة التي لا توازيها قوة، في ضربهم ، وعليكم الا تخشوا على الاجنحة لان البحر والجبال درعهم الحصين"[٣].

وفي صباح الاول من نوفمبر عام ٣٣٣ ق.م تقدمت قوات الاسكندر في شكل صفوف متراصة ومن ثمة اخذوا بالانتشار في خط واحد وهم يقتربون من نهر بيناروس ومرة اخرى كان جيش الاسكندر في اوج قوته، حيث يضم ٤٠.٠٠٠ راجل و ٥٠٠٠ فارس. منهم ٣٠٠٠ جندي مقدوني من المشاة و ٢٠٠٠ من المشاة الاخرين، اضافة الى ٦٥٠ خيالا من مقدونيا وتيسالي واليس كانوا قد انضموا الى قوات الاسكندر عند فريجيا وقيليقيا[٤].

في مقابل ذلك كان الجيش الفارسي تحت قيادة نابارزانيس (Nabarzanes) الذي يمثل بقواته القوة الضاربة الاساسية في الجناح الايمن للجيش وقد تمركز هؤلاء امام جناح الاسكندر الايمن بغية الهجوم عليه وتحطيم جيشه في ضربة واحدة، أما بالنسبة لرماة السهام فقد اتخذوا اماكنهم من جهة اليسار امام الكارداكيين في حين تموقع الجنود الخفاف في اقصى يسار جناح الاسكندر للالتفاف عليه وعرقلته عن الهجوم، اما دارا وحرسه الخاص فقد وقفوا خلف الوسط للجيش الفارسي، وقد سبق للاسكندر ان استولى على ممر يونان الاستراتيجي وعسكر فيه ذلك ان اخبارا وصلته تقول بأن قوات دارا الخاصة تتخذ مكانا لها وراء ظهره كان الاسكندر قد نظم صفوف جيشه بأن نشرها على خط قتال

---

(1) Hammond, N.G.L, op. cit, pp. 609 - 610.

(٢) بترى ، أ ، المصدر السابق ، ص٥٦.

(٣) لامب ، هارولد ، المصدر السابق ، ص١٥٣.

(4) Hammond, N.G. L, op. cit, P. 606.

يمتد على طول السهل ، وتذكر بعض المصادر بأن قوات جيش الاسكندر في ايسوس كانت اقل عددا من تلك التي حارب بها في غرانيكوس[١].

وفي غمرة حماسة قال الاسكندر لضباطه وجيشه "خوضوا هذه المعركة وستجدون في النهاية الجزاء الاوفى واعلموا ان مهمتكم بعد هذه المعركة ستقتصر على احتلال الاراضي الاسيوية"[٢].

وفي تشرين الاول من عام ٣٣٣ ق.م بدأت المعركة بين الطرفين[٣] وقد بدات بالاجريانيين الذين ردوا مجموعة من المقاتلين الفرس على اعقابهم الى التلول العالية وطاردوهم وقد ساعد ذلك الاسكندر على توجيه اوامره الى جيشه بالحركة صوب خطوط القتال وعلى اثر هجوم عنيف وكاسح قام به الاسكندر وخيالته تمكن من شل حركة النبالين ورماة السهام والكارداكيين الفرس وتشتيت فلولهم التي انهارت امام جحافل جيش الاسكندر[٤].(ينظر شكل ٢) .

وما ان رأى دارا ذلك حتى لاذ بالفرار من ساحة المعركة، تاركا وراءه عربته واسلحته وكنتيجة لذلك وقعت عائلته في الاسر وهي مكونة من والدته وزوجته وبنتاه كذلك استولى الاسكندر على قافلة تضم كنوزا كبيرة كان دارا قد ارسلها قبل ايسوس الى دمشق بهدف حمايتها، وفي الوقت الذي قيل للاسكندر بأن هذه عائلة دارا بعث بليونانيس ليقول لهم بأن دارا لا يزال حيا وسيعامل معاملة محترمة تليق بالملوكية[٥]، وفي اليوم التالي ونظرا للعدد الكبير من الجرحى في صفوف جيشه والذي وصل الى حوالي ٤٠٠٠ شخص فانه قام بزيارتهم في حين قام بدفن ٤٥٠ من القتلى، اما خسائر الفرس فلم تكن معلومة[٦]. اما الاسكندر نفسه فقد أصيب بطعنة سيف في فخذه[٧]. ادت معركة ايسوس الى نتائج هامة كان لها الاثر الواضح على سير الاحداث في اسيا والشرق ومنها انسحاب دارا وقواته وسقوط سوريا في يد الاسكندر واسر أسرة دارا بكاملها كما سبقت الاشارة الى ذلك، كما افضت معركة ايسوس بانضمام مختلف الاحزاب والحركات المعادية لمقدونيا الى صف الاسكندر وابدت تأييدها له[٨].

---

(١) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص٥٥-٦١.

(٢) لامب ، هارلود ، المصدر السابق ، ص١٥٣.

(٣) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٦٤-٦٩ .

(٤) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر، المصدر السابق ، ص٦٤-٦٩.

(5) Hammond, N.G.L, op. cit, P. 330.

(6) Botsford, G. W , op. cit, P. 280.

(٧) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٠١-٤٠٢.

(٨) المصدر نفسه .

اضافت معركة ايسوس ايضا عاملا غاية في الاهمية وهو ان المرتزقة الاغريق قد غادروا بلاد فارس عموما والاف منهم عبروا البحر الى بلاد اليونان خلال فصل الشتاء، فضلا عن ذلك اصبحت ابواب اقاليم غرب الفرات مفتوحة امام الاسكندر وقواته(١) .

وبعد انتصاره في معركة ايسوس اراد الاسكندر ان يوطد تواجده في سوريا والمناطق التي اصبحت تحت سيطرته فاوكل مهمة حماية خطوط المواصلات والمدن التابعة له الى مجموعة من القادة الكفوئين ثم اتجه نحو "الساحل السوري لحجب اية مساعدة عن الاسطول الفارسي المسيطر على بحر ايجه"(٢) .

تابع الاسكندر زحفه باتجاه الساحل لغرض محاربة الاسطول الفارسي على الارض، وخلال مسيره رفض العرض الذي تقدم به الملك دارا(٣) مفضلا متابعة غزو الامبراطورية الفارسية على الصلح الصلح خاصة وان الظروف الصعبة التي بدأ يلقاها التواجد الفارسي في الساحل السوري وقيام بعض حركات التمرد في وجهه نتيجة تقهقره امام المد المقدوني قد شجعت الاسكندر على المضي قدما في تطبيق مخططاته(٤) وبالفعل وعند اقترابه من المدن الفينيقية الواقعة على الساحل اللبناني لقي استقبالا وترحيبا كبيرين من هذه المدن باستثناء صور (Tyre)(٥). التي اكتفت بارسال وفد الى الاسكندر مبدية مبدية توددها له، ان هذا العرض الصوري للاسكندر لم يكن في حقيقته سوى جس نبض من قبل قادة صور وزعمائها لمعرفة نوايا الاسكندر الحقيقية او لعل أهل صور كانوا يتوقعون من الاسكندر في صورة تقديم ولائهم له – العدول عن دخول المدينة الا ان الاسكندر أصر على دخولها بدعوى تقديم القرابين للاله (ملكارت) وعندما تكشفت للصوريين نواياه الحقيقية أبوا الا أن يقفوا في وجهه وتقدم قواته نحو مدينتهم التي استعدوا لتحصينها من قبل وعلى اثر ذلك امر الاسكندر بضرب الحصار عليها(٦) لقد تفطن الاسكندر الى اهمية مدينة صور ومكانتها الاستراتيجية فاذا ما تم له دخول صور فبامكانه غزو مصر والشرق وقد صرح الاسكندر امام المجلس المقدوني قائلا لهم "لا يكون تقدم الحملة الى مصر مأمونا ما دام الفرس يمسكون بزمام السيادة على البحر" وقال ايضا "فاذا استولينا على صور فليس من مندوحة عن تحول الاسطول الفينيقي الينا ، لعدم وجود موانئ يذهب اليها ، فان يتم هذا نقبض على زمام السيادة على البحر وجزره ونستطيع عندئذ ان نتقدم الى مصر من غير ما جهد ...

---

(1) Hammond, N.G.L, op. cit, p. 330.

(٢) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٧١-٧٤.

(3) Hammond, N.G.L, op. cit, p. 330.

(٤) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص ٧١-٧٤.

(5) Hammond, N.G.L, op. cit, p. 330.

(٦) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٧١-٧٤.

ونستطيع عندئذ اذا ما عزمنا على ذلك ، ان نأخذ على عاتقنا القيام بالحملة برا الى بابل ونحن اكثر امنا، ذلك لاننا سنكون ممسكين بكل المدن البحرية والارض الممتدة الى الفرات"(١).

يبدو من كلام الاسكندر بأن هدفه كان بلا شك الوصول الى مدينة بابل التي كانت تمثل انذاك قلب الامبراطورية الفارسية فالسيطرة عليها يعني السيطرة على ايران والشرق البعيد ايضا وحتى مصر لم تكن هدفا بذاته يرنو اليه القائد المقدوني ويتجلى ذلك من خلال ما اعلنه لجنوده قبل اعطائهم الامر بضرب الحصار على صور بل كانت الغاية من الحملة هي غزو بابل برا ومن يتسنى له ذلك بامكانه ان يمسك "بكل المدن البحرية والارض الممتدة الى الفرات" على حد تعبير الاسكندر ذاته(٢).

وتجدر الاشارة الى ان دارا تقدم بعرض في تلك الاثناء الى الاسكندر وهو ان يتنازل له عن الاراضي الواقعة غرب الفرات ويدفع له ١٠٠٠٠٠ وزنة من الذهب ويزوجه احدى بناته اضافة الى عقد صلح صداقة يكون فيها حليفه مقابل ارجاعه له عائلته وقد اشار بارمينيون على الاسكندر بقبول الصلح قائلا له، لو كنت انا الاسكندر لقبلت هذا العرض فرد عليه الاسكندر بالقول بأنه يفعل ذلك لو كان هو بارمينيون(٣) وجد القائد المقدوني ان كل عروض دارا هي في متناوله ويستطيع ان يحصل عليها بدون صلح او تقديم تنازلات(٤).

واصل الاسكندر حصاره لصور المدينة الفينيقية العتيدة التي استبسلت في الدفاع عن وجودها امام القوات اليونانية وتمكنت من تحطيم الحامية العسكرية وقتل الاسرى المقدونين(٥) .

وخلال معارك ضارية بين قوات الاسكندر واهالي صور ابدى فيها اهالي صور شجاعة واستماتة نادرين في الدفاع عن مدينتهم تمكن الاسكندر بعد محاولات شاقة ومضنية وحصار دام اكثر من سبعة اشهر من اقتحامها ودخولها في تموز عام ٣٣٢ ق.م "بعد صمود بطولي خارق...وقد كان صمود مدينة صور في وجه الاسكندر ثم نجاحه في اخضاعها سببا دفع بعض المؤرخين الى القول بأن فتح صور كان اعظم عمل عسكري قام به الاسكندر اعظم غزاة التاريخ"(٦) وقد نكل الاسكندر بالمدينة واهلها شر تنكيل واتجه نحو غزة "وفي

---

(١) لامب ، هارولد، المصدر السابق ، ص١٨٣.

(٢) المصدر نفسه .

(3) Hammond, N.G.L, op. cit, p. 330.

(٤) ديورانت ول وايريل ، قصة الحضارة ، الشرق الأدنى ، مج١ ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٥٩.

(٥) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٠١-٤٠٢.

(٦) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٧١-٧٤.

عام ٣٣٢ ق.م سقطت غزة بعد مقاومة عنيفة" وقد مثل سقوط غزة نقطة تحول خطيرة في مجرى الحرب ، اذ اصبح الطريق الى مصر مفتوحا امام القوات المقدونية[١].

رغم ان غزة قاومت هي الاخرى الاسكندر بأمرة قائدها باتيس وصمدت لمدة شهرين الا انها استسلمت في النهاية للاسكندر الذي اعدم قائدها باتيس واستباح اهلها[٢].

بعد ان اخضع سوريا وحطم مدينة صور وغزة اصبح الطريق الى مصر امرا سهلا ويسيرا امام الاسكندر وقواته ، فقد دخلها في تشرين الثاني – اكتوبر عام ٣٣٢ ق.م دون مقاومة تذكر ولم يحاول الحاكم الفارسي فيها مازيوس ان يبدي اية مقاومة للجيش المقدوني، ويبدو ان الاستياء العام الذي عم الشعب المصري من الممارسات التعسفية التي كان يقوم بها الفرس في بلادهم هي التي دفعتهم الى اتخاذ موقف ايجابي تجاه تقدم الاسكندر ودخوله مصر، ذلك ان الفرس استهانوا بالالهة المصرية ووضعوا قيودا تمس من حرية ديانتهم وقد وجد المصريون ضالتهم في الاسكندر عندما استغل كره المصريين للفرس وقام بابداء الاحترام والطاعة للالهة المصرية فور دخوله المدينة[٣] ولذلك رحب به المصريون واعتبروه محررهم خاصة عندما منحهم الحرية الدينية وقدم القرابين لالهتهم، كما اعتبره كهنة معبد امون فرعونا للمصريين وذلك في عام ٣٣٢ ق.م وفي الحافة الغربية لنهر النيل اسس مدينة جديدة سماها الاسكندرية نسبة اليه والتي ستصبح فيما بعد ثاني اكبر المرافئ التجارية في البحر المتوسط الى جانب بلاد وادي النيل[٤].

كانت مصر حلقة ضمن الحلقات المسترسلة في عمليات الاسكندر العسكرية ولذلك قام بمغادرتها لملاحقة الجيوش الفارسية المتقهقرة شرقا وذلك بعد ان نظم المدينة عسكريا واداريا وماليا وجعل على حكمها واحدا من ضباطه وهو كليوفس وخرج الاسكندر من مصر باتجاه الشرق في ربيع عام ٣٣١ ق.م وعبر سوريا بعد ان ولى عليها احد قادته المسمى (الاومدون)[٥]. ومن سوريا بدأ الاسكندر استعداداته لغزو بلاد الرافدين ومما ساعده على تحقيق هدفه هذا هي الظروف الموضوعية العامة التي كانت تعيشها البلاد ولذلك وقبل الخوض في اطوار وحيثيات هذه الحملة لابد لنا من الوقوف على حقيقة الوضع العام الذي الم بالبلاد .

---

(١) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٠١-٤٠٢.

(٢) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٧٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص٧٤-٧٦.

(4) Hammond , N.G.L , Op.cit , P. 613 .

(٥) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٧٦.

٤. الأوضاع العامة في بلاد الرافدين قبل الاحتلال اليوناني:

أ. الأوضاع السياسية والادارية :

تعرضت مدينة بابل للاحتلال الفارسي الاخميني عام ٥٣٩ ق.م عندما دخلها الملك كورش الثاني (٥٣٨-٥٣٠ ق.م) محتلا ويعد هذا التاريخ بداية للهيمنة الفارسية على العراق التي دامت قرابة القرنين حيث انتهت هذه السيطرة عام ٣٣١ ق.م باحتلال الاسكندر المقدوني للعراق وبلاد فارس[(١)].

وعلى الرغم من ان هذا الاحتلال قد هيمن على مجمل الحياة العامة لبلاد بابل الا ان احوال البلاد الحضارية لم تشهد تغيرا جوهريا وذلك بسبب كون الحضارة البابلية-الاشورية كانت على درجة عالية من التقدم والازدهار والاصالة مقارنة مع حضارة الفرس الاخمينيين هذا فضلا عن السياسة التي رام الاخمينيون تطبيقها في إدارة الاقاليم التابعة لهم، عندما تركوا البلدان التي احتلوها تسير وفق نظمها وتقاليدها القديمة، مع فرض نظم ضرائبية عليها وتولية حكام من أصل فارسي على هذه البلدان للاشراف على شؤونها الداخلية[(٢)] حيث استهدف هذا الاحتلال مجموعة من العناصر كانت أسسها بالدرجة الاولى اقتصادية، كاستغلال الخيرات الزراعية وموارد البلاد المالية واستغلال المنجزات الحضارية وسيطرتها على أهم الطرق التجارية التي تربطها بالبحر الابيض المتوسط[(٣)] .

منذ بداية الاحتلال الاخميني للعراق بدأت الاسرة الاخمينية تشهد منازعات حادة بين ابرز قادتها فبعد وفاة كورش ومجيء ابنه قمبيز الثاني إلى الحكم الذي فتك بأسرته وقتل نفسه اخذت هذه الاسرة تتصدع بمجيء مدعي للعرش اسمه قمبيز أيضا الذي اصبح ملكا بعد ان ادعى بأنه اخا لقمبيز الثاني ، الا ان دارا بن هستاسبس الذي يتزعم احدى القبائل الاخمينية استطاع القضاء على هذا التمرد وأعاد الاستقرار إلى حد ما ، وتوخى سياسة الحكم المباشر في بابل التي قامت على الاستغلال والنهب ومصادرة الاملاك والاراضي[(٤)].

كانت سياسة الفرس الادارية في بداية عهدها تتبع التنظيمات الادارية ذات الاصول الاشورية في ادارة المقاطعات التابعة لهم حيث زادوا عدد الولايات فأصبحت ٢٠ ولاية من بينها مدينة بابل التي يحكمها وال يعينه الملك ويطلقون عليه اسم "ستراب"[(*)] . وكان هذا الاخير مرتبطا مباشرة ومسؤولا امام

---

(١) باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ط١، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص٥٧٢.

(٢) سليمان عامر ، والفتيان ، احمد مالك ، محاضرات في التاريخ القديم ، بغداد ، د .ت ، ص٢١٥.

(٣) الشيخلي عبد القادر عبد الجبار ، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ١٩٩٠، ص١٨٦.

(٤) العلي ، صالح احمد ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٢٣٧-٢٣٨.

(*) ستراب باليونانية وتعني الوالي أو المحافظ في الفارسية القديمة "خشاتربان" اي المرزبان المذكور في المصادر العربية.

الملك[١] كما اخضعت بابل والولايات الأخرى إلى ولاة عسكريين تم تعيينهم من قبل السلطة المركزية ، وهؤلاء مستقلون عن حكم الولاة خاصة بعد الثورات التي شهدتها مدينة بابل في وجه الاحتلال الاخميني ، مما ادى بقوات الاحتلال إلى ان تخمد هذه الثورات وتشن حملات تقتيل وتذبيح في بابل والبطش بأهلها وملاحقة الثائرين[٢].

كانت الاوضاع السياسية التي تمر بها الدولة الاخمينية عموما وبلاد بابل خصوصا تسير من سيئ إلى أسوأ وذلك بسبب سياسة الولاة التعسفية في إدارة شؤون بابل وعقم السياسة العامة التي تنتهجها الحكومة المركزية تجاه الاقاليم الخاضعة لسلطانهم ومن ضمنها بابل ، فالامبراطورية بدأ يدب فيها التدهور منذ ايام احشويرش الذي بدأ ينتهج سياسة مركزية بحصر اهتمامه بمعالجة الاوضاع الداخلية لبلاد فارس واهمال بقية الولايات وشملت هذه السياسة العراق ، ومما زاد من تردي الاوضاع هي السياسة الحربية التي كانت الدولة الفارسية تتبعها في الخارج ضد بلاد اليونان، وقد كانت لهذه الحروب نتائج خطيرة ومدمرة على اقتصاد الامبراطورية وولاياتها التي كانت المعين الذي لا ينضب في تمويل مشاريع الدولة الفارسية الحربية[٣] وكنتيجة لذلك لم تعد بابل مركزا للامبراطورية كما كانت من قبل حيث تراجعت مكانتها واصبحت مرزبانية يحكمها مرزبان فارسي يتمتع بصلاحيات واسعة في إدارة شؤون البلاد الداخلية وهذا ما أدى إلى مزيد من تدهور الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٤] .

بدأت الانشقاقات والمؤامرات تشق وحدة الدولة الفارسية كما اصبح ملوكها وولاتها التابعون لها يدبرون المكائد لبعضهم البعض فضلا عن ان مؤامرات القصر اصبحت من الامور المألوفة للوصول إلى مركز مهم في الدولة ، فقد أودت مؤامرة بحياة زوجة الملك الفارسي ارتحشتا في مدينة سوسة بعد ان دس اليها السم وخلال اقامة الملك في هذه المدينة عام ٣٩٥ ق.م قام بزيارته احد القادة الاثينيين المسمى كونون (conon) الذي كان يطلب المساعدة الذهبية لفارس في صراعه ضد اسبارطة هذا الصراع الذي ادى في نهاية المطاف إلى نتائج مرهقة ومدمرة لبلاد فارس رغم ان الملك الفارسي استطاع فرض السلام إلى حين لقد حاول الملك الفارسي ان يعيد أمجاد أجداده السابقين في اعادة بناء الامبراطورية وتقويمها الا ان جهوده تبعثرت بسبب ثورة شملت كل الاراضي الواقعة غرب

---

(١) ابراهيم ، جابر خليل ، "منطقة الموصل في فترة الاحتلال الاجنبي : الاخميني والسلوقي والفرثي" ، موسوعة الموصل الحضارية ، مج١ ، ط١ ، جامعة الموصل ، ١٩٩١ ، ص ١٢٨-١٢٩ .

(٢) ايفانز ، ج ، هيرودوت ، ترجمة : أمين سلامة ، د.ت ، ص١٥٧-١٥٨.

(٣) باقر ، طه ، المقدمة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٥٧٨.

(٤) لوكاس ، كرستوفر، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم ، الموسوعة الصغيرة، ترجمة : يوسف عبد المسيح ثروة ، عدد ٦١ ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٨٨-٨٩ .

نهر الفرات، ورغم ان الثورة سحقت الا ان الملك لقي حتفه عام ٣٥٨ ق.م فخلفه ابنه ارتحشتا الثالث واصبح التاج في ايدي المتعطشين للدماء ورغم استتباب الامن بصورة كاملة الا ان الدسائس والمؤامرات لم تنته ففي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ٣٣٨ ق.م دس السم للملك وتم استبداله بأبنه (Arexes) وهو رجل ضعيف الكفاءة في معالجة الطوارئ السريعة، ولكن قبل ذلك كانت اثينا والقوة المقدونية المتنامية باستمرار تقف بعناد في وجه مخططات فارس، وفي نفس تلك السنة التي اغتيل فيها ارتحشتا نجح الملك المقدوني فيليب من سحق المقاومة اليونانية الموجهة ضد قوته ، مستغلا بذلك موت الملك العظيم فبدأ يستعد للقيام بحرب هجومية ضد الامبراطورية الفارسية، كذلك تم دس السم للملك (ارتحشتا Arexes) في حزيران من عام ٣٣٦ ق.م فجاء من بعده دارا الثالث(١).

انه قبل هذه الاحداث بحوالي نصف قرن. بدأت مدينة بابل تشهد ظروفا سياسية متقلبة وغير مستقرة وذلك بسبب الصراع على الحكم الذي نشب بين الاخوين ارتحشتا الثاني وكورش الصغير، ذلك أنه بعد وفاة والدهما الملك دارا الثاني اخذت الأسرة الاخمينية بسبب نزاع الاخوين تتجه نحو الضعف والانحلال وقد ظهر ذلك من خلال محاولة كورش الصغير ازاحة اخيه من على سدة الحكم بتدبير مؤامرة لاغتياله والكيد له الا ان محاولته هذه باءت بالفشل وقد تجاوز الاخ الكبير ارتحشتا عن أخطاء أخيه وعفى عنه واعاده حاكما على منطقة ليديا بآسيا الصغرى الا ان كورش هذا أصر على النيل من اخيه والقضاء عليه ليتسنى له تولي العرش، وللوصول إلى مبتغاه فقد عمد إلى تجييش الجيوش من جميع الاجناس وسيره من عاصمته ليديا باتجاه ملاقاة أخيه في بابل ونزل كورش بقواته حتى وصل الفرات فعبره ودخل إلى العراق عبر موضع يسمى تفساح (thepsacus) وقد واصل كورش طريقه بمحاذاة الفرات ودخل بلاد بابل والتقى الاخوين عند الكناسة وفي هذه الموقعة قتل كورش الصغير وتشتت بقية قواته المكونة من المرتزقة الاغريق(٢).

هكذا كانت الظروف السياسية التي تعيشها الامبراطورية الفارسية التي بدأت في أواخر عهدها تشهد التفكك والانحلال ، فالفرس في عهدهم الامبراطوري الذي دام لهم قرنين لم يقوموا باعمال واجراءات من شأنها ان تحفظ كيانهم وممتلكاتهم المترامية الاطراف من التصدع كما لم يعملوا على تقليص هوة التباين بينهم وبين الأمم والشعوب التي كانت خاضعة لسلطانهم بل نراهم قد اكتفوا بما لديهم من الوسائل القديمة لادارة امبراطوريتهم ، هذا مما عجل بتقهقر هذه الامبراطورية هو السياسة العقيمة والمستبدة التي كانت تطبقها الحكومة المركزية تجاه الاقاليم التابعة لها ومن بينها العراق ، فقد

---

(1) Macqueen, James. G. , Babylon, London. 1964 , P. 223-224.

(٢) زينفون ، "زينفون وحملة العشرة الاف اغريقي" ، ترجمة : فؤاد جميل ، سومر ، ٢٠ ، ١٩٦٤ ، ص٢٢٧-٢٣٠ .

بـــــــــدأت اطمـــــــــاع الـــــــــولاة تتزايـــــــــد يومـــــــــا بعـــــــــد اخـــــــــر "واخذوا يقودون جيوشهم فيزيدون مواردهم كما يحلو لهم واخذوا يرهبون أو يبتاعون بالمال قواد الجيش وامناء الامبراطورية الذين ارسلوا إلى الولايات ليشتركوا مع الولاة في الحكم ويحدوا من سلطانهم وأوهنت الثورات والحروب المتكررة حيوية فارس الصغيرة"[١] وانعكست سياستها هذه على اقاليمها الاساسية التي تحكمها ومنها بلاد بابل بالوباء والدمار واصبحت ظروف البلاد الاقتصادية والاجتماعية تسير في اتجاه تنازلي اوصل البلاد إلى حافة التصدع والانهيار.

ب. الحياة الاقتصادية والاجتماعية :

لقد أثرت الظروف السياسية والادارية التي المت ببلاد بابل خلال الاحتلال الاخميني على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، فالحكام الفرس لجأوا إلى انتهاج سياسة ضرائبية ثقيلة ارهقت السكان حيث شملت هذه الضرائب كل بلاد الرافدين من شماله حتى جنوبه، فأنشأت لذلك دوائر ضرائبية يتولاها مرازبة فرس يقومون بجمع جزية سنوية قوامها الف وزنة من الفضة تقدم إلى الملك والسلطة الحاكمة، إضافة إلى ذلك فقد كان العراق يتحمل اعباء كبيرة وثقيلة في دفع ضرائب مرهقة بغية ارضاء إدارة الاحتلال، الشديدة الطمع حيث يورد هيرودوتس بأن بلاد بابل كانت تقدم يوميا "ارتابا" (حوالي مائة باوند) من الفضة وحوالي ١٦.٨٠٠ جوادا لمرزبان بابل وكانت اربع قرى تابعة لبابل تتكفل بتوفير طعام لكلاب الملك الهندية ، على حد تعبير جورج رو[٢].

لقد كانت الامبراطورية الفارسية امبراطورية عسكرية بمعنى الكلمة، كل شيء فيها خاضع للملك والجيش، وقد شاهدنا سابقا كيف ان الملك دارا قام بتنظيم إدارة امبراطوريته عندما قسمها إلى ستراببيات (ولايات) وهي نقطة ستوقف عندها قليلا ، حيث وجد الفرس اموالا هائلة في هذه الولايات كانت هذه البلدان تعتبر اقل قحطا وجفافا من الوقت الحاضر ، فقد مثلت من الناحية الاقتصادية المورد الاساس لخزائن مدينة سوسة، وبرسيبوليس الايرانيتين، لقد اشار كل من هيرودوتس وسترابو إلى هذه المسألة ، لقد كان الفرس مثال للضرائب المفروضة على البلدان الخاضعة لسلطانهم إذ يمكننا ان ندرج مداخيلا لبعض من الايرادات التي كان يستلمها الملك دارا من بلاد بابل وهي على النحو التالي[٣] :

لقد فرضت على بلاد بابل ما قدره ١٠٠٠ وزنة من الفضة تدفعها كل سنة هذا فضلا عن مؤن بحجم كبير تدفعها إلى الحكومة المركزية خلال اربعة اشهر من العام، وقد اورد هيرودوتس بأن والي بابل كان يجبي يوميا في حدود الارب الواحد من الفضة ويتم تزويده بما لا يقل عن ٨٠٠ حصان و

---

(١) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٢ ، مج١ ، المصدر السابق ، ص٤٥٦.

(٢) رو ، جورج ، العراق القديم ، ترجمة : حسين علوان حسين ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص٥٨٤-٥٨٥.

(3) Furon , Raymond. Liran , perse et Afghanistan Paris, 1951, p 56-57.

١٦٠٠٠فرس[1] إذن "فالفرس لم يكونوا في وضع يسمح لهم بأن يفلت البابليون من قبضتهم، فقد كانت بابل اهداء ودار صناعة للامبراطورية الفارسية والى ذلك كانت العقدة الرئيسة لشبكة المواصلات البرية الداخلية للامبراطورية"[2].

فقد جاءتنا نصوص من هذه الفترة تتعلق باستلام ديون الاقطاعيات والمزارع والاراضي التابعة للافراد والمؤسسات كالمعبد مثلا إضافة إلى تأجير بعض البيوت واستلام الايرادات حيث وردت في هذه النصوص بعض الحقائق حول حالة الافراد المالية وعلاقاتهم بالمؤسسات والملكيات العقارية والزراعية التي كانت تحت تصرف سلطات الاحتلال الاخمينية ، كما تعكس هذه النصوص حالة المواطن البابلي عندما يتعرض لضائقة مالية أو يفتقر إلى بيت يسكن فيه فيلتجئ إلى رهن أرضه أو احد ابنائه أو ايجار بيت بأسعار باهضة التكاليف وهو وضع مزري جدا كانت تعاني منه بلاد بابل آنذاك[3].

ان ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة كانت الظاهرة العامة في البلاد خلال الاحتلال الاخميني كما ارتفعت الايجارات خاصة بالنسبة للمنازل المتوسطة الحال من ١٥ شيقلا في الشهر الواحد إلى ٤٠ شيقلا بين سنتي (٤٦٥-٤٤٤ ق.م) وكنتيجة لذلك فقد استغلت العائلات المالكة والمرابون والصيارفة الكبار هذه الظروف، فتمكنت عائلة (موراشو) في نفر مثلا ان ترتهن قسما كبيرا من الاراضي المحيطة بالمدينة حيث كانت تمثل شركة تجارية من الدرجة الاولى هذا فضلا عن استغلالها المواطنين في مجالات أخرى كالصيد وبيع الاسماك واستئجار المواشي والقنوات ، حيث كانت اموال هؤلاء تأتي من القروض المالية التي تقدمها إلى الاشخاص المزارعين وملاك الاراضي بسعر فائدة يتراوح بين ٤٠/٧٠% وتدفع هذه الضرائب المترتبة عليهم إلى حكومة الاحتلال[4].

ان من أهم الظواهر الاقتصادية التي عرفتها فترة الاحتلال الاخميني للعراق هو استخدام العملات النقدية المسكوكة في التعامل التجاري ، فالاعمال التجارية...حيث يتم استعمال الذهب والفضة...فقد تم سك العملة الفارسية التي تسمى داريك (Daric) كعملة للعائلة الحاكمة فانها كانت على أساس النظام البابلي للاوزان[5].

---

(١) العلي ، صالح احمد ، المصدر السابق ، ص٢٤٢.

(٢) توينبي ، ارنولد ، تاريخ البشرية ، ج١ ، ترجمة : نيقولا زيادة ، بيروت ، ١٩٨١، ص١٨٩-١٩٠.

(3) Pritchard, James, Ancient near eastern texts, U S A. 1969, P. 221-222.

(4) Hilprecht , H.V, The Babylonian expedition of the University of Pennsylvania, series A., Cuneiform texts, vol. X, Business Documents of Murashu sons of Nippur, (Darius II 424-404 B.C) p. 22-35.

(5) Dalley Stephanie, “occasions and opportunities”, the legacy of Mesopotamia, oxford, 1998, p. 35.

ان الدور الذي تلعبه بابل في هذه الحالة يوضح اهميتها البارزة حيث يشير هيدروتس أن هناك ١٢ شهرا في السنة اربعة منها خاصة بايرادات أرض بابل تدفع للملك اما بالنسبة للثمانية اشهر الباقية ، فانها تجمع من بقية بلدان آسيا الاخرى[١].

وان الزراعة والصناعة والتجارة وهي الينابيع الثلاثة للثروة جعلت بابل المنطقة الاكثر ثراء للامبراطورية[٢] يمكن القول اجمالا بأن "التبدلات التي حدثت في العلاقات الزراعية وفي نظام الضرائب...كان يمثل ميزة خاصة ليس لبلاد بابل حسب بل على الاقل لاكثرية الاقطار الأخرى ذات المستوى العالي من التطور الاقتصادي التي ادمجت في الامبراطورية الاخمينية"[٣].

اما بالنسبة للحياة الاجتماعية فتمثلت في حدوث تغييرات سكانية ولغوية اصابت المجتمع بسبب هذا الاحتلال .

ففي الفترة التي سبقت التواجد الاخميني، كان سكان بابل بالاضافة إلى اهله الاصليين مزيجا من اقوام أخرى مثل الآراميين والمصريين واليهود الا انه بعد سنة ٥٣٩ ق.م دخلت إلى البلاد اقوام وعناصر عرقية أخرى جاءت من مختلف انحاء بلدان الشرق الادنى القديم، نظرا لما مثلته بلاد الرافدين من مكان جذب واستقطاب لسكان جدد بسبب غنائها وثراء اراضيها وخصوبتها، وقد تغلغلت اقوام عديدة انتشروا على أهم المناطق الغنية بمصادر الحياة والنماء فقد وفد الايرانيون والليديون واليونانيون والفريجيون واقوام عربية جاءوا من الغرب إضافة إلى العرب وعدة اقوام اخرى[٤] .

نستنتج من خلال سياسة الفرس الاقتصادية والمالية التي طبقوها في المجتمع البابلي بان هذه السياسة قد ادت إلى تقسيم المجتمع إلى فئات وطبقات اجتماعية فكانت طبقة النبلاء من الفرس والمتنفذين على راس السلطة والماسكين بزمام الحياة السياسية والاقتصادية والمالية في البلاد ، ثم تاتي طبقة النبلاء من البابليين أصحاب الاراضي الذين كانوا يسيرون في فلك الطبقة الاستقراطية الفارسية، اما الطبقة الثالثة وهي التي يتألف منها معظم المجتمع البابلي، فتتمثل في السواد الاعظم من العامة التي لا حول لها ولا قوة، وقد كانت هذه الفئة تعيش في وضعية مالية مزرية بسبب الضرائب المرهقة التي تفرضها عليهم سلطات الاحتلال وكذلك بسبب المديونية التي يمكن ان يتعرضوا لها إذا ما استأجروا بعض الاراضي الزراعية من احد الملاك الكبار[٥] ، "واخيرا فقد استعبد الاخمينيون كل

---

(1) Bevan, Edwyn. Robert, The house of seleucus, Vol I , London , 1966 , p. 243 .

(2) Ibid, p. 241.

(٣) جماعة من علماء الآثار السوفييت ، العراق القديم ، دراسة تحليلية لاحواله الاقتصادية والاجتماعية ، ط١، ترجمة : سليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٤٧٥.

(٤) جماعة من علماء الآثار السوفييت، المصدر السابق ، ص٤٥٤-٤٥٥.

(٥) المصدر نفسه ، ص٤٥٧ .

القبائل والسكان في مناطق ومدن كثيرة حيث ثار هؤلاء ضد الحكم الفارسي واغتصبوا اراضيهم وجعلوها ملكا للدولة"[١].

ج. الحياة الدينية والثقافية :

تميزت الحياة الدينية في بلاد بابل في فترة الاحتلال الاخميني في بداية عهده بالتسامح وعدم المساس بجوهر المعتقدات الدينية للبابليين وآلهتهم الرئيسة الا انه بعد تغلغل العنصر الايراني في بلاد الرافدين ولاسيما منهم طبقة الكهنة المجوس التي لقت تشجيعا من الملك ارتحشتا الأول على الاستيطان في بلاد بابل وخاصة علاقتها بالمعبد، بدأت المؤسسة الدينية تشهد بعض التغير وتتأثر إلى حد كبير بالقرارات الصادرة عن الملك الفارسي أو الطبقة الدينية الايرانية المتنفذة التي عملت على ان تستأثر بالمعابد وتتخذ منها أداة لفرض الضرائب الباهظة على السكان[٢].

ونهب العديد من الكنوز العائدة لملكية المعبد ، سواء أكان ذلك برضى الكهنة أو بدونه وقد ذكر هيرودوتس بان احد الكهنة البابليين قد تعرض لعملية قتل من قبل احشويرش ابن الملك دارا الأول الذي حاول سرقة تمثال من الذهب من معبد الاله مردوك يصل ارتفاعه إلى ١٨ قدم[٣] فقد كشفت لنا مجموعة من الوثائق العائدة إلى هذه الفترة ولاسيما المتأخرة منها ان الفرس كانوا متعصبين لديانتهم القديمة محاولين فرضها بالقوة على المجتمع البابلي وخاصة فيما يتعلق بعبادة إلاله اهورامزدا وطقوسه الدينية التي جاءت بها شريعته الافستا التي ادعى زارادشت انها نزلت عليه[٤] ومما نتج عن هذه السياسة الدينية ان العديد من البابليين قد سموا أبناءهم باسماء ايرانية تدخل في تركيبها الآلهة الايرانية[٥].

ان المعابد البابلية أصبحت في الفترة الاخمينية عبارة عن مؤسسة ضرائبية، مهمتها جمع الضرائب ودفعها لسلطات الاحتلال الاخميني . ففي هذا العهد اصبحت المعابد ملزمة بان تدفع إلى الدولة مقادير كبيرة من الضرائب في صيغة منتوج طبيعي... وان تقوم أيضا بتهيئة العلف للمواشي الملكية والاقوات لموظفي الدولة ولعمال المزارع الملكية إضافة إلى مهامها الأخرى والمتمثلة في تجهيز القصر باعداد كبيرة من الرقيق والمزارعين والرعاة والنجارين وغير ذلك ولكي تضمن السلطات

---

(١) المصدر نفسه ، ص٤٧٣.

(٢) العلي ، صالح ، احمد ، المصدر السابق ، ص٢٤٠.

(٣) الاحمد ، سامي سعيد ، "العراق في كتابات اليونان والرومان" ، الاستشراق ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص١٢٣ ، ينظر أيضا حول هذا الموضوع : Dalley , S. , Op . cit. , p37 .

(٤) الدباغ، تقي ، الفكر الديني القديم ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص١٨٤-١٨٩.

(٥) باقر ، طه ، المقدمة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٥٨٤-٥٨٥.

الاخمينية تنفيذ هذه الالتزامات اوجدت فرقا من الموظفين التابعين للقصر يقومون بضمان مراقبة سير هذه العمليات[١].

اما فيما يخص الحياة الثقافية في بلاد بابل فيمكننا القول ان مختلف الاقوام والاجناس التي استوطنت بلاد الرافدين في تلك الفترة لاسيما منهم الاقوام الارامية قد احدثت تغييرات لغوية وثقافية ملحوظة فكانت الحاجة ضرورية إلى وجود لغة مشتركة موحدة تجمع مختلف هذه الشعوب لان اللغات المحلية كانت عاجزة عن تأدية مثل هذا الدور باستثناء اللغة الارامية التي كانت واسعة الانتشار في غرب آسيا والتي يسهل تعلمها وكان دارا قد اعلن عن تبنيه لها رسميا كلغة عامة للامبراطورية المترامية الاطراف[٢].

كانت اللغة الارامية هي التي جاء بها التجار الاراميون من الغرب والذين كانوا يجوبون الاسواق في بلدان الشرق الادنى القديم ومن بينها اسواق بلاد بابل واصبحت هذه اللغة تدون بها مختلف الوثائق التجارية على ورق البردي لان الكتابة على الطين بدأت تزول شيئا فشيئا واتخذها الفرس لغتهم الادارية يدونون بها اعمالهم الحكومية وهي فضلا عن ذلك اصبحت لغة تخاطب دولية بين بلدان الشرق الادنى القديم[٣] ، الا ان ذلك لا يعني انعدام اللغات المحلية كاللغة الاكدية والفارسية القديمتين "حيث استمرت البابلية لغة تدوين النصوص الأدبية والبيئية والتاريخية ووثائق المعاملات التجارية والاقتصادية"[٤].

استنادا إلى ما ذكرناه حول طبيعة الظروف والحياة العامة التي المت بالعراق في فترة الاحتلال الاخميني يمكن القول بان هذا البلد قد اصبح في أواخر القرن الرابع ق.م بلدا منهكا مفقرا[٥] وهو ما مهد السبيل لقوة دولية جديدة اخذت تتطلع للهيمنة على العالم ابتداءا من هيمنتها على قلب الشرق المتمثل في أرض بلاد الرافدين ولكن القوة الدولية هذه المرة لم تات من الشرق كما هو الحال سابقا وانما جاءت من الغرب، من بلاد الاغريق بزعامة مقدونيا التي تقع في الشمال من بلاد اليونان ، وقد بدأت هذه الدولة كما ذكرنا سابقا حملاتها العسكرية لاكتساح الشرق فكانت حصتها قبل بلاد الرافدين كل من سوريا ومصر، بعد ان حقق الاسكندر المقدوني في هذه المناطق انتصارات ساحقة فتحت له الابواب امام بلاد بابل .

---

(١) جماعة من علماء الآثار السوفييت ، المصدر السابق ، ص ٤٧٣-٤٧٤.

(٢) رو ، جورج ، المصدر السابق ، ص٥٥١-٥٥٢.

(٣) برستد ، جيمس هنري ، انتصار الحضارة ، تاريخ الشرق الأدنى ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص٢٦٦.

(٤) باقر ، طه ، المقدمة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٥٨٥.

(٥) رو ، جورج ، المصدر السابق ، ص٥٥٣.

٥. معركة كوكميلة وغزو بلاد الرافدين :

ان موقعة كوكميلة ، او اربيلا كما يطلقون عليها[١] ، تمثل المعركة النهائية في حلقة الصراع المسلح الذي دار بين الجيش الفارسي والجيش المقدوني وهي التي حسمت الصراع والحرب بين الجيشين وقررت مصير اسيا والشرق الى أمد بعيد، ولكي نقف على ما كان لهذه الحرب من اهمية حاسمة في سير الاحداث سنلقي الضوء على استعدادات كلا الفريقين والاحداث التي رافقت ذلك[٢].

تعد المدة ما بين انتهاء معركة ايسوس وحتى توجه الاسكندر نحو الشرق لملاحقة التقهقر الفارسي بعد احتلاله مصر فترة استعدادات وتحضيرات عسكرية بالنسبة للملك الفارسي دارا الثالث فقد بدا باعادة تنظيم صفوف جيشه وبناء قوته العسكرية استعدادا لملاقاة الجيش المقدوني في معركة اخرى تكون حاسمة وفاصلة، وقد اصابت هذه التحسينات فرق الفرسان الذي يعتبر القوة الضاربة في الجيش الفارسي كما اعيد تسليحه بانواع جديدة من "الحراب القصيرة عوضا عن الرماح" وتعد هذه ميزة جديدة لها فاعليتها في اعطاء فرق الفرسان حركة اكثر في ساحة القتال عند الاشتباك مع العدو[٣] كان دارا قد فقد كل امل في الصلح مع الاسكندر ولذلك وجه اهتمامه الى اعادة تجييش الجيوش من جميع المناطق المتبقية تحت نفوذه وهذه المرة اعد جيشا اعظم من السابق واكثر عددا من قبل وصل الى المليون مقاتل ويجمع اقوام وشعوب مختلفة ومتعددة منهم بابليون ، وارمينيون وسوريون وكبدوكيون وغيرهم[٤].

في واقع الامر بالرغم من ذلك يبدو ان الجيش الفارسي كان يعاني من نقص كبير في عدد فرق المشاة الذي تقلص بعد ان تمت السيطرة للاسكندر على اسيا الصغرى وبلاد الشام حيث لم يكن في وسع الفرس في هذه المرحلة ان يحصلوا على جنود مرتزقة من الاغريق الذين كانوا يؤلفون اغلب فرق المشاة، الا انه رغم ذلك لم يكن هذا الجيش بمستوى اقل من الجيش المقدوني وانما كانت المشكلة التي لم يستطع حسمها وتجاوزها هي عزل ملكه دارا عن القيادة العامة للجيش في ميدان القتال وهو عين السبب الذي كان يقوده من هزيمة إلى أخرى[٥] أمام الجيش المقدوني الذي كان اكثر استعدادا

---

(١) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٨٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص٨٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص٧٦-٨١.

(٤) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٢ ، مج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٦٠.

(٥) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٧٦-٨١.

وتسليحا فقد نظمه الاسكندر أحسن تنظيم بان أدخل عليه أنماطا وطرزا قتالية جديدة غيرت الكثير في مجرى المعارك[١].

اشرنا الى ان الاسكندر الذي اصبح سيد مصر وسوريا قد تابع حملته نحو الشرق بعد خروجه من مصر ومع حلول فصل الربيع دخل القائد المقدوني مدينة صور ذلك ان جميع الارض الساحلية الان اصبحت تحت يده، واصبح الوقت مناسبا للتقدم نحو قلب الامبراطورية الفارسية، حيث كان على راس قوة عسكرية تصل الى حوالي ٤٠٠٠٠ من المشاة و ٧٠٠٠ فارس، ومع بداية فصل الخريف وصل الاسكندر مع قواته تفساح (thapsacus) الواقعة على نهر الفرات[٢] فوجد الاسكندر جسرين من قوارب قائمين على النهر تم بناؤهما من قبل[٣].

ان هدف الاسكندر في هذه الحملة كما اشرنا من قبل هو وصوله مدينة بابل والسيطرة عليها وبالتالي فانه بمقدوره اخضاع بلاد فارس برمتها وانهاء كيانها من الوجود ولذلك نجد بان الاسكندر قد اتخذ في سيره من ثابساكوس الطريق الشمالي حتى وصل شاطئ دجلة الشرقي حين وصلته اخبار مفادها ان الملك الفارسي وقواته محتشدة عند سهل كوكميلة استعدادا لملاقاته في معركة فاصلة[٤].

بعد وصوله دجلة لم يجد الاسكندر الملك الفارسي دارا ولا أي من جنوده فتقدم نحو النهر وتمكن من عبوره في ظروف تقول بعض المصادر بانها كانت صعبة وشاقة على الجيش المقدوني مما حدى به الى تقديم القرابين تقربا للالهة واستعانة بها وبعد مضي حوالي اربعة ايام وصلت الاخبار الى الجيش المقدوني تقول بان القوات الفارسية تعسكر على سهل كوكميلة فاستعد الاسكندر لمواجهة الملك دارا الثالث وخوض المعركة ضده[٥].

لقد اختار الفرس مكانا منبسطا لخوض المعركة عندما اعتقدوا بان هذا المكان سيعطي عرباتهم المنجلية امكانية الحركة الفعالة واستعمالها بشكل جيد وقد اراد الاسكندر لقاءهم في هذا المكان الذي اختاروه[٦] وعسكروا فيه وهو سهل واسع بالقرب من قرية كوكميلة على بعد ثلاثين ميلا غربي مدينة

---

(١) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص٦٩.

(2) Buy J. B, op. cit, P.774 .

(3) Ibid.

(٤) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٢٠-٤٢٢.

(٥) اريان ، يروي "الايام الاسكندر الكبير في العراق " ، ترجمة : فؤاد جميل، سومر ، مج١ و ٢ ، ج١ و ٢، بغداد ، ١٩٦٥، ص٢٦٨-٢٦٩ .

(6) Haywood , R. M. , op. cit, p.577

اربيل ومعه جيش جرار[١] حيث ان الجيش الفارسي الموجود في هذا الموقع يصل عدده الى حوالي المليون جندي من المشاة واربعين الفا من الفرسان[٢].

بعد ذلك عبر الاسكندر نهر الفرات في شهر تموز –يوليو– عام ٣٣١ ق م ايذانا ببدء مواجهة جديدة بينه وبين الجيش الفارسي الذي كان يراقب عن كثب تحركات الجيش اليوناني، فقد كان القائد الفارسي مازيوس يتراجع امام تقدم قوات الاسكندر من غير ان يتصدى له او يقاومه، وعند اربيل تمركزت القوات الفارسية واخذت لها مواقع للقتال ، مؤلفة من ثلاثة خطوط قتالية : الأول وبه فرسان ورماة ، والخط الاوسط يتشكل من ميمنة وميسرة وكذلك له جناحان يحتويان على عربات منجلية يقودها فرسان ومشاة ونبالة ، اما الخط الاخير فهو مكون من فرق من الفرسان والمشاة اخذ شكلا نصف دائري يشكل الملك مركز قيادته ويقع هذا الصف خلف خط الوسط[٣].

لقد تشكل الجيش الفارسي من مجموعة متعددة من الجنود المقاتلين الذين يمثلون كافة العناصر المكونة للامبراطورية فمنهم البكتاريين والبارثيين والميديين اضافة الى مجموعة من المقاتلين الذين تم تجنيدهم من بلاد الرافدين ومنطقة الساكا وكبدوكيا[٤] حيث كان الجنود البابليين في الجيش الفارسي تحت قيادة بور باس ومعهم الكاريين اضافة الى مجموعة من الارمن والسوريين القاطنين في بلاد الرافدين الذين كانوا تحت قيادة مازايوس[٥] .

في مقابل ذلك كان الجيش الذي يقوده الاسكندر لا يختلف كثيرا في تنظيم صفوفه وتمركزاته عما سبق معركة اربيل سوى انه ازداد من حيث عدده فضلا عن بعض التعديلات التي اصابته هنا وهناك مثل اضافة خط ثاني مؤلف من المرتزقة ويتمثل دوره في حماية الفيلق بتطويق جناحه الايسر من طرف القوات الفارسية اذ كان عامل الزمن يسير في غير صالح الفريقين المتحاربين، فالفرس كانوا يرومون تحقيق نصر حاسم وخاطف على الاسكندر بواسطة قوتهم الضاربة المتمثلة في الجناحين من الفرسان وذلك قبل ان يفاجئهم الاسكندر بشق صفوفهم من المشاة بواسطة فيلقه على حين كان الاسكندر يخطط في احراز نصر سريع وحاسم يشل حركة صفوف الفرس قبل ان ينالوا من جناحه الايسر[٦]. (ينظر شكل ٣) .

---

(١) بترى ، أ ، المصدر السابق ، ص٥٧.

(٢) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٢٠-٤٢٢.

(٣) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٧٦-٨١.

(٤) المصدر نفسه ، ص٨٦-٨١.

(٥) اريان ، المصدر السابق ، ص٢٧٠.

(٦) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٧٦-٨١.

هكذا كانت استعدادات الجيشين جاهزة للدخول في مواجهة والتحام كامل "وفي صباح اليوم الاول – اكتوبر – عام ٣٣١ ق.م تقدمت مجموعة من قوات الفرسان الساكا التابعة للفرس بشن هجوم على جناح الاسكندر المكون من الفرسان والرفقاء وتجدر الاشارة الى ان الاسكندر قد قام بتعديل طفيف لتموقع فرقة الفرسان الرفقاء صباح يوم المعركة بان استبدلها على يمينه بحيث اصبحت مواجهة عربات الفرس المنجلية فرقة حملة الدروع وليس الفرسان الرفقاء لقد كبدت فرق الفرسان الفرس الفرسان الرفقاء خسائر كبيرة قبل بداية تراجعهم في نفس الوقت قامت العربات المنجلية بهجوم آخر استهدف حملة الدروع الذين قبلوا باختراق صفوفهم اول مرة من قبل العربات ثم انقضوا على راكبيها وخيولهم مستخدمين الرماح والسهام الى ان تم ابادتهم عن اخرهم"(١).

بإمكان الاسكندر ان يكون في وضع ميداني افضل بقبوله نصيحة بارمينيون التي دعاه فيها الى القيام بهجوم ليلي على القوات الفارسية لبث الرعب في قلوبهم وتفتيت صفوفهم غير ان الاسكندر رفض الاخذ بنصيحة بارمينيون واعتبرها اهانة له وعارا عليه قائلا له(٢) "انا لا اسرق النصر"(٣).

كان الجيش الفارسي يتقدم موسعا خط قتاله في خطة لتطويق الجيش المقدوني ، وعلى اثر ذلك تفطن الاسكندر الى امكانية احداث ثغرة في صفوف الفرسان وقد تمكن من ذلك بعد ان احدث اضطرابا كبيرا وفوضى عارمة في صفوف الفرسان الفرس الذين لم يستطيعوا السيطرة على الموقف وتلافيه مما ادى الى انهيار مقاومتهم(٤).

وكعادته في مثل هذه الظروف ادار الملك الفارسي عربته وهرب من المعركة تاركا جنوده في ساحة القتال يدافعون عنه بضراوة(٥).

الا ان ذلك لم يثن من عزم الجيش الفارسي الذي واصل القتال بواسطة مجموعة من الفرسان الكبدوكيين والبارثيين الذين زعزعوا قلب الجناح الايسر للاسكندر وخطوطه الامامية وشطروها الى نصفين حتى بات قائدهم مازايوس يعتقد بتحقيق انتصار حاسم على الجيش المقدوني الا ان موازين القوى اختلت لصالح الاسكندر الذي هزم فرسان الفرس الفارثينين بعد ان استنجد بقائده بارمينيون الذي كان يتولى الجناح الايسر مما ادى الى اضطراب الجيش الفارسي وانهيار مقاومته وتراجعه امام

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(3) Bury . J . B, op. cit, p. 775.

(٤) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص٩١ .

(5) Bury, J. B. , op. cit , p. 777 .

ضربات المقدونيين المتواصلة وقد استمر الاسكندر في ملاحقة الجيش الفارسي المتقهقر دون اعطائه فرصة لالتقاط انفاسه وتنظيم صفوفه كما تمت مطاردة قوات دارا الى مسافات بعيدة[١].

"كان من حسن حظ الاسكندر ان يكون دارا جبانا ولكن الهجوم المميت الذي اخافه كان يعزى الى سوء الحظ اكثر من أي شي آخر اذ ما الذي يحدث لو ان دارا ثبت في الميدان امام قواته القوية من الاحتياط... اما ما حدث فهو ان القوات الاحتياطية الفارسية تبعته في هزيمته حتى مدينة ايسوس ثم سادها الاضطراب واخذت تتخبط ببعضها وتسير على غير هدى وتراجعت الوحدات الاخرى على الاثر"[٢].

ومرة اخرى يسحق الجيش الفارسي على يد الجيش اليوناني الذي كان متفوقا في أسلحته واستعداداته، وما تميزت به قيادته من حسن تدبير في ادارة المعارك[٣].

كانت معركة كوكميلة بلا شك معركة فاصلة وحاسمة قررت مصير اسيا والشرق اذ استخدم الاسكندر في هذه المعركة طرقا واساليب مشابهة في التكتيك والمناورة في سابق معاركه تمكن من خلالها من تفتيت القوات الفارسية وبذلك بدا الطريق الى بابل سهلا اذ تقدم الاسكندر نحو مدينة بابل[٤]. فدخلها في أواخر تشرين الأول من سنة ٣٣١ ق.م وكانت بابل آنذاك مدينة ذات تحصينات دفاعية هائلة دخلها من "باب بابل واطل على المدينة العظيمة بسوريها وابراجها"[٥].

لقد استقبلت بابل الاسكندر وفتحت له ابواب المدينة، ذلك ان البابليين استاءوا من الحكم الفارسي وعانوا منه لعدة سنوات، فكان أي تغيير لهذا الحكم – كما ينظر البابليون من اية جهة كانت سيكون احسن بكثير من الحكم الفارسي لهم[٦].

وتذكر بعض المصادر ان الاسكندر عندما كان يتأهب لدخول بابل بعد عبوره دجلة جاءه جمع كبير من الكهنة والفلاسفة البابليين الذين لديهم علم ومعرفة عميقة بالفلك ونصحوه بان لا يدخل المدينة لان ذلك سيكون خطرا على حياته نتيجة لنبوءه صادرة عن الإله بعل أوحى بها الى الكهنة ولكن الاسكندر لم يسمع نصيحة العلماء البابليين و "رد عليهم ببيت شعر ليوربيديس ونصه : ايها

(١) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٧٦ –٨١.
(٢) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص١٦١.
(٣) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٢ ، مج١ ، المصدر السابق ، ص٤٦٠.
(٤) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠–٤٢٢.
(٥) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٣٦.
(٦) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠–٤٢٢.

الملك لا تدخل المدينة مهما كانت الحال ان كنت مرسلا النظر الى الغرب ، ولا تقد جيشا زاحفا الى الغرب ، عليك ان تسير شرقيا"[١].

لقد شك الاسكندر في النصيحة التي قالها البابليون وذهب الى انهم كانوا يرومون من وراء ذلك ابعاده عن مدينتهم ومنعه من دخولها وليست نبوءة معبد الإله بعل كما قالوا ومما زاد في عدم اقتناع الاسكندر باقوال كهنة بابل معرفته بثراء المدينة وما تحتويه من كنوز كانت تحت تصرف الكهنة "وعلى الرغم من ذلك فانه على ما يروى على ارسطوبولس كان يميل الى النزول عن نصيحتهم او على الاقل الى تغيير اتجاهه ابان دخوله المدينة"[٢].

الا ان الاسكندر اصر على دخولها بايعاز ونصيحة بعض حكماء اليونان الذين قالوا له بان التنجيم ما هو الا ضرب من الوهم وليس له اساس علمي[٣] "وشق الاسكندر عصا الطاعة على الإله بعل، طوعا تارة وكرها تارة اخرى"[٤] دخل الاسكندر بابل ولم يلاق فيها حربا "بل تم استقباله بالترحيب بالترحيب والمفاخرة بعد ان سلمه الحاكم الفارسي مفاتيحها ، وانتهج الاسكندر سياسة لينة ومتسامحة مع السكان على غرار ما حصل عند دخوله مصر"[٥] .

وتجدر الاشارة الى ان مازايوس كان قد هرب بعد انكسار جيشه في كوكميلة وتذمره من سيده الذي لا يصلح أن يكون قائدا او ملكا وقد عامل الاسكندر حاكم المدينة وأهلها كما سبقت الاشارة الى ذلك معاملة حسنة[٦] واتخذ جملة من الاجراءات منها ابقاء مازايوس كحاكم على مدينة بابل اسميا وقام وقام بتعيين قائدا عسكريا على المدينة الحق به جابيا ماليا وهما من اصل يوناني كما الغى جميع القرارات المجحفة السابقة التي كان الملك الفارسي قد فرضها في حكم المدينة[٧] . والتي نالت من التقاليد القومية للبابليين منذ سقوط دولتهم عام ٥٣٩ ق.م وقد منح مازايوس ايضا حق سك العملة "وكان هذا الحق من اخص سمات السيادة الملكية ويظهر ان ذلك كان من قبيل تسيير التجارة البابلية ومراعاتها اذ انها كانت تمثل وقتئذ تجارة العالم المتحضر"[٨].

---

(١) اريان ، المصدر السابق ، ص٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٨٥.

(٣) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٤١.

(٤) اريان ، المصدر السابق ، ص٢٨٥.

(٥) باقر ، طه ، المقدمة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ٤٤٥.

(٦) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٨٠-٨١.

(٧) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٢١-٤٢٢.

(٨) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٨١.

كما ابقى الاسكندر على الالهة البابلية بل ونجده يبدي احتراما وقدسية خاصة للديانة البابلية وتقاليدها وذلك بأن اعاد بناء جملة من المعابد البابلية التي دمرت في عهد الملك الفارسي ارتحششتا[١].

٦. استمرار الزحف المقدوني صوب الشرق والعودة الى بابل :

بعدما تسنى للاسكندر احتلال بابل والسيطرة عليها اصبح الطريق امامه مفتوحا لمواصلة حملته واخضاع المناطق والبلدان الاخرى جهة الشرق . وهنا تبرز أهمية مدينة بابل وموقعها الاستراتيجي بينها وبين الشرق الاقصى فهي البوابة التي يمكن للغازي ان يطل من خلالها على الشرق البعيد الذي اذا ما سيطر على بابل بامكانه السيطرة واخضاع الشرق برمته ونظرا لاهميتها فقد اولاها الاسكندر عناية فائقة حيث ادمجت بابل في مخططات الاسكندر ليتخذها عاصمة للعالم القديم فيما بعد ولتحقيق طموحاته واصل الاسكندر حملته هذه اذ كانت سوسة وبرسيبوليس المدينتان الفارسيتان محطتي الاسكندر بعد بابل[٢].

فبعد خروجه من بابل توجه الاسكندر نحو مدينة سوسا حيث سيطر على قلعة المدينة واستولى على كنوزها وعين عليها واليا فارسيا واتجه بعد ذلك نحو مدينة برسيبوليس التي غنم منها مئات الالوف من الوزنات من الذهب والفضة[٣] .

واصل الاسكندر حملته العسكرية ملاحقا الملك الفارسي دارا الثالث وقواته الذي بعد هزيمته في اربيلا التجأ الى اكبتانا، فلحقه الاسكندر الى هناك في اوائل سنة ٣٣١ ق.م من برسيبوليس ولكنه وجد ان الملك قد هرب الى مقاطعات القزوين فتبعه الى هناك مسرعا[٤] وكان دارا قد استعد لملاقاة الاسكندر في معركة اخرى ، الا ان الاسكندر لم يسعفه الحظ في مواجهة دارا ذلك ان احد ضباطه القدماء تآمروا عليه وقتلوه[٥] وكان ذلك في باكتريا بعد ان وضع في الاغلال وبوفاته تكون قد انتهت اخر حلقة تربط الملك الفارسي بامبراطوريته ، ودخلت المنطقة في مرحلة تاريخية جديدة اصبح الاسكندر على اثرها ملك اسيا والمناطق التي احتلها ، بسط نفوذه على انحاء شاسعة من الشرق الاوسط والاقصى[٦]. تابع الاسكندر حملته فاتجه نحو بحر قزوين ومنه الى شرق ايران وسار الى

---

(١) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٢٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٢٢-٤٢٣.

(٣) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٨١.

(٤) بترى ، أ، المصدر السابق ، ص٥٨.

(٥) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٨١-٩٢.

(٦) المصدر نفسه .

بكتريا ومنها الى ارتوكوانا (Artocoana) عاصمة اريا (Areia) وتوغل شرقا حتى بلغ افغانستان واجتاز جبال الهندكوش ونزل الى نهر جيحون (oxus) وتمكن من دخول مدينة قندهار بعد ذلك اتجه نحو الشمال وعبر ممر خاواكا وقد كانت مغامرة كبيرة لا تضاهيها الا مغامرة حنبعل القرطاجي عندما عبر جبال الالب في ظروف قاسية جدا واستولى في هذه الاثناء على ميراقنت (Miracanta) المعروفة باسم سمرقند اتجه بعد ذلك نحو جنوب نهر جيحون "حيث انشأ على ضفافه آخر اسكندرية على حدود العالم"[١] وتعرض الاسكندر في بلاد الصغد الى مؤامرات استهدفت حياته الا انها منيت بالفشل واعدم المتآمرون وغادر مدينة بكتريا في صيف عام ٣٢٧ ق.م في طريقه الى الهند[٢].

في نفس السنة اجتاز الاسكندر للمرة الثانية الهندكوش ثم عبر سهل كابول ، وعندما تقدم الى مدينة جهيلم وتقع غرب باكستان اصطدم باحد ملوك المنطقة المدعو بوروس وهو امير على مملكة بورافا في معركة ضارية تكبد فيها خسائر فادحة الا انه تمكن من تحقيق النصر[٣]. توغل الاسكندر في سيره شرقا إلى الهيفاسيس (Hyphasis) وهو نهر بياس (Beas) الذي توقف عنده وانتهت مغامرته في الهند[٤].

ولما كانت الهند خاضعة للسيادة الفارسية فان احتلالها من قبل الاسكندر يعني الاستحواذ على الامبراطورية الفارسية برمتها[٥].

بدت الامور بالنسبة للاسكندر منذ عام ٣٢٥ ق م على عكس ما كان يتوقعه وتسير في غير تحقيق مخططاته. فقد بدأ الجيش يبدي تذمره واستياءه من المعاناة والمشاق التي كابدها في حملته الشاقة والمضنية مع ازدياد شوقه وحنينه الى الوطن ولذلك رفض الانصياع لاوامر الاسكندر وابدى عصيانه وتمرده[٦] . إذ لم يجد الاسكندر من بد الا الانصياع لرغبات الجيش ومن ثمة قرر العودة بعدما تمت المصالحة بينه وبين جنده وقد خطط الاسكندر طريق العودة برا وبحرا حيث سار هو بجانب الشاطئ المحاذي للخليج العربي في حين سلكت الرحلة البحرية طريقها بموازاة شواطئ باكستان الحالية ثم عبرت الخليج العربي[٧] .

---

(١) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٢-٤٣٨.
(٢) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص ٨١-٩٢.
(٣) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٢٢-٤٣٨.
(٤) المصدر نفسه .
(٥) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص١٤١.
(٦) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٨١-٩٢.
(٧) المصدر نفسه ، ص٨١-٩٢.

وفي هذه الاثناء كان الملاح المشهور نيارخوس والذي كان الاسكندر يعلق على رحلاته البحرية امالا كبيرة يقوم برحلة كانت بداية انطلاقها ميناء كراتشي من الخليج العربي وحط عند راس مسندم في بلاد العرب وقد دامت هذه الرحلة ثمانين يوما حيث التقى الجيش والاسطول عند نهر امانيس (Amanis) الذي تمت فيه احتفالات والعاب رياضية صاخبة بالمناسبة[١] .

وسارا الجيش والاسطول في مسيرة واحدة نحو مدينة سوسا فوصلاها في عام ٣٢٤ ق م وفي المدينة اقيمت مهرجانات احتفاء بانهاء كيان الدولة الفارسية السياسي وقد حضر الحفل عدد كبير من الجنود والضباط الذين اقام لهم الاسكندر حفل زواج جماعي من فارسيات من ذوي الطبقة الارستقراطية وقد تزوج هو نفسه ايضا من احدى بنات الملك الفارسي دارا الثالث[٢].

ومثلت سنة ٣٢٣ ق.م التاريخ الذي دخل فيه الاسكندر مدينة بابل للمرة الثانية والاخيرة بعد دخوله اليها عام ٣٣١ ق.م ، بعد ان أتم رحلته في الشرق الاقصى والهند وبدأ يستعد لتنفيذ جملة من المشاريع في عاصمة امبراطوريته الجديدة بابل[٣].

٧. بابل والمشروع العالمي للاسكندر :

"كان الاسكندر وقد جذبه بريق الحضارة الشرقية مفتونا بماضي بابل المجيد فقد اراد ان يجعل منها عاصمة الشرق وراح يحلم بربط بطولاته الملحمية بابطال التاريخ البابلي القديم"[٤].

"ولقد صمم على ان يجعل بابل مركزا مهما في امبراطوريته لربط الغرب بالشرق وعزم على ربطها بطرق تجارية ليس بالهند وحسب بل بمصر بقنوات من البحر الاحمر والنيل حتى انه شرع في بناء ميناء عظيم"[٥] لذلك .

لقد ارست الحملة العسكرية التي قام بها الاسكندر في جهات الشرق الاقصى والهند اهمية بالغة في فكره فقد خلقت لدى القائد المقدوني تصورا عاما وشموليا حول امكانية انشاء امبراطورية عالمية يكون الشرق والغرب منضويين تحت لواء حكومة مركزية واحدة مقرها مدينة بابل[٦].

ولذلك نجده يقوم باجراءات مهمة فور وصوله بابل بعد رحلته الطويلة في الشرق[٧].

---

(١) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٢٢–٤٣٨ .
(٢) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٨١–٩٢.
(٣) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٢٢–٤٣٨.
(٤) روثن مارغريت ، تاريخ بابل ، ط١ ، ترجمة : زينة عازار وميشال ابي فاضل ، بيروت، ١٩٧٥، ص١٧٣.
(٥) باقر ، طه ، المقدمة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٤٦.
(٦) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٣٨.
(٧) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٩٢ .

وعول كثيرا على الرحلة التي كلف بها نيارخوس بوجوب القيام بها وهي رحلة لها فوائد واهداف كثيرة في نظره حيث تدخل ضمن خطة شاملة مرسومة مسبقا غرضها استكشاف الخليج العربي والمحيط الهندي ومعرفة أسهل الطرق البحرية التي يمكن بواسطتها ربط عاصمة الامبراطورية بابل في الشرق بالمدن الاخرى الواقعة في الغرب ، وقد بدأ نيارخوس بالتحضير لهذه الرحلة الاستكشافية بأن جهز اسطولا بحريا بعد ان تم بناءه في مدينة بتالة وبنى له مرافئ عديدة واحواضا لهذه السفن "لضمان الجري مع الغرب" وقد لقي هذا الاسطول في رحلته العديد من الصعاب والمشاق[١] .

وتجدر الاشارة الى ان الاسكندر قد خصص لذلك مهندسين وفنيين وعمالا بغية دراسة وتحسين طرق الاتصال بين بابل والبحر وازالة كل ما من شأنه ان يعرقل حركة الملاحة في مياه الخليج العربي وقد انشأ عند مصب نهر دجلة مدينة سماها الاسكندرية ليتخذها مركزا تجاريا يربط بين اهم المدن الواقعة على الخليج العربي وقد ازدهرت مدينة الاسكندرية خاصة بعد ان اعيد بناؤها باسم خاراكس ميسيني (Carax- messene) كما بنى حوضا كبيرا بمثابة مرسى للسفن التجارية ويعد ذلك خطوة اخرى نحو السيطرة على الساحل الشرقي للخليج العربي وبذلك يكون الاسكندر قد جعل من مدينة بابل المحور والمركز التجاري والبحري الاهم في اسيا كما أنه "قام بدراسة الطرق المائية في الفرات وروافده ومدى استغلالها في تنشيط الملاحة وتوطيد طريق الملاحة الجديد بين الهند وبابل"[٢].

ثم ارسل خمسمائة وزنة من الفضة الى صيدا لتسك عملة يستخدمها في تأجير او شراء بحارة وجلب مستوطنين[٣]. "وقد اتخذ اجراءات فيما يخص السياسة المالية في الامبراطورية وهي توحيد العملة الفضية"[٤] .

ادرك الاسكندر بأن الامبراطورية الواسعة التي يروم تأسيسها تجمع شعوبا متناقضة العادات والتقاليد والسلوك كما أنها مختلفة نوعيا في طبيعة تكوينها التاريخي وعقلياتها المختلفة ولكي يوجد ولو بعض القواسم المشتركة التي يمكن أن تلتقي فيها هذه القوميات على كلمة واحدة وفكرة واحدة فأنه لجأ الى ايجاد فكرة جيدة يمكن لهذه الشعوب ان تتفق بشأنها وتلتف حولها من شرقها الى غربها تلك هي فكرة تأليه نفسه، وقد لقي في اثر ذلك تشجيعا كبيرا من قبل الفلاسفة والمفكرين الذين راحوا يتحدثون

---

(١) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص١٧١.

(٢) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٣٨-٤٣٩.

(٣) تارن ، وليم وثروب ، الاسكندر الاكبر ، المصدر السابق ، ص١٨٥.

(٤) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٤٥-٤٤٦ .

عن الإله في صورة البشر ولاضفاء شرعية ألوهيته وفرضها على الاغريق انتزع من حلف كورنثة اعترافا يثبت ألوهيته ويتسامى على صفات البشر [١].

ان حكم امبراطورية كهذه يستوجب من وجهة نظر الاسكندر ان يوجد لهم فكرة الاله الواحد الذي يحتكمون اليه والذي تعود اليه السلطة والدولة وتتمثل فيه تمثلا كليا خلق وحدة سياسية تجمع مختلف الاجناس بطريقين .

"الاولى شخصية الملك التي يلتزم ازاءها كل جزء في الامبراطورية بالولاء المقدس والثانية عن طريق تشجيع التجارة ووسائل الاتصال الحضاري بين هذه الشعوب والقوميات بحيث لا تحس بأن هناك فواصل تفصل بينها وهي نفس الاسس التي اقام الرومان عليها امبراطوريتهم العالمية على يد اغسطس"[٢].

كذلك من جملة الافكار التي راودت الاسكندر والتي بدأت تدخل حيز التطبيق الاحتفال والوليمة الكبيرة التي اقامها في مدينة سوسة عند عودته من الشرق والتي جمعت ضباطه الكبار فكان هذا الحفل ايضا مناسبة جيدة تم على اثرها زواج حوالي ١٠ الاف جندي مقدوني من فتيات شرقيات وتم ايضا زواج الاسكندر بأبنة الملك السابق دارا الثالث[٣] "وكان ذلك الزواج المختلط اعلانا لافكار الاسكندر الايديولوجية في مزج الشرق بالغرب عنصر وثقافة"[٤] . ويعكس هذا الاجراء نية الاسكندر في خلق نوع جديد من الترابط بين اليونانيين والشرقيين يقوم على اساس المصاهرات ورابطة القربى بين العوائل بعضها ببعض وتتجلى خطوات الاسكندر اكثر في مضيه قدما نحو تطبيق مشروعه في دمج الشرقيين بالغربيين عندما ادخل اعدادا كبيرة من الشرقيين في صفوف جيشه المقدوني وصل الى حوالي ٣٠ الف محاولا ادماجهم وتدريبهم على الطريقة اليونانية الغربية[٥].

وقد سبق له من قبل في اوبيس (opis) ان خامرته فكرة حول جمع الشرقيين بالغربيين عندما اعلن بمأدبة اقامها وترجى خلالها "ان تجتمع القلوب في اتحاد (Homonoia) ويلتئم المقدونيون والفرس في دولة موحدة فكان الاسكندر بذلك اول من تعالى فوق الحدود القومية...حيث تصور قيام اخوة بشرية لا يجوز ان يوجد فيها تفرقة بين اغريقي ولا بربرة وبدأت الفلسفة الرواقية (Stoic) بالتقاط الفكرة ومن ثم كشف مؤلف للفيلسوف زينون وهو (المدينة الفاضلة) عن مثل براق لم يغادر افئدة الناس منذ تلك اللحظة وقد حلم في ذلك الكتاب بعالم لا ينبغي ان يظل بعد ذلك مقسما

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٨٩-٩٠ .

(٤) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٤٩ .

(٥) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ٨٩-٩٠.

الـى دول منفصـلة بـل يكـون مدينـة عظيمـة واحـدة ستظل قانونـا مقدسـا واحـدا . يكـون الجميـع فيهـا مواطنين واعضاء بالتبادل تربطهم جميعا رابطة عمادها الرضا والرغبة لا القوانين البشرية أي تربطهم رابطـة الحـب (كمـا عبـر هـو نفسـه) وربمـا سـميت هـذه الفكـرة احيانـا بالنزعـة العالميـة (Cosmopolitanism) وهي كلمة صاغها الكلبيون (Cynics) للدلالة على ان اصحابها لا ينتمون الى اية دولة معينة"[1].

ان الاحتفالات والمهرجانات التي اقامها الاسكندر كانت تسير على وتيرة واحدة وهي صهر العنصر الاغريقي بالعنصر الشرقي وقد اقام الصلاة من اجل ما اسماه بالوئام بين مختلف القوميات والاعراق التي تتألف منها امبراطوريته الجديدة وعلى ما يبدو فان الاسكندر كان جادا وحريصا كل الحرص في انجاح مساعيه نحو خلق جو من التفاهم والانسجام والوفاق بين الاغريق والأسيويين ولا سيما منهم البابليين والفرس وسكان الشرق الاقصى ومما يعكس جدية هذه المساعي ان الاسكندر اعتبر أن الناس جميعا مهما اختلفت قومياتهم وعناصرهم هم ابناء لاب واحد[2].

ولتجسيد فكرة الانصهار هذه كانت اولى الخطوات التي فكر فيها هي كيفية جعل مختلف الاجناس والقوميات التي اخضعها لسلطانه تعيش في وئام وسلام جماعي دائم يكونوا مرتبطين ارتباطا كليا بامبراطوريته الجديدة ولتحقيق مثل هذا الهدف فان الاسكندر بادر باتخاذ اجراءات سريعة وحاسمة تعيد العدل والنظام وتكسب الامبراطورية هيبتها وثقة الشعوب فيها واهم هذه الاجراءات تجريد بعض الحكام الموالين له من امتيازاتهم وسلطتهم على الاقاليم التي كانوا يحكمونها ، فقد اساء هؤلاء الحكام استخدام السلطة التي منحت لهم و "ارتكب كليومنيس في مصر كثيرا من المساوئ وراح هاربالويس يبذر الاموال مقلدا بذخ ملوك الشرق"[3].

اتخذ الاسكندر هذه الاجراءات وغيرها في عاصمة الامبراطورية بابل إذ اصبح يفكر في استقرار شؤونها التي وصلت حدودها الغربية من اليونان الى تلك (Hyphasis) في الهند ومن نهر (Jax-artes) الى (Nubia) في مصر وقد اصبحت هذه المنطقة متحدة تحت حكومة واحدة[4].

ان مما لا شك فيه ان الاسكندر كان يرمي الى انشاء امبراطورية عالمية تكون عاصمتها بابل حيث تصبح بابل مركزا لحكومة واحدة تمثل جنسيات مختلفة من بابليين وفرس واغريق ومقدونيين واسيويين وغيرهم ولا ندري فيما لو طبق المشروع وكتب له النجاح ماذا سيكون طبيعة هذه الحكومة وهيكليتها واجهزتها الا انه يبدو ان الاسكندر كان سيستعين بالتراث الشرقي في تطبيق مشروعه هذا

(١) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص٨٩-٩٠ .

(٢) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٣٧-٤٣٨.

(٣) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٣٤-٤٣٨ .

(4) Botsford , G. W. , op. cit, p. 282.

والاعتماد على مختلف العناصر والاجناس المكونة لهذه الامبراطورية ولا سيما منهم البابليين والفرس والمقدونيين[١].

ولكي لا يجد معارضة لمشروعه هذا لدى اليونانيين نراه يصدر العديد من المراسيم الملكية التي تخص المنفيين السياسيين في بلاد الاغريق بالعودة الى بلادهم ما عدا سكان طيبة وكان ذلك خلال الالعاب الاولمبية التي عقدت عام ٣٢٤ ق.م وهذا الاجراء بلا شك له اثاره وانعكاساته على الاوضاع العامة في بلاد اليونان والشرق وذلك بغية خلق مناخ من الوحدة والسلام ونبذ الصراعات التي تنشب بين الاحزاب ورغم ان هذه الخطوات كانت تعكس جرأته وقوة شكيمته الا انها في حقيقة الامر تعد تدخلا سافرا في الشؤون الداخلية للدويلات اليونانية ، هذه الحقوق التي اقرها مؤتمر كورنثة من قبل والتزمت بها جميع الدول الاعضاء الموقعة على نصوص المعاهدة[٢].

اضافة الى ذلك فان الاسكندر لكي يوطد ملكه ويجعل من نفسه ملكا على الشرق والغرب وليكسب العديد من رعاياه نجده يتبع التقاليد والمراسيم الشرقية في طاعتهم لملوكهم فقد تبنى سلوكات تعد غريبة مثل نظام السجود على الاغريق والمقدونيين وعندما لم يجد من معارضة فعلية لهذه التصرفات فانه تمادى في تطبيق فلسفته في الحكم[٣].

ولقد تطرف الاسكندر في نظر المقدونيين عندما اقدم على تنفيذ بعض من سياسته لدمج الجنس الاسيوي بالجنس الاغريقي الاوربي عندما توخى سياسة (التفريس) التي اعتمدها في عاصمته الجديدة بابل وقد خشى المقدونيين من هذه الاجراءات التي ستؤدي في نظرهم الى انتقال السلطة والسيادة من اليونان الى الشرق وتكون بيد العنصر الشرقي[٤].

ولكي تكون مدينة بابل محور الشرق والغرب فقد اخذ يهيئ في الوقت نفسه لحملة على الجزيرة العربية، حيث كانت بلاد العرب تعد منطقة غير معروفة ويكتنفها الغموض بالنسبة للاسكندر، فالمعلومات عنها تكاد تكون معدومة وامكانية اكتشافها وفك رموزها ليس بالامر الهين على الاسكندر وقواته ولما كان ينوي تنفيذ مشروعه العالمي المتمثل باقامة امبراطورية عالمية تكون عاصمتها بابل وايجاد الطرق والسبل الممكنة لربط اجزاء الامبراطورية شرقا وغربا بالعاصمة فانه ادرك ما لموقع بلاد العرب من اهمية جغرافية واقتصادية بالنسبة لبابل والشرق ولذلك فقد شرع في بناء العديد من السفن

---

(١) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٣٣٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٣٤-٤٣٨.

(٣) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٣٤-٤٣٨ .

(٤) المصدر نفسه .

الحربية في بلاد فينيقيا ونقلها الى الفرات وذلك رغبة منه في ربط بحر الخليج العربي بمصر والدوران حول الجزيرة العربية[1].

وقد اوكل تنفيذ هذا المشروع وبداية خطواته الى القائد والملاح نيارخوس الذي بدأ بالطواف "حول جزيرة العرب من الجانبين من الخليج العربي وخليج السويس في نفس الوقت، فابحرت سفينة من السويس جنوبا حتى وصلت الى اليمن وسمعت عن حضرموت"[2] ومن جهة قام اسطول اخر مؤلف من ثلاث سفن بنفس الرحلة باتجاه الجنوب من الخليج العربي وخلال هذه الرحلة الثانية تم اكتشاف جزيرة البحرين حتى وصلت الى رأس مسندم (Mussendam) وقد اندرجت هذه الرحلة الاستكشافية المتوازية ضمن مخطط مقرر من البداية وفق اوامر صادرة الى قائد الحملة بالطواف حول شبه الجزيرة العربية حتى وصوله قناة السويس جهة الغرب . (ينظر شكل ٤) .

٨. وفاة الاسكندر في بابل :

في الوقت الذي كان فيه الاسكندر يستعد لتجريد حملة عسكرية بحرية على شبه الجزيرة العربية اصيب بمرض انهكه قواه[3].

تجمع المصادر على أنه عندما رجع إلى بابل بعد حملته الشاقة في الشرق الاقصى انغمس في شرب الخمر، وبالغ في شربه إلى الحد الذي اصبح يتبارى مع ضباطه الكبار وكان من نتيجة ذلك ان أصيب بحمى شديدة اقعدته الفراش عشرة ايام[4] . ورغم ذلك واصل اصدار أوامره إلى ضباطه وقادته بالاستعداد للحملة بيد ان تدهور صحته شلت حركته نقل على أثرها إلى قصر الملك البابلي نبوخذ نصر حيث توفى هناك. وقد وقف ضباطه وجنوده في موكب مهيب يمرون من حوله مطأطئين رؤوسهم اجلالا واحتراما له وفي اليوم الثالث عشر من شهر يونيو عام ٣٢٣ ق.م ودع الاسكندر الحياة عن عمر يناهز ٣٣ سنة[5].

لما سأله قواده لمن يترك ملكه اجابهم بقوله "الى اعظمكم قوة"[6] .

لاشك ان النزعة الكونية في التراث اليوناني كانت بدايتها مع الاسكندر المقدوني الذي كان يروم

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٩-٤٤٠.

(٤) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، مج٢ ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٥٣٨.

(٥) الناصري ، سيد أحمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٣٩-٤٤٠.

(٦) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، مج٢ ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٥٣٨.

انشاء امبراطورية شاسعة تمتد من بلاد اليونان غربا الى بلاد الشرق الاقصى في الشرق كما خطط الاسكندر وعزم النية على جعل مدينة بابل عاصمة ملكه وقد كان الرواقيون من انصار النزعة التي تستند على اساس وحدة الجنس البشري حيث اكدوا على مبدأ الاخوة الانسانية على اعتبار بأن الانسان كمخلوق عاقل يعد في الاساس متماثلا مع اخيه الانسان ويخضعون الى نفس القانون الطبيعي ولهم حقوق متساوية[١].

ان ما ذكره زينون في مؤلفاته حاول الاسكندر المقدوني تم تحقيقه فعلا بجمع عدة شعوب في بودقة واحدة ، وبهذا قدمت المدرسة الرواقية الفكرة الايديولوجية الاكثر دواما للاسكندر الذي امر الجميع بأن يعتبروا الارض كلها وطنهم وجيشه كأنه قلعتهم الحصينة[٢].

"كان عالم الهلنسة قد مسته يد التغيير واتسعت آفاقه ، ومع ان الروح الانفعالية التي انطوت عليها (دولة المدينة) الاغريقية قد كتب لها ان تظل في الواقع قوية ومتينة الى حد ما الا انها كانت قد تحطمت من الناحية النظرية واخذت تحل محلها فكرة العالمية الشاملة ونتيجتها: وهي الروح الفردية ونتولد تلك الفكرة عن وجود "عالم مأهول" (oecumene) بوجه عام وهو بمثابة تراث شائع للمتحضرين من الناس ونشأت لخدمة اللهجة الاغريقية المسماة باسم الكويني (أي اللسان العام) (koinne) الذي كان شائعا كذلك بين كثير من الاسيويين"[٣].

إذا حاولنا تقييم سياسة الاسكندر تجاه البلدان التي احتلها، يمكن القول بأنه وان كانت نظريته ذات أبعاد انسانية شاملة وتحمل مشروعا انسانيا ضخما إلا انها كانت تبدو ابعد ما يكون عن التحقق الفعلي للواقع الملموس، فأفكار الاسكندر وان لامست جوانب مهمة من مشروعه الحضاري إلا انها كانت في حقيقتها مجرد أفكار خيالية "بدليل انه فشل في النهاية من تحقيقها ودفنت معه في القبر"[٤] وكانت تكمن وراء هذا الفشل جملة من الأسباب، هي الفوارق العميقة في مستوياتها الحضارية والعنصرية والقومية بين الشرقيين والغربيين[٥].(ينظر شكل ٥) .

---

(١) غانم محمد صالح ، الفكر السياسي القديم والوسيط ، بغداد ، د.ت، ص١٣١.

(٢) جان توشان واخرون ، تاريخ الفكر السياسي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٤٩.

(٣) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص٥.

(٤) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص٤٤٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٤٤٨ .

الفصل الثاني
مصير الامبراطورية المقدونية بعد وفاة الاسكندر

١. اجتماع بابل وتقسيم الامبراطورية :

ترك الاسكندر المقدوني بعد وفاته امبراطورية عريضة واسعة الارجاء تضم مقدونيا في شمال بلاد اليونان ومصر في الركن الشمالي الشرقي من قارة افريقيا واغلب المناطق في اسيا ومن بحر ايجة حتى اقليم البنجاب وتمتد الى الجنوب من منطقة القوقاز وبحر قزوين ما عدا شمال اسيا الصغرى وارمينية والجزيرة العربية، أما بالنسبة للدول اليونانية المتمركزة بأسيا ما عدا الدويلات الواقعة على البحر الاسود فقد ارتأت ان تدخل في حلف مع الاسكندر بمحض ارادتها في حين كانت الدول اليونانية الاصلية قد التزمت من قبل بقرارات مؤتمر كورنثة ازاء الاسكندر[١].

هكذا كانت رقعة الامبرطورية عندما فارق الاسكندر الحياة في بابل عام ٣٢٣ ق.م . وقد كانت وفاته هذه حدثا تاريخيا هاما وخطيرا في نفس الوقت والاخطر منه هو الاجتماع الذي عقده قادته في بابل بعد موته للنظر في من سيحكم الامبراطورية والبحث في تحديد مصيرها، وقد ناقش المؤتمرون من قادة الجيش مسألة من سيخلف الاسكندر في حكم الامبراطورية[٢]. خاصة وان هذا الاخير لم يعين شخصا محددا لخلافته كما انه "لم يضع اية ترتيبات" لنظام الحكم في الخلافة الجديدة وقد ادى هذا الفراغ في الخلافة الى ظهور خلافات حادة بين اعظم القادة الذين كانت الامبراطورية ترتكز عليهم[٣].

وقد شهدت المباحثات بينهم في مؤتمر بابل مشاحنات ومصادمات كلامية عنيفة ، ويبدو ان كل واحد منهم كان يفكر في مصلحته الخاصة وفقا لاماله ومطامعه، الا أن هذا النزاع لم يتواصل وتم تجاوزه بالاتفاق على مبدأ اساس وهو "ان يبقى حكم الامبراطورية في بيت فيليب والد الاسكندر وان ينتقل العرش الى فيليب او هيدايوس ابن فيليب الثاني تحت اسم فيليب الثالث"[٤].

هذا واتفق القادة كذلك "على تقسيم الامبراطورية الى اربع وعشرين ولاية (مرزبانية او ساترابية) يحكم كلا منها قائد من قادة الاسكندر بصفته واليا (مرزبانا او ساترابا) من قبل

---

(١) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص٩.

(٢) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٩٣.

(٣) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص٩.

(٤) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٩٣.

البيت الامبراطوري وقرر المؤتمر ايضا تعيين (برديكاس) قائدا عاما للجيش"[١] وكذلك تم الاتفاق على الاعتراف بابن روكسانا زوجة الاسكندر الذي سيولد اذا كان هذا المولود ذكرا .

ان هذا المؤتمر شكل نقطة تحول خطيرة في تاريخ الامبراطورية التي اقامها الاسكندر ذلك ان من بين اهم النقاط التي تم الاتفاق عليها هي ان برديكاس اصبح المسيطر على الاوضاع في كامل الإمبراطورية الى جانب (كراتروس) الذي اختاره المؤتمر ليكون وصيا على الملك الذي يعاني من مرض عقلي والطفل الذي ستنجبه روكسانا[٢].

بدأت بوادر الانشقاقات الجدية المؤدية الى صراع عنيف بين زعماء الجيش منذ ان وصل كراتروس الذي عين في مؤتمر بابل وصيا على العرش الى مقدونيا وانضمامه وتأييده الى القائد انتباتر الذي كان الاسكندر قد ولاه على بلاد اليونان للحفاظ على الامن والاستقرار فيها وقد رد القائد بردكاس على هذا التحالف باغتصابه ولاية العرش لنفسه وبالتالي اضفى الشرعية على حكمه في اصدار الاوامر والقررات لحكام الولايات باسم العرش للتنحي عن حكمهم للولايات والامتثال لاوامره .

لم تلق هذه الاوامر اذانا صاغية لدى هؤلاء القادة وانما ادت إلى مزيد من تفاقم المنازعات وتردي الاوضاع بسبب الاطماع الشخصية لهؤلاء وتضارب مصالحهم ولم يمض طويل وقت حتى بدأت النزاعات والفروقات تتأجج بين حكام الأقاليم الذين خرجوا على طاعة بردكاس وراموا الفتنة وأشعلوا نار الحرب التي استعرت لعدة سنوات بسبب تشابك المصالح بين قادة الاسكندر[٣].

يمكن تقسيم هذا الصراع الذي نشب بين قادة الاسكندر الى تيارات واتجاهات مختلفة. كل اتجاه له نظرته ومنطلقاته وغاياته التي ينظر بها من زاويته التي تخدم مصالحه، فهناك.

أولا: اتجاه يذهب الى المحافظة على وحدة الامبراطورية بشرط المحافظة على وحدة العرش المقدوني تحت قيادة فيليب الثالث او الاسكندر الرابع وابرز زعماء هذا الاتجاه هو القائد (يومينيس) الذي كان ابرز قادة الاسكندر وامين سره قبل وفاته[٤].

اما الاتجاه الثاني فيمثله القائد انتيجونس وابنه ديميتريوس الذين يلتقيان مع الاتجاه الاول في هدف واحد وهو الحفاظ على "وحدة الامبراطورية ولكن تحت حكمه وحكم اسرته"[٥] في حين يذهب الاتجاه الثالث الى نسف أي شكل من اشكال وحدة الامبراطورية ويطرح بديلا يهدف الى "تقسيم الامبراطورية الى عدد من الممالك يتربع على عرش كل مملكة منها واحد من قادة الاسكندر وذلك لقاء

(١) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٩٣-٩٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ، ص٩٥.

(٥) العسلي ، بسام ، المصدر السابق ، ص٩٥.

خدماتهم التي اقامت صرح الامبراطورية"[1] ، ويمثل اهم زعماء هذا الاتجاه كل من القائد سلوقس اصبح فيما بعد ملكا على غربي اسيا والقائد بطليموس الذي استولى على مصر بعد حين .

دخلت كل الاطراف هذه في محالفات تكتيكية ضد بعضهم البعض الغاية منها اكتساب كل طرف اكبر قدر ممكن من الامتيازات على حساب الطرف الاخر ، ورغم ان زعماء الاتجاهين الثاني والثالث قد تحالفا ضد اصحاب التيار الاول الا أن ذلك لم يدم طويلا وسرعان ما انفتح باب الشقاق والخلافات بينهم واستمر اكثر من اربع وعشرين سنة من سنة ٣٢٣ الى سنة ٣٠١ ق.م[2]. حيث ان هؤلاء القادة دخلوا في حروب طاحنة بينهم كانت اسبابها هي السيطرة على اكبر نسبة من الاراضي على حساب الآخر وتحقيق اكبر قدر من النفوذ على حساب الطرف الاخر واخذت هذه الحروب التي نشبت بينهم اسم "حروب الستارية" (satraps) "أي الاسر الحاكمة المحلية"[3] ، وعاد ايضا العالم اليوناني هو الاخر الى الانقسام والتفكك مرة اخرى الى دويلات مستقلة على غرار ما كانت عليه الحال قبل الاسكندر .

كانت اوضاع بلاد اليونان والشرق سيئة للغاية اثر وفاة الاسكندر، فقد اخذ الحكام الذين عينهم الاسكندر من قبل يعملون على بث روح الفتنة في ارجاء الامبراطورية وبدأت تبرز شيئا فشيئا شخصيات مرموقة فضلت ان تدافع عن حقوق العائلة المالكة في وراثة الحكم وكان على رأس هؤلاء القائد المحنك بردكاس الذي اخذ يدير امور الحكم في آسيا في حين كانت مقدونيا وبلاد اليونان خاضعة لأنتيباتر الذي عينه الاسكندر حاكما وقائدا عاما على هذه المنطقة قبل عدة سنوات كما اصبحت بعض الولايات التابعة للامبراطورية تأخذ شكلا جديدا بعد التقسيم فضم انتيجونس الى ممتلكاته فريجيا ومناطق جديدة ووقعت تراقيا تحت حكم ليسيماخوس[4].

هذا هو حال الامبراطورية عندما بدأت الحرب سنة ٣٢١ ق.م بين هؤلاء القادة انتهت بمقتل بردكاس وملاحقة جماعته في كل مكان من قبل بطليموس وانتيجونس وتم اقرار انتيباتر وصيا على العرش الا ان هذا الاخير توفي سنة ٣١٩ ق.م ولم يتسن له القيام بمهامه على اكمل وجه، هذه المهام التي استأنفها من بعده بوليبرخوس الذي تحالف معه يومينيس الاغريقي من حرب بردكاس ، يناصر في ذلك حقوق المالكين "واستعرت نار الحرب ثانية وكان بطلا القصة في اسيا هما يومينيس وانتيجونس الذي يؤيده بطليموس ، في حين أن بطليها باوربا كانا بوليبرخوس وكساندر"[5] ووضعت

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص٩.

(٤) المصدر نفسه ، ص١٠.

(٥) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، ص١٠-١١ .

الحرب اوزارها باوربا سنة ٣١٦ ق.م بانتصار كاسندر الذي استولى على العديد من الاراضي الجديدة في بلاد اليونان ومقدونيا[١].

لقيت والدة الاسكندر او لمبياس وفيليب الثالث اضافة الى روكسانا مقتلهم في هذه الحرب الطاحنة وذلك على يد كاسندر وكان ذلك سنة ٣١٠ ق.م[٢].

لقد مثل اجتماع القادة الكبار في ترببارادبسوس (Triparadisos) عام ٣٢١ ق.م نقطة تحول خطيرة على سير الاحداث ومصير الامبراطورية فقد افضى هذا الاجتماع الى قرارات جديدة تم بموجبها توزيع حصص جديدة كانت بابل من حصة سلوقس وآسيا الصغرى من نصيب انتيجونس كما كانت مصر حصة بطليموس[٣].

كان يومينيس الاغريقي احد القادة البارزين والمدافعين بقوة عن الحقوق الملكية وقد استبسل في مناسبات عديدة دفاعا عن هذه الحقوق وتمكن في العديد من المناسبات من دحر انتيجونس في ساحة المعركة كما تسنى له الاستيلاء على بابل "بمساعدة ستاربة الشرق الاقصى"[٤] الا ان هذا الاخير تم القضاء عليه من طرف انتيجونس عام ٣١٦ ق.م بعد ان خانه جنوده وتخلوا عنه .

شهدت المدة الواقعة بين سنتي (٣١٥-٣١١ ق.م) معارك وحروبا شعواء ان لم تكن حاسمة بين انتيجونس من جهة وبين بطليموس وسلوقس وليسيماخوس وكساندر من جهة ثانية، فقد حاول انتيجونس الهيمنة بصفة كلية وشاملة على اكبر قدر ممكن من الامبراطورية الواسعة الارجاء على حساب بطليموس وسلوقس والاخرون حيث حاول الاستحواذ على المقاطعات الشرقية الخاضعة لحكم سلوقس وعاصمتها بابل وقد حاول هذا الاخير صد هجمات انتيجونس في اكثر من مناسبة الا انه انهزم في النهاية ولجأ الى بطليموس حاكم مصر طالبا منه المساعدة والمعاونة وقد لبى بطليموس طلب سلوقس بان امده بالمال والرجال واعاده "الى عرش بابل" على اسنة رماح جنوده وانتهى هذا النزاع بين القادة الثلاثة بتوقيعهم معاهدة صلح عام ٣١١ ق.م كانت من اهم نتائجها حصول انتيجونس على اراض جديدة في "سوريا واسيا الصغرى وارض الجزيرة"[٥] عودة سلوقس الى حكم بلاد بابل بعد ان حل باكثر من نصف المدينة الخراب والدمار، كما تمكن كاسندر من القضاء على الملكية بقتله الاسكندر الرابع وذلك بعد عام من توقيع معاهدة الصلح بين الاطراف المتنازعة[٦].

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) لامب ، هارولد ، المصدر السابق ، ص٣٨١.

(٣) نصحي ، ابراهيم ، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة ، مصر ، ١٩٥٩، ص١٢٧.

(٤) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص١٠-١١ .

(٥) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص١١-١٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص١١-١٢.

تمحورت حيثيات هذا الصراع حول مدينة بابل التي اضحت مسرحا واسع النطاق للعمليات العسكرية الدائرة بين الاطراف المتنازعة وقد تضررت المدينة بسبب الحروب هذه مما اثر في اقتصادها وفي وضعها الاجتماعي والنفسي وذلك حين حاول يومينيس الاستعانة ببابل وامكانياتها في حربه ضد انتيجوس وذلك بايعاز من يوليبيرخوس ولكن سلوقس حاكم بابل وقد رفض ذلك وحاول ان يقضي على قوات يومينيس هناك "عندما حول مياه دجلة الى خور جاف"(١) ولكن هذا الاخير تمكن من الخروج من هذا المأزق . والتجأ الى مدينة سوسة الواقعة في جنوب غرب ايران وهناك حاول كسب تأييد حاكم المدينة الذي حالفه وبذلك اصبحت قوة يومينيس مساوية لقوة انتيجونس التي لم تنجح محاولته في احباط مشاريع التحالفات بين خصومه، ومرة اخرى كانت بابل حاضرة ومحط انظار انتيجونس الذي "قام الى بابل للتفاهم مع بيتون (والي مادي) وسلوقس وتوحيد الجهود ... لضرب الخصم"(٢) غير ان تواجده في بابل لم يدم طويلا وذلك بسبب شدة الحر الذي اضر بالجنود ورغم ذلك فان الولاة الذين كانوا يحكمون المقاطعات الشرقية رفضوا ان يكونوا تحت وطأة انتيجونس وكنتيجة لذلك نشبت معركتين بينهم سنة ٣١٦ ق.م وهما موقعتا براتيكنه (Paractacene) في اصفهان وموقعة عبينة (Gabiene) على مقربة من مدينة سوسا وكانت هذه المعركة حاسمة وقاسمه في نفس الوقت وعلى اثرها " انتهى دور يومينيس وقتل في السجن"(٣) .

على اثر ذلك تنامت اطماع انطيخوس ورام الاستحواذ على الامبراطورية واتخذ لقب ملك الشي الذي اثار حفيضة خصومه وعلى راسهم سلوقس وبطليموس . وقد عجز سلوقس عن التصدي لاطماع انتيجونس في بابل والشرق ولم يستطع الوقوف بوجهه فالتجاء هاربا الى مصر عام ٣١٦ ق.م كما تمت الاشارة الى ذلك من قبل "فاحسن بطليموس الذي دخل في مفاوضات"(٤) مع حلفائه في مقدونيا وتراقيا واتفقوا على ان يضعوا حدا لاطماعه وقد تم ذلك بالفعل فعاد سلوقس الى بابل(٥).

مثلت سنة ٣٠١ ق.م بداية مرحلة جديدة في طبيعة العلاقات بين القادة الثلاثة البارزين بطليموس، انطيخوس وسلوقس ، وقد شاهدنا من قبل كيف ان الصلح منذ عام ٣١١ ق.م بين هؤلاء الثلاثة لم ينه النزاع بشكل حاسم بل زاد من تعميق الخلافات واعادة توزيع اراضي الامبراطورية من جديد بشكل لم يرضى الاطراف المتصارعة، وكانت سنة ٣٠٧ ق.م سنة انتصارات وكفاح واسع النطاق خاضه ابن انطيخوس المدعو ديميتريوس في اثينا وبلاد اليونان كما انه احرز نصرا ساحقا

---

(١) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) نصحي ، ابراهيم ، المصدر السابق ، ص١١٨ .

(٥) المصدر نفسه .

على بطليموس سنة ٣٠٦ ق.م "في معركة بحرية خاضها بقرب سلاميس بجزيرة قبرص واحرز السيادة البحرية وعندئذ تلقب هو وابوه بلقب الملك واصبحا عاهلين مشتركين لامبراطورية الاسكندر"[١].

في هذه الاثناء كانت مصر تحت سيطرة بطليموس الذي لقب نفسه ملكا منذ عام ٣٠٥ ق.م مما اثار ضغينة الابن واباه لذلك عمل الابن ديمتريوس على احتلال مصر وازاحة بطليموس عن سدة الحكم لكنه فشل في ذلك وبعد سنة قضاها ديميتريوس في حروب ضارية ضد خصمه كاسندر في رودس وبلاد الاغريق حاول اعادة احياء حلف كورنثة عام ٣٠٣ ق.م هذا الحلف الذي اسسه الاسكندر من قبل متعاونا في ذلك مع والده انتيجونس للتصدي للحلف الرباعي الذي اقامه كل من بطليموس وليسيماخوس وكسندر اضافة إلى سلوقس، وعلى اثر ذلك "عبر ليسيماخوس البحر الى اسيا في عام ٣٠٢ ق.م مزودا بتعزيزات امده بها كساندر على حين كان ديمتيريوس يزحف على مقدونية بقوة عظيمة ، فلما فشل انتيجونس في القضاء على ليسيماخوس اضطر الى استدعاء ديمتيريوس لنجدته وفي ٣٠١ ق.م تلاحم جيش الرجل وابنه عند ابسوس باقليم فريجيا مع قوتي ليسيماخوس وسلوقس مجتمعتين ، وكان معهما في القتال معظم ما لديلما من فيلة ، وهزم انتيجونس وقتل ولكن ديمتيريوس فر"[٢] من ساحة المعركة حيث انهت "كل امل في جمع شمل العالم الاغريقي المقدوني"[٣].

قسم المنتصرون الامبراطورية فيما بينهم الى عدة ممالك فاصبحت اسيا من فريجيا (phrigia) وحتى الهند تحت تصرف سلوقس، كما ان اسيا الصغرى الغربية وجبال طوروس (thrace) اصبحت تحت امرة ليسيماخوس في حين اصبح بطليموس ملكا على مصر، ومقدونيا الت الى حكم كساندر (cassander) وبسط عليها سيادته[٤].

وانتهز بطليموس الفرصة في هذه الحرب بان احتل جنوبي سوريا الذي لم يستطع سلوقس في وقتها ان يطالب بها والتزم الصمت في البداية مبديا تذمر ه من هذا الاجراء فدين بطليموس القديم لا يزال في عنقه[٥].

---

(١) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص١٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢-١٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص٩.

(4) Botsford , G. W. , op. cit, p.296.

(٥) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص١٣.

٢. فترة المنازعات الاسرية :

بعد ان احرز الحلف المؤلف من بطليموس وسلوقس وليسيماخوس نصرا موزرا على ديمتريوس ابن انطيخوس في معركة غزة عام ٣١٢ ق.م "استطاع سلوقس ان يعود الى ولايته ويستردها بسهولة في اكتوبر من نفس العام وان يبدا العمل بجد في بناء دولة قوية له تضم كل الولايات الواقعة شرقي بابل"[١] "وكانت الاسرة السلوقية تعد هذه الحادثة مبدأ لتاريخ الامبراطورية السلوقية والعصر الجديد... وضم سلوقس تحت لوائه عدة ممالك وثقافات قديمة"[٢] من ضمنها بابل واشور وسوريا وفنيقيا[٣].

مثلت بابل حلبة صراع مرير بين سلوقس الذي اراد الاحتفاظ بها والسيطرة عليها وبين انطيخوس وابنه دمتريوس حيث تعرضت المدينة كما تمت الاشارة الى ذلك إلى الدمار والخراب على ايدي ديميتريوس الذي دمر ونهب بابل والاراضي المحيطة بها نكاية بسلوقس واهالي المدينة وتمكن سلوقس رغم ذلك من توطيد حكمه في بابل[٤] وهو "سلوقس نيكاتور (Selencosnicators) المؤسس كان احد كبار القادة في جيش الاسكندر"[٥] عينه برديكاس وصيا على عرش بابل الا انه لم يستطع ايقاف اطماع انتيجونس في المدينة فلجا الى مصر وعاد الى بابل بعد انتصاره وحلفاءه في معركة غزة عام ٣١٢ ق.م وتمكن من ضم المناطق شرقي بابل والشرق الاقصى الا انه بعد معركة إبسوس تسنى له الاستيلاء على سوريا كما تمت الاشارة الى ذلك من قبل باستثناء المناطق والمدن الجنوبية التي احتلها بطليموس من ضمنها جوف سوريا الذي شكل نقطة صراع بين الطرفين دام لزمن طويل[٦].

كانت نقطة الخلاف بين اسرة سلوقس في العراق والاسرة البطلمية في مصر هي جنوب سوريا. فقد انتهز بطليموس "فرصة اشتباك الحلفاء مع انطيخوس واعاد احتلال ذلك الاقليم ورفض بعد ذلك التنازل عنه ... وهكذا نشأت المشكلة السورية التي افضت فيما بعد الى تعكير صفو تاريخ اسرتي بطليموس وسلوقس"[٧] وبقدر تعلق موضوعنا بموضوع صراع الاسر الحاكمة في الامبراطورية التي تركها الاسكندر نحاول ان نتتبع احداث هذا الصراع ملقين الضوء على ميدان محور الصراع بين العاهلين وتاثير ذلك على بلاد بابل والعراق ككل ولكن قبل ذلك يجب معرفة الحدود الجغرافية لكلا

---

(١) نصحي ، ابراهيم ، المصدر السابق ، ص١١٨.

(٢) ديوارنت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٣ ، مج٢ ، المصدر السابق ، ص٣٦-٣٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٧.

(٤) العابد ، مفيد رائد ، المصدر السابق ، ص١٨٥.

(٥) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٧١.

(٦) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٧١.

(٧) نصحي ، ابراهيم ، المصدر السابق ، ص١١٩.

الاقليمين المتنازعين وهما العراق ومصر . حيث كانت حدود الممتلكات السلوقية تشمل بلاد بابل وايونيا وسوريا الشمالية وهي من اهم ممتلكات الامبراطورية السلوقية فمنذ ان استقر الحكم للاسرة السلوقية في بلاد بابل سنة ٣١٢ ق.م دأبت هذه الاسرة على توسيع ممتلكاتها جهة الشرق والغرب الشي الذي ادى الى اصطدام مصالحها مع ممتلكات اسر اخرى اخذت نصيبها بموجب التقسيم ولاسيما منها اسرة بطليموس في مصر [١].

ونظرا لاتساع رقعة الامبراطورية السلوقية فقد قسمت الى قسمين كبيرين منذ ان تم تاسيسها، وقد شمل القسم الاول منها العراق وبقية الاقاليم الشرقية كما تمت الاشارة الى ذلك من قبل ، وسعى السلوقيون الى انشاء عاصمة جديدة لهم هي سلوقية دجلة اما القسم الثاني فيشمل سوريا وبعض ملحقاتها واتخذوا من مدينة انطاكية عاصمة ومركزا اداريا رئيسا في الجانب الغربي من الامبراطورية ، وقد سميت المدينة باسم والد سلوقس المسمى انطيخوس وكان ذلك عام ٣٠٠ ق.م. هكذا كانت حال الامبراطورية السلوقية[٢] عندما "صادفت السلطة السلوقية في جبهة الجنوب دولة اخرى مقدونية عظيمة... وهي مملكة بطليموس"[٣] التي كانت حدود ممتلكاتها تمتد من برقة غربا وحتى قبرص شرقا شرقا اضافة الى سوريا الجنوبية ومنها فينيقيا وفلسطين، وقد حاول بطليموس بما اوتي من عزم وحرص على الحفاظ على ممتلكاته هذه والاستقلال بها غير ان بوادر الصراع مع سلوقس كانت تلوح في الافق بسبب جنوب سوريا الذي كان تحت سيطرة سلوقس في البداية واحتله بطليموس بعد ذلك خلال الحرب التي شنها الحلفاء ضد انطيخوس وفي وقتها لم يتسن لسلوقس المطالبة بحقه في جنوب سوريا بسبب ظروف الحرب وعجزه عن مواجهة بطليموس اما الان فالوضع تغير واصبح بامكانه المطالبة باحقيته في جنوب سوريا الشي الذي ادى الى قيام حروب طاحنة بين الاسرتين، سميت بالحروب السورية[٤] .

أ. **الحرب السورية الأولى** :

ولقد ادرك بطليموس بعد احتلاله جنوب سوريا بان سلوقس يبقى محتفظاً بحقه في هذه المنطقة وان زمن مطالبته بها ات لا ريب فيه وعرف بان سلوقس يضمر له الشر ولذلك بدا بالقيام ببعض الاجراءات التي من شانها ان تعيق سلوقس على تحقيق اطماعه في جنوب سوريا فعمل بطليموس

---

(١) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص١٤٠.

(٢) باقر ، طه ، المقدمة ، ج١ ، المصدر السابق، ص٥٩٣.

(٣) بفن ، ادون ، مجلة ارض النهرين ، ترجمة : انستاس ماري الكرملي ، بغداد ، ١٩٦١، ص٨٢-٨٣.

(٤) بفن ، ادون ، المصدر السابق ، ص٨٢ .

على تكوين محالفات سياسية مع بعض القادة البارزين لكي يأمن لنفسه جبهة دفاعية تكون قادرة على صد هجمات سلوقس[١].

ورد سلوقس على ذلك بان ربط نفسه بشبكة من المحالفات ، كانت العلاقات بين الحلفين تسير من سيئ الى اسوأ ، فحسب ما تذكره بعض المصادر فان سلوقس حارب بطليموس عن طريق عمه ديمتريوس واسترجع جنوب سوريا واستطاع هذا الاخير ان يحقق بعض النصر على بطليموس باستيلائه على سوريا الجنوبية والسامرة[٢] ان جنوب سوريا بالنسبة للسلوقيين كان له اهمية قصوى من الناحية الاستراتيجية فمن غير الممكن ان يسمح السلوقيون للبطالمة باحتلال هذه المنطقة الهامة[٣].

حيث كانت تمر عبر مناطق نفوذ السلوقيين شبكة واسعة ونشيطة من الطرق التجارية التي تربط اقاليم الشرق بدول غرب البحر المتوسط ، وهي طرق تأتي من الهند والشرق البعيد وتتخذ من افغانستان وبلاد فارس طريقها الى سلوقية وترتبط بطرق تجارية اخرى موصلة الى بلاد العرب ودمشق وفلسطين حتى مدينة عدن وقد حاول كل من السلوقيين والبطالمة السيطرة على هذه الطرق التجارية[٤].

وهكذا نشأت المشكلة السورية بين سلوقس وبطليموس الا ان الاحتدام المسلح بينها اجل الى فترة لاحقة وفي عهد خليفتهما فيما بعد، ذلك ان سلوقس كان يهدف الى احتلال مقدونية وضمها الى ممتلكاته خاصة بعد ان تم التخلص من ليسيماخوس والاستحواذ على ممتلكاته في اسيا الصغرى ولذلك فقد ازدادت شهية سلوقس وكبرت اطماعه في بناء امبراطورية على غرار امبراطورية الاسكندر، بيد ان هذه الطموحات وئدت في مهدها بسبب مقتله سنة ٢٨٠ ق.م ، فدفنه ابنه انطيخوس في مدينة سلوقية التي انشأها على نهر العاصي، وعلى اثر ذلك تولى انطيخوس عرش ابيه[٥].

وتجدر الاشارة إلى انه قبل مقتل سلوقس بثلاث سنوات توفي بطليموس حاكم مصر ايضا في سنة ٢٨٣ ق.م "وتولى العرش بعده ابنه من خليلته برنيقة بطليموس الثاني فيلادلفوس (philadelphos)"[٦].

وبذلك يكون انطيخوس الاول وبطليموس الثاني وجها لوجه في حروب دامية انهكت الدولتين وأضر بسكانها وفتحت صفحة جديدة في العلاقات بين الجانبين عرفت بالحروب السورية[١] وظهرت

(١) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٦٥-٦٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٦.

(٣) نصحي ، ابراهيم ، المصدر السابق ، ص١٣١.

(٤) ديورانت ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٣ ، مج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٣.

(٥) العابد ، مفيد رائد ، المصدر السابق ، ص١٩٧-١٩٨.

(٦) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٧٣.

الى الوجود بوادر جديدة لنشوء دول كبرى مستقلة قامت على انقاض الامبراطورية المقدونية وهي سمات تدل بوضوح على اننا امام ابواب مرحلة جديدة فيها نوع من توازن القوى في العالم الهلنستي حيث كانت مصر عصرئذ اقوى هذه الدول وورث بطليموس الثاني عن ابيه امبراطورية واسعة الارجاء في حين ورث انطيخوس بلاد الرافدين والولايات الشرقية البعيدة وقسم من اسيا الصغرى وبلاد الشام باستثناء جوف سوريا هذا وفي نفس الوقت كانت الدولة القوية الثالثة هي مقدونيا المسيطرة على بلاد الاغريق[٢] . هكذا كان الوضع في العالم الهلنستي عندما بدأ الصراع يتأجج بين مصر وبابل ، "وقد كانت لكل من هذه الدول حاجتها ومراميها وكذلك خططها ووسائلها لتحقيق ذلك"[٣].

وقد ازمت الحرب الكارية نسبة الى اقليم (Karia) في جنوب اسيا الصغرى الوضع اكثر بين الفريقين[٤] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص٧٢-٧٣.

(٢) نصحي ، ابرهيم ، المصدر السابق ، ص١٢٩-١٣٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٣٠.

(٤) العابد ، مفيد رائد ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

ب. الحرب السورية الثانية :

تواصل النزاع بين الاسرة السلوقية والاسرة البطلمية على اقتسام مناطق النفوذ والسيطرة على القدر الاكبر من الاراضي ، ونظرا لتردي الاوضاع في مدينة بابل واستياء السكان من السياسة التي يتبعها السلوقيون فان سلوقس ولي عهد ابيه انطيخوس الاول الذي كان يحكم بابل نودي به ملكا على بابل ، وقاد تمرد ضد ابيه بغية الاستقلال بالمدينة الا ان محاولته فشلت واعدم عام ٢٦٦ ق.م[١]. خلف انطيخوس الاول ابنه انطيخوس الثاني وفي عام ٢٦٠ ق.م اندلعت الحرب السورية الثانية وكان انطيخوس هذه المرة هو المعتدي وقد تم اجراء العمليات الرئيسة في أسيا الصغرى[٢].

اخذ انطيخوس الثاني يعد العدة للاشتباك مع بطليموس الثاني في هذه الحرب فكان يدرك تماما التفوق البحري البطلمي وسيطرتهم على مداخل التجارة الاتية من الشرق عبر اسيا الصغرى ولذلك بدا يعمل على ان يجعل جزيرة رودس دولة محايدة بعد ان عرف كيف يفيد من مواردها التجارية داخل امبراطوريته وفي الوقت نفسه عقد حلف مصاهرة مع دمتريوس بن انطيخوس جوناتاس في مقدونيا بان زوجه اخته استراتونيكي (stratonike) ذلك ان هذه الاسرة الحاكمة في مقدونيا كانت في خلافات حادة مع اسرة البطالمة وكانت ترى في اضعاف النفوذ البطلمي في بحر ايجة ضرورة ملحة لكي يتسنى لها التفوق البحري الكامل في هذه المياه وكان لها ما ارادت عندما سحقت القوات البحرية الروديسية اسطولا بحريا لبطليموس بالقرب من جزيرة كوس (kos) حينما كان هذا الاخير يخوض حربا دامية ضد قوات انطيخوس الثاني[٣].

ويرجع اغلب المؤرخين المعاصرين أسباب هذه الحرب إلى حدثين بارزين كان لهما الدور الرئيس في اندلاعها ويتمثل الدافع الاول في ان بطليموس الثاني ملك مصر انفذ قوة عسكرية كبيرة مؤلفة من عناصر مرتزقة بقيادة ابنه بطليموس إلى مدينة افسوس ذات الامكانيات التجارية الهائلة لاجل احتلالها والاستحواذ على خيراتها ولما كانت هذه المدينة تابعة للهيمنة السلوقية فقد اصبح الصدام بين الجانبين امرا لا مفر منه وان انطيخوس الثاني لا يمكن بان يسمح بتواجد البطالمة وتنفذهم في افسوس ولذلك قام بعمل مضاد ضد التحرك البطلمي ومصالحه وذلك بضرب مدينة ملطية التجارية التابعة للبطالمة عن طريق احد تابعيه المسمى تيمارخوس (Timarchos) وكنتيجة لذلك تصور حاكما ملطية وافسوس انهما سيجنيان مكاسب كثيرة على حساب سوريا ومصر لتدعيم مركزيهما في الاستقلال بالمدينتين بيد ان سير الاحداث خيب امالهما وكانت النتائج على عكس ما يتوقعان فقد قام انطيخوس بعملية عسكرية احتل على اثرها ملطية واقصى بذلك تيمارخوس من الحكم

---

(١) رستم ، أسد ، المصدر السابق ، ص٧٦.

(2) Cary. M, and Litt , M. A. D, A History of the Greek world , from 323 to 146 B.C, London, 1951 , P.86.

(٣) العابد ، مفيد رائد ، المصدر السابق ، ص٢٠٨.

في حين تمكن في نفس الوقت من انجاح ثورة لصالحه في مدينة افسوس قضى من خلالها على حاكمها عام ٢٥٩ق م[١].

اما الدافع الثاني لهذه الحرب "فكان نتيجة للجهود التي بذلها انطيخوس مع حليفه انتيجونس لمكافحة النفوذ البطلمي في اسيا الصغرى وبحر ايجه"[٢].

لقد بدى في الافق ان العلاقة بين الاسرتين السلوقية والبطلمية تأخذ منحى جديدا بعد فترة التقارب والوئام بينهما الا ان هذا الصراع في حقيقة الامر بقي متواصل بشكله الخفي في البلاطين ولكن هذه المرة عن طريق النساء اللاتي اصبحن يؤثرن بشكل كبير في تسيير شؤون المملكتين حيث اصبحتا برنيكي ولاوديكي هما أساس الخلافات والدسائس والمؤامرات في القصر السلوقي، فكل واحدة منهما تريد ان يكون لها حصة في الحكم سواء عن طريق احد ابنائها أو بواسطتها هي، ومما أجج هذا الصراع اكثر هو وفاة الملك انطيخوس عام ٢٤٦ ق.م ، وساق هذا الخلاف إلى اندلاع الحرب السورية الثالثة أو "حرب لاوديكي كما اطلق عليها معاصروها"[٣].

ج. الحرب السورية الثالثة :

لقيت برنيكي في صراعها ضد لاوديكي مساندة ودعما كبيرين من البلاط البطلمي خاصة بعد مجيء بطليموس الثالث إلى عرش مصر عندما "استعد للتدخل بكامل قواته للذود عن اختـه"[٤] بعد ان استنفر القوات البرية والبحرية الموالية له في اسيا الصغرى لتكون على أتم الاستعداد في التدخل السريع لمناصرة برنيكي ، وتمكنت القوات البطلمية البرية منها والبحرية من تحقيق انتصارات باهرة على الجيش السلوقي وتوغلت بعديد الاميال في مناطق نفوذ السلوقيين في اسيا الصغرى وقليقية السلوقية واستولت على مبالغ هائلة من الذهب والفضة في هذه المناطق وتم العثور على نقش من البازلت في الحبشة في موقع ادوليس (Adulis) يشير إلى هذه الحروب التي خاضها بطليموس الثالث والنجاحات – التي حققها في شمال سوريا وتراقيا حتى بكتريانا في الهضبة الايرانية[٥] وبذلك تكون معظم الاقاليم الشرقية بما فيها اراضي شاسعة من بلاد الرافدين اصبحت تحت السيطرة البطلمية ورغم ان بطليموس حاول أثر استيلائه على هذه المقاطعات ان يستمر في حكمها بواسطة شقيقته برينكي الا ان الظروف بدت لغير صالحه وبسرعة كبيرة ونتيجة للاضطرابات الداخلية التي ألمت

---

(١) العابد ، مفيد رائد ، المصدر السابق، ص٢٠٨-٢٠٩.
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٠٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١١ –٢١٢.
(٤) المصدر نفسه ، ص٢١٢-٢١٤ .
(٥) المصدر نفسه .

بمصر حتم عليه العودة تاركا حاميات ادارية تنو به في حكم المناطق الواقعة ما وراء الفرات واسيا الصغرى لفائدة اخته(١).

انتهز سلوقس الثاني فرصة انشغال بطليموس الثالث بالاضطرابات داخل مصر وبدأ يهيئ نفسه من جديد لاسترجاع ما فقده من اراضي الت إلى الاسرة البطلمية وقد تمكن من خلال هجوم قام به على البطالمة من استرجاع مدينة اورثوسية orthusia عرطوس الواقعة على مصب نهر البارد الا انه اخفق في السيطرة على شواطئ فليقية هذا وخسر معركة هامة على أرض فلسطين ضد القوات البطلمية تراجع على اثرها إلى انطاكية وتذكر بعض المصادر بان دمشق حوصرت من قبل بطليموس ولولا تدخل انطيخوس (هيراكس) إلى جانب اخيه في الدفاع عن دمشق لسقطت هذه الاخيرة في يد القوات البطلمية ونستنتج من ذلك بان انطيخوس الذي كان يحكم بابل واسيا الصغرى قد كانت له اليد الطولى في منع بطليموس من تحقيق اهدافه في سوريا وهنا تبرز اهمية بابل بالنسبة للحكم السلوقي فهي جدار صد ودرء الاخطار على ممتلكات الدولة السلوقية(٢). وهذا يعني أيضا بان بابل قد قدمت من المال والرجال واستنزفت امكاناتها الاقتصادية والبشرية وارهقت هذه الحروب خزائنها المالية بسبب اطماع القوى اليونانية المتحاربة .

وبعد فشل حصار دمشق من قبل بطليموس بين عامي (٢٤٢-٢٤١ ق.م) فان سلوقس وافق على عرض السلام الذي تقدم به بطليموس على أساس خارطة الحرب الموجودة. وان التأثير العام لهذه المعاهدة كان لارجاع حدود ٢٥٥ ق م ولكنها تعطي لبطليموس الساحل السوري الكامل لحد سلوقية على نهر العاصي seleucia – on - orentes حيث استمر في المحافظة على حامية قوية هناك فكانت لهذه الحرب أيضا تأثيراتها المدمرة على الجبهات الأخرى ومنها جبهة بلاد الرافدين(٣).

د. الحرب السورية الرابعة والخامسة :

بعد السلام في عام ٢٤١ ق.م فان المسالة السورية سمح لها ان تبقى مستقرة لفترة عشرين سنة ولكن خلال هذه الفترة فان بطليموس الثالث قدم أساس للشكوى الى سلوقس الثاني وذلك باثارة التمرد في اسيا الصغرى وفي نفس الوقت فانه قام بتوجيه هجوم مضاد بالسماح لجيشه بان يسقط في حالة مؤسفة من التدهور وان فرصة حرب جديدة قد تم انتهازها بحماس من قبل الملك الشاب انطيخوس الثالث الذي استانف الاعمال العدائية ضد مصر عام ٢٢١ ق.م ... وجاءت اللحظة المناسبة وتم اختيارها بصورة جيدة في تلك السنة فان توفي بطليموس الثالث وجاء ابنه الذي جاء بعده إلى العرش باسم بطليموس الرابع ، في ذلك الوقت قام انطيخوس بتأجيل هجومه لقمع تمرد قام به (Molon)

(١) العابد ، مفيد رائد ، المصدر السابق ، ص٢١٤.

(٢) رستم ، اسد ، المصدر السابق ، ص٧٩.

(3) Cary , M , and Litt , M. A. D, op. cit , p. 89-90 .

ولذلك لم يكن قادرا على تجميع قوة كافية للحرب ضد مصر، وكنتيجة لذلك... واتجه نحو (Molon) واخمد التمرد ثم عام إلى سورية بقوته البرية الكاملة[١] هذا وتجدر الاشارة إلى أن حاكم بابل السلوقي والتابع لانطيخوس قد قطع الطريق النهري امام مولون وقواته الذي اراد السيطرة على بابل وذلك بمصادرة جميع القوارب النهرية الموصلة إلى عاصمة الاقليم سلوقية دجلة وبذلك فشل مولون في تحقيق هدفه في احتلال بلاد الرافدين إلى حين[٢] . ومرة أخرى اصبحت بابل وبلاد الرافدين عموما ساحة حرب طاحنة جمعت الجيوش اليونانية المتنازعة على النفوذ والمصالح .

وفي الوقت الذي كان فيه انطيخوس الثالث يستعد لحرب البطالمة في جوف سوريا جاءته انباء عن هزيمة قواده في الشرق وسقوط ممتلكاته في هذه البقاع ولاسيما سلوقية دجلة مما اضطره إلى توجيه قوته نحو الشرق والقضاء على الثوار وبنهاية عام ٢٢١ ق.م بدات القوات السلوقية تتجه شرقا وعبرت نهر الفرات إلى بلاد الرافدين باتجاه نهر دجلة، وعسكر في مكان يسمى ليبا (Liba) ومرجح ان يكون بالقرب من مدينة نينوى وبعد مشاورات ونقاشات حادة بين القادة السلوقيين قرر انطيخوس ان يعبر نهر دجلة ورغم ان الثوار قد حققوا بعض الانتصارات الجزئية في هذه المناطق الا ان تدخل قوات الملك انطيخوس حسمت المعركة لصالحه وانتحر قادة الثورة وتم القضاء على مركزهم في ميديا ومعاقبة اتباعهم[٣].

ذكرنا سابقا بان بطليموس الرابع لم يكن بالقائد الكفوء في مواجهة خصمه انطيخوس الثالث بل نراه يعبث بمقدرات الدولة ، الشي الذي استغله انطيخوس للهجوم على جوف سوريا بعد ان عقد مجلسا حربيا ضم أكبر قادته وتقرر بموجب ذلك غزو مقاطعة سلوقية الواقعة على نهر العاصي والتي كانت تحت حكم الاسرة البطلمية وبدات الاجراءات العسكرية بمحاصرة القوات البطلمية في سلوقية بحرا في نفس الوقت الذي بدات فيه قوات احتياطية أخرى لبدء غزو جوف سوريا[٤] ، وقد تحقق لانطيخوس ما اراد واحتل جوف سوريا برا وبحراً [٥].

---

(1) Cary , M , and Litt , M. A. D, op. cit. p . 90 .

(٢) العابد ، مفيد رائد ، المصدر السابق ، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٢٣-٢٢٦.

(٤) العابد ، مفيد رائد ، المصدر السابق ، ص٢٢٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٢٨-٢٣٠.

بعد سنة من ذلك التاريخ أي عام ٢١٩ ق م وقعت معركة رفح[*] التي استرد فيها بطليموس جوف سوريا ، وفي الوقت الذي بدأ فيه انطيخوس يستعد للتحالف مع قوى خارجية أخرى سارعت فيه الاسرة البطلمية الاستنجاد بالرومان[١].

ان من أهم نتائج الحرب السورية الخامسة هو معاهدة التحالف التي وقعها الملك السلوقي انطيخوس مع ملك مقدونيا، فيليب الخامس وكان ذلك عام ٢٠٣ ق.م[٢] تهدف إلى "اقتسام ممتلكات مصر الخارجية"[٣] والانتقام لمعركة رفح وحتى بعد هزيمته في هذه معركة التي خسر على اثرها اراضي عديدة من بينها جوف سوريا لم يفرط انطيخوس في جوف سوريا فبدا يعد العدة للحرب مرة أخرى وازاء ذلك اصبح الصدام بين الطرفين لا شك فيه ، ونشبت على أثر ذلك الحرب السورية السادسة التي كانت لها نتائج جد خطيرة ليس فقط على العلاقات[٤] بين السلوقيين والبطالمة وانما على مستقبل العلاقات الدولية بين الشرق والغرب عصرئذ فقد بدأ الرومان يتدخلون في شؤون الشرق يرومون تحجيم قوة السلوقيين والهيمنة على العالم .

في الحقيقة هنالك حدثين بارزين في تاريخ المملكة السلوقية فالمعروف ان بابل قد مثلت بالنسبة للسلوقيين عاصمة الامبراطورية على مدى عهود طويلة ورثوها من ايام الاسكندر المقدوني ولما كانت بابل العاصمة ولما لها من مكانة واهمية كبيرة في توطيد الحكم اليوناني خلال هذه العهود، قبل انتقال مركز السلطة السياسية السلوقية إلى بلاد الشام في انطاكية وحتى بعد تاسيس مدينة سلوقية على نهر دجلة ثم فيما بعد نقل مركز السلطة إلى سوريا فان بابل وبلاد الرافدين بقيت محتفظة بمكانتها التاريخية والروحية بالنسبة للمتصارعين اليونانيين نظرا لما تمتلكه من رصيد حضاري كبير مكنها بان تكون كذلك محظ انظار كل طامع محتل .

(*) تقع رفح على حدود مصر الشرقية فيها حدثت معركة مشهورة في تاريخ الدولة البطلمية سنة ٢١٩ ق م بين ملك مصر بطليموس الرابع (فيلو باتر) وبين ملك السلوقيين انطيخوس الثالث وقد كتب النصر فيها للجانب المصري. انظر أيضا : ادريس ، سير هارولد، الهيلينية في مصر، ترجمة زكي علي، دار المعارف بمصر، ١٩٤٨.

(١) طراد ، نجيب ابراهيم ، تاريخ الدولة المقدونية والممالك التي انفصلت عنها ، بيروت ، ١٨٨٦ ، ص ١٤٢.
للمزيد من المعلومات عن معركة رفح ، ينظر:
Bar – Kochva , Belalel , The Selucide army, London, 1976 , P.128-141 .

(٢) لانجار ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج١ ، ترجمة ، محمد ، مصطفى زيادة ، ص٢٠٩.

(٣) نصحي ، ابراهيم ، المصدر السابق ، ص١٣٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص١٣٨–١٤٠.

وبناءا على ذلك وعندما استعرضنا تاريخ الصراع الدامي الطويل الذي نشب بين السلوقيين والبطالمة كنا نروم من خلال ذلك ان نبرز دور بلاد الرافدين ومدايات هذا الدور في هذا الصراع سواء كان بشكل مباشر أم غير مباشر .

ان الذي نبغيه من خلال هذا العرض التاريخي السابق هو حكم السلوقيين لبلاد الرافدين واهمية هذه المنطقة بالنسبة لليونانيين .

ان فترة حكم الملك السلوقي انطيخوس الثالث تعد من اقوى الفترات التاريخية في عمر الدولة السلوقية وقد عرفت هذه الدولة في عهده اشد مظاهر القوة وتحرش بالرومان محاولا تحقيق مكاسب جديدة على حسابهم في شرق وشمال شرق البحر المتوسط. نريد القول بان جهود انطيخوس الثالث ونهاية حكمه عام ١٨٧ ق م تؤشر نهاية التأثير الاغريقي وردود الفعل الاسوية ضد الهلنسة، وايضا خلال سنوات محددة ستواصل السلالة السلوقية تملكها لسوريا، ولكنها لن تلعب دور المخطط الاول "السياسة الدولية" ، فهناك قوتان جديدتان بارزتان ، روما والبارثيون الارشاقيون[١].

ان الرومان في الغرب والبارثيون في الشرق قد شكلتا المطرقتين اللتين انهتا الدولة السلوقية من الوجود واقتسمت ممتلكاتها فيما بينهما[٢].

٣. أحوال العراق خلال الحكم السلوقي :

لقد اثرت الاوضاع السياسية والنزاعات المستمرة بين القادة المقدونيين والاغريق والملوك السلوقيين التي ادت إلى مرور العراق بفترة مضطربة غير مستقرة خاصة مدينة بابل التي تعرضت للنهب والتدمير عدة مرات اثناء فترة الصراع بين المقدونيين واليونانيين[٣] وقد فقدت بابل مكانتها وبريقها بعد تأسيس عاصمة جديدة للسلوقيين وهي سلوقية التي سميت باسم مؤسسها سلوقس الاول والتي يرجح انها اقيمت على انقاض المدينة البابلية (اوبس) والتي تعرف بقاياها اليوم باسم (تل عمر) على الضفة الغربية لنهر دجلة وقد اصبحت سلوقية عاصمة للقسم الشرقي من المملكة السلوقية التي امتدت من حدود الهند إلى حدود مصر ومن البحر الاسود إلى الخليج العربي[٤].

---

(1) Furod , R. L. op.cit , P. 68 .

(٢) توينبي ، ارنولد ، تاريخ البشرية ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٢٥١.

(٣) سعيد ، مؤيد ، العراق خلال عصور الاحتلال الاخميني ، السلوقي ، الفرتي ، الساساني ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٤) باقر ، طه ، المقدمة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٥٩٢-٥٩٣.

وقد اثرت الحروب السورية التي خاضها الملوك السلوقيون لتحقيق اطماعهم في بلاد الرافدين وبابل ايما تأثير، ففي ادنى جنوب بلاد الرافدين مثلا طالما اشتكى السكان بمرارة من الدمار الذي لحق بمدينة بابل خلال الحرب السورية الاولى وتحدثوا عن الازمات الاقتصادية المدمرة في تلك الفترة[١] .

لقد كان لهذه المنازعات اثرها في قيام اوضاع سياسية غير ثابتة على بلاد الرافدين وتعرضت مدينة بابل في عديد المناسبات إلى الغزوات المستمرة ومما زاد في تردي الاوضاع ظهور البارثيين في شمال ايران وقيامهم بهجمات متعددة على بلاد الرافدين خلال القرن الثالث وتكوينهم دولة مجاورة لدولة السلوقيين وتحولهم إلى مصدر قلق وشغب خطيرين على بلاد الرافدين[٢] .

ان بابل وعلى مدى تاريخها الطويل كانت محطة نزاع بين الاقوام الغازية ، فهناك ناحية فريدة والتي فيها ترك الحكم السلوقي اثرا واسعا ودائميا على البلاد وهي دمار بابل، ولقد قام سنحاريب بتدميرها وظهرت للمرة الثانية وبمجد جديد وان كورش والاسكندر قاما بغزو بابل وكانت لا تزال عاصمة العالم ولكن سلوقس نيكاتور قام بغزوها اخيرا وعادت للحياة مجددا من خلال مختلف تغييرات الامبراطورية بسبب الامتياز الذي تأسس على أساس المعطيات الطبيعية ولكن الامتياز عاد إلى الأرض اكثر مما يعود إلى مدينة اخرى[٣].

فقد جاءنا من بلاد بابل نصين مسماريين يعودان إلى القرن الثالث ق.م هما عبارة عن وثيقة تحكيان الآثار المدمرة التي خلقتها الحروب السورية على بلاد بابل وقد جاء في هذا السجل الذي يعاصر الحرب السورية الأولى بان هذه الحرب "وان كانت قد وقعت خارج حدود بلاد بابل إلا انها مع ذلك أثرت تأثيرا بالغا على رخائها، فقد انتشر الجوع والأمراض الوافدة في البلاد ودفع بالناس إلى ان يبيعوا أولادهم ولم يكن سكان المدن في حال افضل ، فقد كان على سلوقية التي تقع على نهر دجلة وبابل ان تقدما كميات كبيرة من الفضة والمواد الغالية الأخرى إلى الملك لسد حاجاته العسكرية"[٤].

ورغم ما اصاب بلاد الرافدين من الدمار والمآسي خلال الاحتلال السلوقي، الا ان البلاد شهدت "انتعاش اصاب الحضارة البابلية، ولا سيما في علم الفلك والرياضيات"[٥] كما جاءتنا نماذج من "التدوين التاريخي يسجل بعض الحوادث المعاصرة من ذلك بعض المدن البابلية مثل بابل وكوثي

---

(1) Rostovtzeff, M, The social and economic History of the Hellenistic world, vol. I Oxford, 1967, P.533.

(٢) سعيد ، مؤيد ، المصدر السابق ، ص٢٥١-٢٥٢.

(3) Bevan , E. R. , Vol. I , op. cit , P. 252.

(٤) جماعة من علماء الآثار السوفييت ، المصدر السابق ، ص ٤٨٢-٤٨٣.

(٥) باقر ، طه ، المقدمة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٥٣.

وبورسيبيا"[١] اضافة إلى بعض الاعمال العمرانية مثل بناء المدن والاهتمام بالمعابد وبعض المشاريع العمرانية الاخرى[٢].

٤. نهاية الحكم السلوقي في بلاد الرافدين :

ان وفاة الاسكندر المقدوني عام ٣٢٣ ق.م مثل دون شك نقطة تحول خطيرة على مستقبل الامبراطورية التي اقامها ، فقد تم اقتسام هذه الامبراطورية إلى ثلاثة دول اساسية كما تمت الاشارة إلى ذلك من قبل كان العراق وبلاد فارس وسوريا حتى الشرق الاقصى من نصيب القائد سلوقس الذي عمل جاهدا هو واحفاده المتوالون على السلطة السلوقية للحفاظ على الممتلكات العائدة لهذه الدولة خصوصا الاقاليم الواقعة على اطراف هذه الدولة الجديدة الا ان محاولات هذه الدولة وجهودها في هذا المجال لم يكتب لها النجاح وبدات بين عامي (٢٧٧-٢٥٠ ق.م) تظهر بوادر حقيقية لانفصال هذه الاقاليم الشرقية عن جسم السلوقيين وتحقيق استقلالها[٣] وحتى قبل ذلك التاريخ هنالك بعض الدويلات التي حققت استقلالها عن الحكم السلوقي منذ عام ٢٨٠ مثل ارمينية وكبدوكيا وتيتس وحققت بكتريا وسجريانا استقلالهما منذ عام ٢٥٠ وبعد ثلاث سنوات تعرض حاكم السلوقيين في ايران إلى عملية اغتيال اودت بحياته من قبل زعيم البارثيين ارسيز الذي اعلن انفصاله عن السلوقيين بعد ان ضم إليه مقاطعة برجموم في اسيا وبمساعدة امينيز الاول (Eumenes) ابن اخيه ثم كذلك بسط نفوذه على مقاطعتي بيتاني (pitane) واترنيوس (Atarneus) وبذلك اصبحت هذه المناطق بما فيها برجموم مناطق مستقلة تتمتع بالسيادة التامة حيث "اخذت بارثيا وبرجموم ومصر وروما تعمل جاهدة في صبر واناة لاضعاف هذه الاسرة"[٤]. إضافة إلى ذلك شهدت العقود الأخيرة للحكم السلوقي عدم استقرار من داخل وخارج الامبراطورية بسبب الانشقاق في خط العائلة الحاكمة والذي قاد إلى سلسلة من الصراعات التي أدت أحيانا إلى حرب أهلية وفي غضون ذلك في أجزاء من الاناضول وأرمينيا .. وفي جنوب بلاد الرافدين فان الحكام المستقلين قد نهضوا وقاموا بانشاء ممالك محلية، وان الرومان توسعوا إلى شرق البحر الأبيض المتوسط واسيا الصغرى في حين قام البارثيون الارشاقيون، وهم قبائل فارسية من الشرق، قامت بطرد السلوقيين خارج ايران في حدود عام ١٤٢ ق.م[٥].

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الهاشمي ، تغريد جعفر ، و عكلا حسن حسين ، المصدر السابق ، ص٢٨٩.

(٤) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٣ ، مج ٢ ، المصدر السابق ، ص٤٨-٤٩.

(5) Dalley , S. , op. cit , p.39.

ان تاريخ العائلة الحاكمة السلوقية بعد عام ١٤٥ ق.م لم يكن تاريخا اقل عواصف من تاريخ البطالمة وان نتائج الضغائن المزمنة لها كانت مميتة لان ممتلكات هذه المملكة آلت إلى جيرانها المتربصين بها والذين انتهزوا الفرص بصورة جيدة[١].

لقد بدا البارثيون بالتوسع غربا على حساب الممتلكات السلوقية بداية من سنة ١٦٠ ق.م الشي الذي اصبح يهدد السلوقيين المتواجدين بشكل اساس في منطقة بلاد الرافدين[٢] حيث بدا كيان البارثيين ينمو شيئا فشيئا و "تمتص قوى الدولة السلوقية والدولة اليونانية البلخية"[٣] وفي عهد الملك البارثي متريدات الاول بين سنتي (١٧٠-١٣٨ ق.م) تمكن هذا الاخير من تحقيق مكاسب جديدة على حساب السلوقيين عندما تمكن من ضم معظم الاقسام في ايران الشرقية التي كانت خاضعة لليونانيين من اهل بلخ[٤] وفي مقابل ذلك وعلى صعيد الجبهة الغربية في الحوض الشرقي من البحر المتوسط ونتيجة للمكاسب التي حققها انطيخوس الثالث في سوريا ومصر فان روما التي فرضت سيطرتها على سواحل البحر المتوسط الشرقي منذ عامي ٢٠٠-١٦٨ ق.م لم تكن مستعدة لترى السلوقيين وهم يحققون الانتصارات المتتالية في هذه المناطق كما ان الرومان الذين لهم مصالح جد حيوية في الشرق لم يكن بوسعهم السكوت امام تنامي قوة السلوقيين باي حال من الاحوال[٥].

ان الهزائم التي لحقت بالجيش المصري على يد الجيش السلوقي بقيادة انطيخوس الثالث عام ١٩٨ ق.م حيث وصلت القوات السلوقية اسوار الاسكندرية جعل المصريين يطلبون مساعدة روما التي ما ان حققت انتصارا ساحقا على فيليب الخامس في مقدونية ابان الحرب المقدونية الثالثة حتى اصبحت مهياة للتصدي للسلوقيين[٦].

كان في مقدور الملك انطيخوس ان يتفادى صراعه مع روما باستكمال المفاوضات التي دارت بينه وبين الرومان حول المسالة اليونانية ومصالح روما في اليونان ومصر، الا ان الملك السلوقي تحالف مع الايتوليين ضد روما[٧].

بعد الانتصارات التي حققها انطيخوس الثالث في الشرق الاقصى وجه انظاره نحو الغرب وتمادى في تنفيذ مشاريعه التوسعية في اسيا الصغرى وبلاد اليونان حيث النفوذ الروماني متواجد هناك

---

(1) Cary . M. and Litt , M. A. D, op. cit , p. 225 .

(٢) الهاشمي ، تغريد جعفر و عكلا حسن حسين ، المصدر السابق ، ص٢٨٩.

(٣) بفن ، اودن ، المصدر السابق ، ص٧٦.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) توينبي ، ارنولد ، تاريخ البشرية ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٢٥٠.

(٦) نصحي ابراهيم ، المصدر السابق ، ص١٤٠-١٤١.

(٧) توينبي ، ارنولد ، تاريخ البشرية ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٢٥٠-٢٥١.

وقد طلبت بعض الممالك في بلاد اليونان الحماية الرومانية بموجب اتفاقيات التحالف المبرمة بينهما، فكان لابد من وضع حد للتوسع السلوقي ، كما ذعرت روما عندما سمعت بان القائد القرطاجي حنبعل قد انضم إلى قوات انطيوخس، فتيقنت روما بانه لا مجال للسلم مع انطيخوس وحنبعل، وقد اشار القائد القرطاجي العظيم على انطيخوس ان يمده بامدادات عسكرية ومالية وينقل ساحة الصراع والحرب إلى الاراضي الرومانية وقد اكد حنبعل بانه سيربك الرومان وينتصر عليهم في عقر دارهم لانه على دراية بمكائدهم في الحروب وهو الذي قاتلهم في شمال ايطاليا ستة عشرة سنة وبدون امدادات[١] .

لم يوافق الملك انطيخوس الثالث على مقترحات القائد حنبعل وانما توجه إلى بلاد اليونان حيث ألب الايتوليين على التواجد الروماني هناك، فايقنت روما بانه لا مجال للصلح أو التفاوض وعند ثرمبولي دارت معركة بين الفريقين[٢] عرفت بمعركة مغنيسيا (magnesia) عام ١٩٠ ق.م وخسر انطيخوس المعركة وتقهقر باتجاه اسيا الصغرى الا ان الرومان استثمروا هذا النصر وفرضوا على انطيخوس شروط مهينة ومن اهمها[٣].

- جلاء القوات السلوقية عن كل المناطق الاوربية التي كانت تحت نفوذها.
- ان يدفع انطيخوس خمسة عشرة الف وزنة من الفضة للرومان .
- ان يسلم للرومان كل ما يملك من الفيلة والسفن الحربية ويحتفظ بعشرة سفن فقط وان يسلم اليهم القائد حنبعل .
- ان يعطي للرومان ٢٠ رهينة من الشباب من بينهم ولده انطيخوس[٤] .

لم تكن خزينة الملك السلوقي قادرة على الايفاء بالتعهدات للرومان ودفع الاموال المتفق عليها بموجب معاهدة الصلح ولذلك سارع انطوخيس لجلب كثير من الاموال المخزنة في بلاد فارس الا انه قتل على أثر ذلك[٥] وخلفه ابنه سلوقس الرابع فيلوباتر (philopater) (المحب لابيه) ، حاول هذا الملك ان يوطد حكمه ويدعم مركزه ويعيد للدولة قوتها وهيبتها وتمكن من قيادة بعض المعارك في برجاموم وبيثينيا عام ١٨٦ ق.م ولم يستمر في الحكم فجاء بعده انطيخوس الرابع الذي حاول ان يجد له نفوذا في مصر الا ان الرومان قضوا على احلامه في هذه المنطقة[٦].

---

(١) طراد ، نجيب ابراهيم ، المصدر السابق ، ص١٤٣– ١٤٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) لانجار ، وليام ، المصدر السابق ، ص٢٠٨.

(٤) طراد ، نجيب ابراهيم ، المصدر السابق ، ص١٤٥.

(٥) طراد ، نجيب ابراهيم ، المصدر السابق ، ص١٤٦.

(٦) لانجر ، وليام ، المصدر السابق ، ص٢١٢.

امام هذه الهزائم المتكررة التي مني بها الجيش السلوقي في الغرب امام الرومان نجد ان نفس الماكنة الحربية السلوقية تتجه نحو التقهقر في الشرق، امام ظمور البارثيين كقوة سياسية وعسكرية رامت التوسع على حساب السلوقيين ورغم المكاسب والانتصارات العديدة التي حققها الملك السلوقي ديمتريوس الثاني نيكاتور (الفاتح) على مثريداتس الاول ملك البارثيين واستيلائه على ميديا وبابل عامي (١٥٠ و ١٤١ق.م)[١] الا ان السلوقيين غادروا مسرح التاريخ في فترة حكم ملكهم انطيخوس السابع (١٣٩-١٢٩ق.م)[٢] الذي رغم ان الدولة السلوقية قد حققت انتصارات باهرة على ملك البارثيين افراهاطس الا انه قتل في باكتريا عام ١٢٧ق.م[٣] "إذ عظم في زمنه شأن الفرثيين في بلاد خراسان وتوسعت اطماعهم في العراق مما حدا بالملك السلوقي إلى محاربتهم ولكنهم تمكنوا من التغلب على جيشه فانتحر على أثر ذلك"[٤] .

"وعلى الرغم من ان اول غزوهم للعراق كان في حدود عام ١٤١ ق.م الا انهم لم يتمكنوا من بسط سيطرتهم الا في حدود ١٢٦ ق.م وذلك في عهد ملوكهم ارطبان الثاني (١٢٨-١٢٤ق.م) ورغم ذلك ظلت بابل وبلاد الرافدين من أهم المراكز الاساسية بالنسبة للفارثيين كما كانت في عهد السلوقيين رغم ان البارثيين قاموا بتأسيس طيسفون كمدينة عسكرية"[٥] . ولذلك يمكن القول بان الرومان بعد ان استنزفوا السلوقيون واضعفوهم وجد البارثيون طريقهم إلى بلاد الرافدين وسيطروا عليه[٦] .

ان بلاد بابل مثلت نقطة الصراع الدامي بين السلوقيين والبارثيين فبعد ان آلت إلى السلوقيين منذ عام ١٩٤ ق.م انتقلت إلى البارثيين بعد اربعة سنوات ثم استرجعها السلوقيون مرة اخرى وآلت من جديد بعد ذلك بسنتين إلى الاسرة الارشاقية أو الفارثية ويؤكد لنا نص مسماري يتناول نفس المدة بأن بلاد بابل تم استرجاعها من قبل السلوقيين مرة ثانية في عهد الملك انطيخوس مبيديتس عام ١٣٠ق.م ورغم ذلك فقد انتهت بلاد بابل في يد الملوك البارثيين ودامت تحت حكمهم حوالي اربعة قرون[٧].

"وتوالت على السلوقيين المحن بانفصال الولايات وظهور المدعين والغاصبين في العرش السلوقي وانحصرت مملكتهم في سورية، ثم فقدت استقلالها ازاء قوة رومة المتعاظمة"[٨] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢١٣.

(٢) الاحمد ، عبد الرحيم ، طه ، تكريت ، من العهد الاشوري إلى الاحتلال العثماني ، ط١، بغداد، ١٩٨٨، ص٣٧-٣٨.

(٣) لانجر ، وليام ، المصدر السابق ، ص٢١٣-٢١٤.

(٤) برن ، اندرو روبرت ، تاريخ اليونان ، ترجمة : محمد توفيق حسين ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩، ص٤٧١.

(٥) المصدر نفسه .

(٦) برن ، اندرو روبرت ، المصدر السابق ، ص٤٧١ .

(٧) بفن ، ادون ، المصدر السابق ، ص٧٦-٧٧.

(٨) باقر ، طه ، المقدمة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٣٥.

ولكن اراضيها الباقية قد تعرضت إلى هجوم الجيران الاخرين ، وان اليهود قد زحفوا إلى جبل الكرمل وتقدم الانباط من البتراء نحو دمشق عام ٨٣ وان الملك تيغرانس الارميني سيطر على جميع سوريا باستثناء مدن ساحلية قليلة وبالسيطرة على سوريا وسليسيا (٦٥-٦٣ ق.م) فان بومبي (pompey) القائد الروماني انهى الفوضى السلوقية وان المملكة قد انتهت فعليا بانطيخوس السابع[1]. (ينظر شكل ٥) .

(1) Cary , M , and Litt , M. A. D , op. cit , p. 227.



الفصل الثالث

سبل انتقال الحضارة العراقية القديمة الى بلاد اليونان

تمهيد :

لقد نشأ نوعا من العلاقات الحضارية غير المباشرة بين بلاد الرافدين والعالم اليوناني عبر العصور التاريخية عبرت من خلالها الحضارة العراقية القديمة عن اصالتها وعمق خصوصياتها وقوة تأثيرها بمساعدة عدة عوامل جغرافية وتاريخية وانسانية والمتمثلة بالحضارات الوسيطة وتدخل الإنسان في الفعل التاريخي المؤثر وان دراسة موضوع كهذا يتطلب منا بادئ ذي بدء ان نقف عند المحطات التاريخية التي تسلط الضوء وتكشف لنا عن العلاقات التي كانت قائمة بين الحضارتين وذلك من خلال ما أمدتنا به مختلف المصادر المادية والتاريخية وغيرها .

إذ يعد الغزو اليوناني الذي تعرضت له بلاد الرافدين خلال حملات الاسكندر العسكرية على الشرق من أهم محطاتنا التي سنتوقف عندها لكي نسلط الضوء على خصوصيات وطبيعة العلاقات خلال هذه المرحلة التي كانت من أهم سماتها هو الاحتكاك الحضاري المباشر بينهما مما يدفعنا للتساؤل حول مديات التأثر والتأثير لحضارة العراق القديم في الحضارة اليونانية في واقع الامر، ان التاريخ هو عبارة عن سلسلة من الحلقات المترابطة مع بعضها البعض بحيث لا يمكن ان نفصل حلقة تاريخية عن أخرى لنقول مثلا بانها نتاج عصرها وحسب وليست لها جذور ومقدمات تاريخية ولذلك يمكن القول بان الفترة التي سيطر فيها اليونانيون على بلاد الرافدين واخذهم عناصر الحضارة منها في مجالات فروع العلوم الطبيعية والانسانية ما هي الا امتداد للحلقات الاولى التي كانت فيها حضارة اليونان تستقي علومها ومعارفها من الشرق وبابل عن طريق الوسائط الاقليمية والدولية، اما وهي تبسط نفوذها عليه بشكل مباشر فهي ليست في حاجة إلى مثل هذه الوسائط.

ولكن قبل ان نستعرض مؤثرات العراق القديم على بلاد اليونان في مجالي الفكر والممارسة لابد من ايضاح جملة من الحقائق التي تؤكد صحة الاقتباسات اليونانية من الحضارة الرافدينية

ومن أهم هذه الحقائق هو "السبق الزمني للحضارة المقتبس عنها على الحضارة المقتبسة"[١] وهو ما يشير إلى اصالة الحضارة العراقية ثم تقوية "الاتصالات التاريخية" كما بيننا سابقا .

اما الحقيقة الثالثة فهي "وجود اوجه الشبه بين العناصر المقتبسة واصولها في الحضارة المقتبس عنها"[٢] .

لاشك ان التاريخ الحضاري لبلاد اليونان قد عرف مؤثرات خارجية قدمت من بلدان الشرق الادنى القديم ، واثرت فيه ايما تأثير، وبالخصوص تلك التأثيرات الاتية من بلاد الرافدين ومصر وفينيقيا، وقبل التطرق لذكر مظاهر هذه التأثيرات لابد لنا ان نشير إلى الطرق والوسائل التي ادت إلى انتقالها من الشرق إلى الغرب وبالتحديد من بلاد الرافدين إلى اليونان إذ يمكن ان نصنف هذه الوسائل على النحو التالي .

١. النطاق الجغرافي القريب :

غالبا ما تؤدي البيئة الطبيعية دورا تاريخيا مؤثرا في تفعيل التمازج الحضاري بين مختلف الشعوب والاجناس خصوصا إذا كانت هذه البيئة مهياة للقيام بهذا الدور مع ما يملكه الإنسان فيها من مؤهلات فكرية ومادية تزيده حركة ونشاطا .

اننا إذا تتبعنا البدايات الاولى للنشاطات المختلفة التي قام بها الإنسان في الشرق الادنى القديم ولاسيما في بلاد الرافدين ومجال حركة هذه النشاطات نلاحظ بانه لم يقتصر في اعماله هذه على المنطقة التي يستوطنها فحسب وانما تعدى ذلك إلى الخروج من النطاق الجغرافي لموطنه الاصلي والسير في اتجاهات مختلفة من العالم رغبة منه في كسب قوته وسد حاجاته المادية المتزايدة باستمرار . وقد كانت للانسان الرافديني في هذا المجال اتصالات متعددة مع بلدان العالم القديم ومنها بلاد اليونان كمنطقة واقعة ضمن القارة الاوربية .

ان الحدود الجغرافية للشرق القديم يمكن تحديدها من سواحل البحر المتوسط شرقا إلى الحدود الغربية للهند هي منطقة بلا شك قد مثلت الأساس الذي قامت عليه الحضارة الاوربية الغربية وباعتبار ان منطقة الشرق الادنى القديم تشكل منطقة جغرافية ضمن حدود الشرق القديم فهي تعتبر المنطقة الاكثر تاثيرا في تاريخ اليونان الذي قامت عليه الحضارة الغربية كما تمت

---

(١) باقر ، طه ، "لمحات من تراث حضارة وادي الرافدين في الحضارة اليونانية" ، بين النهرين ، عدد ٢٩، الموصل ١٩٨٠ ، ص٨ .

(٢) المصدر نفسه .

الاشارة إلى ذلك "ولهذا السبب اصبحت المنطقة التي تقع على الحدود بين اوربا واسيا وهي البحر الايجي والدردنيل والبسفور اول مسرح ظهر عليه التاريخ الاوربي"[١] .

حيث كانت الجزر المنتشرة حول البحر الايجي "بمثابة الجسر الذي ربط بين هاتين القارتين...التي هيأتها الطبيعة لتكون معبرا من اسيا إلى اوربا"[٢].

ويعد بعض الباحثين ان انسب منطقة من شأنها ان تسهل العمليات التجارية بين شعوب القارتين وتساعد على انتشار الحضارة فيها وتلاقح الثقافات هي منطقة بحر ايجة والامتدادات العميقة لجزره الكثيرة باتجاه الشرق في اسيا الصغرى ومواطن الحضارات القديمة في الشرق، اضافة إلى ان مضيقا البسفور والدردنيل يشكلان حلقتا ربط قوية ومعبران اساسيان يربطان اسيا باوربا عبر سلسلة من الجزر والخلجان المترابطة بمسافات بحرية ليست كبيرة[٣].

"وقد التقى الشرق بالغرب في جميع أجزاء هذه المنطقة"[٤] وعن طريقها سافر الناس والتجار من اسيا إلى اوربا اخذين معهم السلع التجارية والافكار المتنوعة وعناصر الحضارة المختلفة[٥].

ولنتوقف هنا لحظة لنقول بان اليونانيين قد ربطتهم علاقات كبيرة مع بلاد الرافدين ومصر وفينيقيا مما حفزهم على اقتباس مقومات الحضارة من هذه البلدان وفي نفس الوقت قاموا بدورهم بتأسيس مستعمرات تجارية في منطقة اسيا الصغرى استعانوا من خلالها بنقل مبتكرات الشرق المادية والفكرية منذ اقدم العصور التاريخية خاصة من سومر وبابل واشور، الا ان احتكاكهم الفعلي والمباشر بحضارة بلاد الرافدين والذي كانت مؤثراته الحضارية شاخصة وواضحة للعيان قد تجسدت بعد الغزو اليوناني لبابل والشرق على يد الاسكندر المقدوني[٦].

٢. التجـــارة :

تعد التجارة من بين أهم العوامل الاساسية لاقتصاديات الدول قديما وحديثا وقد ادرك سكان بلاد الرافدين منذ اقدم العصور اهمية التجارة ودور نشاطاتها في ازدياد الثروة والنفوذ ولذلك نجدهم قد اولوها عناية فائقة تجاوزوا بها الحدود الجغرافية لوطنهم الاصلي لكي يؤسسوا لهم أسواقا خارجية هي بمثابة مراكز تجارية تلعب دورا اقتصاديا فعالا مضافا إلى نشاطاتهم التجارية

---

(١) احمد ، علي عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص ٧-٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص٩ .

(٣) عياد ، محمود كامل ، المصدر السابق ، ص٢٣-٢٤.

(٤) احمد ، علي عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص٩ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) عياد ، محمود كامل ، المصدر السابق ، ص٢ .

الداخلية ان الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين جعل منها منطقة وصل بين بلدان الشرق الادنى القديم المحيطة بها فبالاضافة إلى العلاقات التجارية التي كانت جارية مع الشرق والجنوب نجد ان هذه العلاقات اخذت طابعا خاصا ومميزا مع شمال البلاد في فترات تاريخية معينة ، وقد كانت بلاد الاناضول قديما من بين البلدان التي ربطت افتقارها بشكل كبير بعجلة اقتصاد بلاد الرافدين حيث كانت منطقة اسيا الصغرى وشمال سوريا والساحل السوري مناطق مجال حيوي لمختلف النشاطات الاقتصادية العراقية القديمة ، ونتيجة لذلك ظهرت في هذه البقاع العديد من المراكز التجارية العراقية المهمة فقد اشارت التنقيبات الاثرية إلى ان هذه العلاقات تمتد إلى عصور قديمة(١) .

فقد عثر المنقبون في مواقع عراقية عديدة مثل جرمو والاربجية تعود إلى العصور الحجرية على مجموعة من الادوات مصنوعة من مواد غير متوفرة في أرض العراق مثل حجر الابسيديان الذي يعتقد بانه جاء من منطقة بحيرة وان في الأجزاء الشرقية والغربية من بلاد الاناضول .

وفي موقع يارم تبة أيضا (جنوب تلعفر) تم العثور على افران تثبت وجود عمليات تعدين للنحاس الخام الذي يعتبر الاناضول موطنه الاصلي مما يؤشر على وجود علاقات بين المنطقتين ترقى إلى حدود الالف السادس قبل الميلاد هذا واستمرت الصلات التجارية بين البلدين في مختلف العصور ومنها الفترة الاكدية والسومرية الحديثة(٢) .

ومن الطبيعي ان يؤدي هذا التمازج الناتج عن التجارة والجاليات التجارية إلى انتقال العديد من المؤثرات الحضارية من والى المناطق التي يتاجر معها(٣) .

هذا وتجدر الاشارة إلى امكانية وجود بعض المراكز التجارية في جزيرة كريت كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين حيث يستندون إلى بعض مكتشفات من الفخار واختام اسطوانية بابلية ونصوص كريتية تدون احدى اللغات الأخرى المعروفة وزخارف على بعض الاواني الكريتية تم العثور عليها في جزيرة كريت تشير إلى وجود علاقة بين بحر ايجه وبلاد الرافدين يعود تاريخها إلى حدود الالف الثاني قبل الميلاد وربما قبل هذا الوقت بقليل(٤) . (ينظر شكل ٦) .

أيضا تم العثور على اختام اسطوانية في منطقة ايجة وتم قطعها بالطريقة البابلية القديمة (بداية الالفية الثانية) أو باسلوب ميتاني (Mittanian) (منتصف الالفية الثانية) وانها جاءت

---

(١) باقر ، طه ، المقدمة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٤٨٠ .

(٢) حمود ، حسين ظاهر ، التجارة في العصر البابلي القديم ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩٥ ، ص١٨٦-١٨٧ .

(3) Diringer , D , writing , London , 1962 p.67 .

(٤) ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ترجمة : د. عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٧٩ ، ص ٣١٥-٣١٦ .

من مواقع مايسنية (Mycenaean) في اليونان ومواقع مينوية (Minoon) في جزيرة كريت ورغم ان مثل هذه الاختام قد تنقلت بصورة واسعة في منطقة شرق البحر الابيض المتوسط فانها جعلت رسم الصور (conograpry) العراقية متوفرة في منطقة ايجة وهناك دليل كتابي واسع حول الاتصال بالحضارة المينوية (Minoan) في جزيرة كريت ياتي بصورة رئيسة من مواقع عراقية ويتكون من اشارات إلى سكان كريت في الالواح المسمارية من ارشيف ملكي في ماري (Mari) في وسط منطقة الفرات يعود تاريخه إلى عام ١٨٠٠ق.م تقريبا وان النصوص تسجل نقل سلع جزيرة كريت إلى قصور بابل وان اواني شرب معينة واسلحة غالبا ما تم ترصيعها بالجواهر والمعادن الثمينة قد تم استلامها في ماري وهناك نص يخبرنا عن احذية تم ارسالها من كريت إلى ملك بابل حمورابي ونص آخر يسجل بان زورقا من كريت أو نموذج لزورق تم بناؤه في ماري ونص ثالث يذكر ان مراقب عمل لتجار كريت في اوغاريت (ugarit) كان يعمل مع مترجم ولقد شارك في تجارة بين بلاد الرافدين ومنطقة ايجة وان وجود سلع كريت في اوغاريت قد تم اثباتها ذلك في الحفريات هناك[1]. (ينظر شكل ٧) .

(1) Dalley Stephanie and A. T Reyes , “Mesopotamian contact and influence in the Greek world , to the Persian conquest” , the legacy of Mesopotamia , Oxford , 1998 , p.87.

٣. الحملات العسكرية :

تعد الحملات العسكرية وسيلة أخرى مضافة إلى بقية وسائل الاتصال بين الناس شرقا وغربا وهذا الاسلوب وان كانت نتائجه مدمرة لكلا الطرفين المتحاربين الا انه يعد من الوسائل المباشرة لنقل العناصر والمنجزات الحضارية والتقنية بين الامم والشعوب وقد اعتمد ملوك العراق القديم هذا الاسلوب ضد بعض القوى الاقليمية في منطقة الشرق الادنى القديم عموما واسيا الصغرى وسوريا خصوصا كما حدث مع الاشوريين في عصرهم الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) والبابليين في عهد نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) وقد طبق الاسكندر المقدوني هذا الاسلوب أيضا في محاولة لدمج سكان الشرق القديم ومنهم البابليين مع الجنود اليونانيين محاولا نشر خصوصيات العالم الهليني الحضارية في الشرق عن طريق هذا الاسلوب[١].

ويبدو ان هذا الاسلوب من العلاقات قد طبق منذ العصر الاكدي (٢٣٧٠-٢٢٣٠ ق.م) حيث يتحدث نص مسماري دون في اواسط الالف الثاني ق.م عن حملة عسكرية قام بها الملك سرجون الاكدي في اقاليم اسيا الصغرى لنجدة مجموعة من التجار الاكديين نزولا عند طلبهم ورغبة منهم في رفع الظلم والحيف من احد الحكام المحليين كما يشير النص إلى وجود مراكز تجارية اكدية قامت في هذه الفترة ، ومما يدعم هذا الرأي "وجود بعض المآثر الأدبية التي تنسب إلى سرجون امبراطورية تجارية واسعة وليس من المستحيل ان لهذا الادعاء أسس تاريخية ومن المرجح انه كانت هناك مستعمرات تجارية تابعة لبلاد الرافدين في اسيا الصغرى"[٢].

وما القصر الذي شيده حفيد سرجون (نرام سين) الذي كشف عنه في تل براك على الطريق من اكد إلى اسيا الصغرى ، والذي كان يهدف إلى حماية الطرق ، الا دليلا على ذلك[٣] وهناك نقشان يحملان اسم نرام سين (Naram - Sin) ملك اشنونا (Eshnuna) واشور والتي وجدت في شرق البحر الابيض المتوسط ، احدهما يقال انه تم اكتشافه في عام ١٨٩٤ على قطعة الصخر الابيض في جزيرة kythera رغم انه الان مفقود وهو النص من (Dur-Rimush) سيده إلى نرام سين بن (ابق-ادد) (ipiqadad) قد عرض هذا لحياته ومن قوريون (kourion) في قبرص ياتي ختم منقوش عليه اسم لنرام سين نفسه وهذا الملك حكم اشنونا عام ١٩٥٠ تقريبا وكان ملكا لاشور كذلك ولقب نفسه "ملك الجهات الاربعة للعالم" ويتضمن ذلك غزوات موسعة وأله نفسه خلال حياته وقد انعكس ذلك على تجارة اشنونا مع شمال سوريا

---

(١) الاحمد ، سامي سعيد ، العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٤٤ .

(٢) ساكز هاري ، المصدر السابق ، ص٣١٦.

(٣) المصدر نفسه .

والاناضول . ان هذا الاتصال الذي حصل بين نرام- سين وعالم بحر ايجة، هو اتصال مؤثر وسيذكر التراث الاغريقي ان جزيرة كيثيرا (Kythera) كانت لديها ارتباطات قوية بالشرق(١).

فقد أثبتت الحفريات التي أجريت في مدينة اوغاريت على وجود سلع كريتية هناك كما تم العثور على نصوص مسمارية في مدينة قانش (kanesh) في وسط الاناضول تثبت وجود مستقرات تجارية اشورية كثيرة استمرت حتى عام ١٨٠٠ ق.م تقريبا ومن المحتمل ان احتفظ الاشوريون بمستقرات مشابهة لها في شمال سوريا ، وان حالات التشابه في النظم الادارية التي تم تأشير وجودها هناك بواسطة الأختام الاسطوانية والمتمثلة في أدوات القفل في منطقة كاراهيوك (karahuyuk) قرب مدينة قونية (konya) وفيستوس (phaistos) في كريت يمكن ان تكون ناتجة من تأثير التجارة الاشورية . وتذكر بعض المصادر بان بعض الاغريق اعطوا جزية مباشرة إلى اشور، وهناك نقش للملك سرجون يسجل ما يلي "جميع الملوك وسط البحر من قبرص وارض ايونيا (Ionia) إلى أرض تارسيسي (Tarsisi) ينحنون على اقدامي واستلم منهم جزية ضخمة"(٢)

وهذا يعني بصورة مؤكدة ان الملوك الاغريق أو الشخصيات من المستوى الرفيع يسافرون لتقديم الولاء والطاعة إلى سرجون شخصيا وبذلك يحافظون على البلاط الملكي في نينوى وان النصوص الثنائية اللغة قد سجلت التزاماتهم وان سرجون كتب قائمة تضم اسماء ملوك قبرص وانهم اغريق بصورة رئيسة(٣) .

ان اشور لم تسيطر على العالم الاغريقي بمعنى سياسي أو عسكري بل انها حصلت على جزية وقد أكد ذلك نص مسماري مكسور من فترة عهد اشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) والذي يسجل منطقة دفع الجزية في مكان يسمى (ia-ma- na) بين قيليقيا (cilicia) وملاطيا وان الاصلاح الذي شمل المباني يبين ان المنطقة احتوت اغريق مقيمين فيها وان طرسوس (Tarsos) في قيليقيا ترأست مستوطنة اشورية في نهاية القرن الثامن ق.م(٤) .

إن المصادر المكتوبة بالاكدية والاغريقية تستمر في توثيق حركة المرور المنتظم بين العراقيين والاغريق رغم عدم وجود حسابات ملكية للحملات قد بقيت على قيد الحياة بالاكدية لهذه الفترة، وان اخ الشاعر الوجداني الكايوس (Alkaios) من مدينة ليسبوس (lesbos) كان

---

(1) Dalley , S. , and A.T. Reyes , op. cit , p.87 .

(2) Ibid.

(3) Dalley , S., and A.T. Reyes , op. cit. P. 97.

(4) Ibid.

يخدم كجندي في الجيش البابلي خلال حصار نبوخذ نصر الثاني لعسقلون عام ٦٠٤ ق م ومما لا شك فيه وجود مرتزقة اغريق اخرين[١].

٤. الحضارات الوسيطة :

ارتبطت بلاد الرافدين منذ القديم بعلاقات واسعة مع جيرانها من بلدان الشرق الادنى القديم وقد شملت هذه العلاقات حضارات اسيا الصغرى وسوريا والمدن الواقعة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ومصر وقبرص اضافة إلى بلاد عيلام وكلها مثلت جسرا حضاريا تم بموجبه انتقال الخصائص الحضارية العراقية القديمة إلى عالم البحر الايجي في فترات تاريخية معينة سناتي على ذكرها[٢].

ففي منطقة الاناضول مثلا وكما تمت الاشارة إلى ذلك من قبل كشفت التنقيبات الاثرية التي اجريت في موقع كول تبه (قانش قديما) في جنوب شرقي اسيا الصغرى ، اقليم كبدوكيا عن عدد كبير من النصوص المسمارية المدونة باللغة الاكدية بلهجتها الاشورية القديمة، وتبين بانها تخص احد المراكز التجارية تعود إلى العصر الاشوري القديم وقد امدتنا بمعلومات مهمة عن حياة اولئك التجار وعكست لنا جانبا مهما من حياة الاشوريين بصورة عامة ولاشك ان هذه المراكز التجارية قد كان لها مؤثرات حضارية كبيرة ليس فقط على منطقة الاناضول وانما كذلك على مناطق أخرى باتجاه الغرب حتى بحر ايجة وبلاد اليونان[٣] وهذا لا يعني ان هذه العلاقات بدأت منذ العصر الاشوري القديم بل انها هي ممتدة لتشمل فترات تاريخية تبدأ من الالف الرابع ق م وما بعدها، حيث يظهر انه في زمن سلالة اور الثالثة مثلا وعلى الاخص في عهد الملكين الاولين اورنمو – وشولكي قامت هناك علاقات مع بعض مناطق اسيا الصغرى وقد اعتبر ملوك هذه السلالة بان قانش ما هي الا منطلقا إلى بقية بلاد الاناضول والمناطق الأخرى الواقعة على البحر الايجي باعتبار ان لديهم ممثلا اداريا شغل خطة موظف مرتبط مباشرة بالادارة المركزية لحكومة اور في هذه المدينة[٤] .

اضافة إلى ذلك فان منطقة اسيا الصغرى كانت تمثل منطقة احتكاك مباشر بين بلاد اليونان والعراق القديم خصوصا في عهد السيطرة الفارسية على العراق والشرق والحروب الدامية التي قادها الفرس ضد اليونانيين منذ القديم واستمرت في منتصف القرن الرابع ق.م عندما شرع

---

(1) Dalley , S. , and A.T. Reyes , op. cit , p.97 .

(٢) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات الوطن العربي كخلفية للمدنية اليونانية ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٨-٩.

(٣) سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم، ج١ ، موصل ، ١٩٩٢ ، ص١٩٥.

(٤) الاحمد ، سامي سعيد، "المستعمرة الاشورية في اسيا الصغرى" ، سومر ، عدد ٣١ ، ١٩٧٧ ، ص٧٣.

الملك المقدوني فيليب الثاني بتنفيذ عمليات عسكرية في اسيا الصغرى ضد التواجد الفارسي هناك بغية تحرير المستعمرات الاغريقية[١] وهذا الاحتكاك ادى باليونانيين إلى التقرب اكثر من حضارة بلاد الرافدين والشرق عموما وفتحت امامهم المجال لمزيد من الاقتباس الحضاري .

وقبل هذا التاريخ قام الحثيون (Hittites) بنقل تقاليد دراسية بابلية معينة من بلاد الرافدين إلى غرب الاناضول[٢] وان حطام سفينة يعود تاريخها إلى نهاية القرن ١٤ وبداية القرن ١٣ في (Ulu Burun) قرب (kas) جنوب تركيا وهي توشر ان الاتصالات الدوية كانت ممكنة لانها كانت تحمل مواد عراقية، مصرية وسورية فلسطينية قبرصية وايجية وعلى اية حال فانه من الممكن ان المواد التي لا تتلف قد وجدت في اليونان وايجة وجميعها اشياء صغيرة مثل الخرز والدلايات (pendant و plaques) والأختام الأسطوانية والتي يمكن ان تكون قد وصلت إلى ايجة بصورة غير مباشرة من خلال وسطاء قبرصيين أو من منطقة البحر المتوسط وهذا واضح بصورة خاصة من الاختام الاسطوانية التي وجدت في بناية ميسينية في مدينة طيبة يعود تاريخها إلى حوالي عام (١٢٢٠ق م)[٣].

وبناء على ذلك يتبين لنا الدور الذي قامت به قبرص في نقل حضارة بلاد الرافدين إلى اليونان لانها كانت تتمتع بموقع جغرافي ممتاز جعلها على اتصال دائم مع البحر الايجي وكريت ووسيلة اتصال مع سوريا وفلسطين ومصر حيث يمكن ارجاع هذه العلاقات إلى حدود عام (١٨٠٠-١٧٠٠ق.م)[٤] .

ورغم ان هنالك مشاهد محفورة على بعض الاختام الاسطوانية العراقية فان عددا منها اعيد قطعه باسلوب قبرصي محلي ويشير ذلك إلى ان قبرص كانت رابطة مهمة في شبكة مواصلات من العراق إلى الأرض الرئيسية الاغريقية[٥] . (ينظر شكل ٨) .

هذا وتجدر الاشارة كذلك إلى ان الفينقيين قاموا بدور تاريخي بارز وخطير في نقل حضارة بلاد الرافدين إلى الغرب فقد ساعدهم موقعهم الجغرافي الذي يربط شرق البحر المتوسط بغربه واشتغالهم بالتجارة على ان يكونوا حلقة وصل بين البابليين والاشوريين وبين اليونانيين واهم المخترعات الحضارية التي نقلها الفينيقيون إلى اليونانيين هي الحروف الابجدية على اعتبار ان الفكرة الاساسية لهذه الحروف قد اخذها الفينيقيون عن البابليين الذين اعتمدوا على الخط

---

(١) سارتون ، جورج ، المصدر السابق ، ص١٥٠.

(2) Dalley , S. , and A.T. Reyes , op. cit , p. 86 .

(3) Dalley , S. , and A.T. Reyes , op. cit p. 89

(٤) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٩-١٠ .

(5) Dalley, S. , and A.T. Reyes , op. cit , p . 89 .

المسماري في تدوين مآثرهم هذا مع الاشارة إلى ان تطوير المقاطع المسمارية إلى حروف ابجدية تم على يد الفينيقيين ويعتقد هيرودوتس بان هذا التأثير حقيقة هامة لا جدوى من انكارها[١]. ويشير أيضا بان الفينيقيين في العصر البرونزي حملوا الشحنات المصرية والاشورية إلى اليونان خصوصا إلى مدينة ارغوس(Argos)[٢] . (ينظر شكل ٩) .

وقد لعب الفرس أيضا نفس الدور في إيصال منتجات العراق القديم المادية والفكرية إلى الغرب وذلك من خلال طريقين الاول هو احتكاكهم المباشر بسكان العراق القديم والثاني هو توسعهم ونفوذهم في اسيا الصغرى وليديا وخاصة بعد سنة ٥٤٦ ق.م عن طريق ليديا بعد ان بسطوا نفوذهم عليها ذلك ان الليديون كانوا "جيران الاغارقة... وكانوا قد تقبلوا قبسا من المدنية الهلينية"[٣].

ونتيجة لذلك فان طرق الاتصال والتأثير المتبادل بين العالم الاغريقي وعالم بلاد الرافدين تكون مسألة طبيعية واستنادا إلى ما وصلنا من التواريخ والسجلات الاغريقية المعاصرة يبدو من الممكن توثيق هذا التفاعل اكثر وبشكل متكامل في كافة انحاء الشرق الادنى وبلاد الرافدين، فالحروب الفارسية لم تفرض أية عراقيل، كما ان التنقيبات الأثرية لم تجد أية توقف واضح (لهذا الاتصال) في السجلات المادية للمواقع ذات العلاقة سواء في قليقيا أو على امتداد شرق البحر المتوسط .

إن المصادر المكتوبة توضح ان الطرق البرية من البحر المتوسط إلى بلاد الرافدين وايران ظلت مفتوحة، وخلال هذه الفترة التي استمرت اكثر من ٢٠٠ سنة فان الدين البابلي الاصيل وكذلك الادب البابلي وبعيدا عما تعرضه لتاثير الممارسات الفارسية... وان الاغريق وسكان بلاد الرافدين استمروا في اللقاء في... بابل وسوسة حيث عملوا جنبا لجنب ضمن النظام الاداري الفارسي... وان الملك الفارسي امضى وقتا طويلا في بابل حيث عمل بانسجام مع التقاليد المحلية وهنا غالبا ما تشير المصادر الكلاسيكية إلى اجتماعات بين الاغريق وذلك الملك الفارسي حيث حصل الاغريق على فرصة لمشاهدة المباني والتقاليد والاعمال الفنية البابلية وان الطريق الملكي المزدحم يتحرك عبر سارديس (sardis) مرورا ببابل باتجاه سوسة (susa) وبازاركادة (pasargadae)[٤].

---

(١) الناصري ، سيد احمد علي ، المصدر السابق ، ص١٠٥-١٠٨.

(2) Dalley, S. , and A.T. Reyes , op. cit , p . 89 .

(٣) توينبي ، ارنولد ، تاريخ البشرية ، ج١ ، المصدر السابق ، ص١٩٣.

(4) Dalley, S. , and A.T. Reyes , op. cit , p . 107 .

٥. دور الرحالة والزيارات العلمية :

كانت الوفود والزيارات التي قام بها العديد من اليونانيين للشرق الأدنى القديم عموما وبلاد الرافدين خصوصا دورا بارزا في نقل ما كانت تنتجه حضارة العراق من منتجات لقيت طريقها إلى العالم الايجي وبلاد اليونان وعن طريق هؤلاء تم نقل وترجمة وتفسير العديد من منتجات العراق القديم الحضارية وفي مختلف مجالات المعرفة .

ففي نهاية القرن الثامن ق م ترأست مدينة طرسوس في قليقيا منطقة اشورية (تجارية) ومثل هذه العلاقة سوف تتطلب خدمة الترجمة للقيام بسجل اتفاقيات والتزامات لكل طرف وعندما قام (Gyges) جيجس من ليديا بإرسال رسول إلى اشور بانيبال في نينوى فان الملك الاشوري قام بتسجيل وبصورة مفاجئة ما يلي "لا يوجد مترجم للغة حيث ان لغته مختلفة وكلماته لا تفهم"[١] واننا الان نعرف ان الليديين (Lydians) يتكلمون لغة هندو– اوربية وهي لا تشبه لغات اللاويين (Lawian)أو اليسيين (Lycian) أو الحثيين (Hittite)[٢].

ولذلك يمكن القول بان الترجمة كانت تمثل ركنا اساسيا لاطلاع ومعرفة الشعوب والامم من بعضهم البعض وقبل ذلك كله فهي وسيلة من خلالها تفهم الشعوب وتقربهم من بعضهم البعض وتحدثنا العديد من المصادر عن الزيارات والوفود التي قام بها عديد من العلماء والفلاسفة اليونان إلى بلاد الرافدين ورغم الشكوك المحيطة بموضوع زيارة المؤرخ هيرودوتس إلى بابل الا ان زيارة علماء يونان ومؤرخين آخرين مثل زينفون (٤٢٧– ٣٢٧ ق.م) وطاليس الملطي في القرن السابع ق.م وفيثاغورس امر مؤكد[٣].

وتشير مصادر أخرى بان بعض الاطباء اليونان قد خدموا في بلاط الملك الفارسي من أمثال ديموسيدس الكروتوني (pemocedesode crotone) في القرن السادس ق.م وابو لونيد في جزيرة كوس (Appollo nide decos) في القرن الخامس وكذلك كتيسياس (ctesias) ويقال بان ابقراط (Hippocrate) رفض عروض الملك احشويرش في الخدمة في بلاطه، ومن الممكن ان يكون هؤلاء العلماء قد تعرفوا على طرق العلاج وانواع الادوية والعقاقير الفارسية التي تعود في اصولها إلى كونها بابلية ذلك ان الفرس ما هم الا حلقة وصل بين حضارة بلاد الرافدين الاصلية والحضارات الواقعة إلى الغرب من البحر المتوسط كما اننا يمكن

---

(1) Ibid.

(2) Dalley, S. , and A.T. Reyes , op. cit, p. 97 .

(٣) الرزقي ، محسن احمد ، اصالة العلوم البحتة التطبيقية في بلاد وادي الرافدين وتأثيرها على بلاد اليونان، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٧ ، ص١٥٥-١٥٦ .

ان نستنتج بان هؤلاء العلماء اليونان قد زاروا بابل واخذوا منها أصول العلوم والمعرفة بشتى انواعها[١].

هذا وتذكر بعض المصادر بان العديد من المترجمين والكتاب والمؤرخين اليونان قد دخلوا بابل واشور خلال غزو الاسكندر للشرق ونقلوا العديد من كتب الطب والفلسفة إلى اللغة اليونانية وتم احراق أصولها[٢] وبغض النظر عن صحة هذا الادعاء الا ان زيارة عديد من العلماء اليونان إلى بابل واخذهم اصول العلوم امر لا يرقى إليه الشك .

وقد ساهم الكاهن البابلي بيروسس في نقل حضارة بابل إلى اليونان عن طريق مؤلفاته الثلاثة (البابليات) التي دونها بالاغريقية[٣].

واضافة إلى العلماء الذين تم ذكرهم فان هناك من الكتاب اليونان وكذلك الرومان في الفترة اللاحقة ممن كتبوا عن تاريخ وحضارة وادي الرافدين وهذا يعني انه كانت لهم اتصالات ومعلومات مباشرة – كالزيارات الخاصة – أو غير مباشرة – كاستقاء معلوماتهم عمن سبقهم من الكتاب والمؤرخين القدامى عن حضارة العراق القديم ومن الاوائل الذين كتبوا عن العراق والذي اخذ عنه هيرودوتس معلومات كثيرة عن بابل الكاتب اليوناني هيكاتيوس المالطي "كما الف ديموكريتوس المعاصر هيرودوتس كتابا بعنوان عن كتابات كهنة بابل المقدسة"[٤] ، هذا اضافة إلى بعض الكتاب الاخرين الذين تناولوا تاريخ ومآثر بابل العظيمة مثل ثيو فراستوس في اوائل القرن الثالث ق م. والكاتب الروماني كوينتوس كورتيوس روفوس وديودورس وبلوتارخ وزينفون[٥].

هناك شبه اجماع على ان بعض الفلاسفة والمفكرين الاغريق كانت لديهم اطلاعات معرفية عميقة تعود في أصولها إلى علماء العراق القديم، فبعض المصادر تذكر بان طاليس هو من أصل فينيقي، ولد في عام ٦٤٠ ق.م في مدينة ميليتوس وقد كان لهذا الفيلسوف دور بارز في نقل حضارة بلاد الرافدين إلى العالم اليوناني لانه اخذ عنهم العلوم وتتلمذ على يد علماء بلاد الرافدين الذي اخذ عنهم أصول علم الفلك والرياضيات[٦].

---

(١) ايمار اندريه ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، ترجمة ، فريد ، م . داغر ، وفؤاد ج. أبو ريحان ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣٠.

(٢) ابن أبي اصبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٨.

(3) Tarn , Lian , G.T , The hellenistic civilization , London , 1959 , p.295 .

(٤) الاحمد ، سامي سعيد ، الاستشراق ، المصدر السابق ، ص٢١٩-٢٢٣ .

(٥) الاحمد ، سامي سعيد ، الاستشراق ، المصدر السابق ، ص٢٢٣ .

(٦) عياد ، محمود كامل ، المصدر السابق ، ص١٤٣ .

هذا وتجدر الاشارة إلى ان "سكان ميلتوس أنفسهم – يجوبون كل البلدان وينتقلون من (ليدية) والى (بابل) ومن فينيقية إلى مصر ويلاحظون عادات السكان ويتعرفون إلى حضارتهم ويطلعون على ما عندهم من عقائد ومعارف ونظريات علمية وفلسفية"[١] . فقد اطلع طاليس على الجداول والازياج الفلكية البابلية ، ويتبين من خلال ذلك بانه كان "يتمثل العلم البابلي والمصري وعمل على تقدمه"[٢].

اما فيثاغورس فتذكر بعض الروايات "انه زار جزيرة العرب وسورية وبابل"[٣] . وحذى حذو هؤلاء علماء آخرون مثل اقليدس وانكسيمندر وافلاطون وارسطو وغيرهم كثيرون[٤] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٤٢ .

(٢) كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص١٢ .

(٣) عياد ، محمود كامل ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص١٥١ .

(٤) علي ، عكاشة واخرون ، المصدر السابق ، ص١٢١-١٣٥ .

الفصل الرابع
تأثيرات بلاد الرافدين الحضارية في الحضارة اليونانية في مجال العلوم الصرفة

"ان التراث العلمي والادبي الذي انتقل من حضارتنا القديمة إلى اليونان ومنها إلى الحضارة الاوربية" كان له دور خطير "في نشوء العلوم والمعارف وتطورها في الحضارة اليونانية"[١] ويمكن تصنيف هذه العلوم التي أثرت في بلاد اليونان على النحو التالي .

١. العلوم الصرفة :

يعني مصطلح (العلم الصرف) بالمعنى المحدد جدا ذلك السعي نحو الوصف الكمي للظواهر الطبيعية التي يمكن ملاحظتها ومثل هذا التعريف الضيق ينطبق فقط على فرعين اثنين من الحياة الفكرية في بلاد الرافدين، الفلك والرياضيات وبينما هناك اتفاق عام بين الباحثين يشير بان علم بلاد الرافدين له تأثير بارز على الحضارة الهلنستية خصوصا على العلم الاغريقي بحد ذاته فان الطرائق الدقيقة التي من خلالها انتقلت المعرفة من بلاد الرافدين إلى اليونان أو إلى عالم البحر الابيض المتوسط ، وان المؤلف البابلي بيروسس (Berossos) الذي انتقل إلى جزيرة كوس (Kos) عام ٢٧٠ ق.م تقريبا احيانا يذكر كمصدر مؤثر للمعرفة الفكرية البابلية على اليونان[٢].

أ. العلوم الرياضية :

ان الرياضيات البابلية هي موضوع ممتع ومشوق للدراسة وكل شخص يجد متعة جدية في دراسة تاريخ العلم ليس فقط بسبب كونها قديمة ولكن أيضا بسبب كونها فريدة وذات اختيار ثابت

(١) باقر ، طه ، لمحات ، المصدر السابق ، ص١٠.

(2) Hunger , Herman, “The spread of Mesopotamian exact science into the Hellenistic world” , sumer , Vol. XLII ,N :1-2 ,1979 , p64 .

للموضوعات ، غير متغير والذي يختلف تماما عن تلك الموضوعات النموذجية لعلم الرياضيات اليوناني[١].

لقد ظل كثير من العلماء والمفكرين يعتقدون والى عهد غير بعيد بان العلوم الاولى تعود في اصولها إلى اليونان وانهم هم الذين ابتدعوا النظريات العلمية والافكار الفلسفية إلى الحد الذي جعل البعض يصف نتاجات الحضارة اليونانية بالمعجزة ويقول "بان البدايات الحقيقية للفكر والعلم انما كانت على يد الاغريق في بلاد اليونان ولم يسبقهم احد إلى "الفكر" بمعناه العميق أو إلى "العلم" بمعناه الدقيق"[٢].

بيد انه خلال الثلاثينات من القرن الماضي ظهرت إلى الوجود حقائق خطيرة تخص التراث المعروف في حقل المسماريات لبلاد الرافدين كان لها نتائج باهرة على سير العلوم والمعارف القديمة فالعديد من الواح الطين والتي تؤشر كتابات مسمارية تم فك رموزها وترجمتها منذ منتصف القرن التاسع عشر افضت إلى معرفة مختلف الحياة العامة التي كان يعيشها العراقيون القدماء خلال العصور القديمة الا ان الاكتشاف الجديد الذي ابهر العلماء والباحثين هو العثور على نصوص رياضية كثيرة من بين الالوف من الواح الطين المدونة بالخط المسماري وقد ذهب الاعتقاد اول مرة بخصوص هذه النصوص – من قبل المختصين بالكتابات المسمارية – بانها ، أي هذه الالواح، لا تعدو ان تكون مجرد "الواح رياضية من قبل السجلات بالواردات أو انها مجرد جداول عادية بالعمليات الحسابية البسيطة" الا انه منذ عام ١٩٢٩ افضت نتائج الباحثين المختصين إلى مزيد من الحقائق العلمية ، التي اسقطت الادعاءات القائلة بالمعجزة اليونانية وتبين بان هذه الرياضيات قد شهدت تطورا ملموسا منذ العصر البابلي القديم في حدود (٢٠٠٠ سنة ق.م) وربما قبل ذلك ، فضلا عن ذلك مرت باطوار تطورية عبرت عنها الممارسات العملية لعلماء العراق القديم وكان على راس هؤلاء الباحثين الالماني نويكيبوير (Neugebauer) والفرنسي تورو دانجان (thureau dangin)[٣] .

---

(1) Friberg.J."on the Big Place tables of reciprocales and squares from seleucid Babylon and Uruk and their old Babylonian and Sumerian predecessors" , Sumer , vol , XLII , 19 N:1-2 , p81 .

(٢) حبي ، يوسف ، "الفكر والعلم بدأ في وادي الرافدين" ، بين النهرين ، العددان ٣٧-٣٨ ، الموصل ١٩٨٢، ص ٥.

(٣) باقر ، طه ، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ١٧-١٨.

ان هذه الاكتشافات الباهرة للنصوص الرياضية العراقية القديمة[١] والتي لا يتجاوز عددها ٤٠٠ نص رياضي[٢] دفعت مؤرخي الرياضيات إلى القول بان "أسس العلوم الرياضية واصولها ومبادئها قد وضعت في حضارة بلاد الرافدين قبل نحو ٤٠٠٠ عام" وهو ما يدفع للاعتقاد الراسخ بان رياضيي اليونان ممن عرف عنهم من ابداعات في هذا المجال ، مثل اقليدس وفيثاغورس ، لم يكونوا السباقين والمستنبطين الاوائل لعلم الرياضيات بل انهم متاخرون عن ذلك باكثر من ١٧٠٠سنة[٣].

ورغم قلة ما وصل الينا من نصوص رياضية قبل الالف الثاني ق.م الا ان ذلك لا يعني ان هذه الرياضيات قد كانت وليدة عصرها فجاة وانه لابد ان وجدت لهذه الرياضيات جذور موغلة في القدم، وهذا ما حدى بالاستاذ فرايبرك في معهد الرياضيات في السويد إلى الكتابة حول "الجذور الاولى للرياضيات البابلية" وقد توصل إلى ذلك عام ١٩٧٩ عندما اعتبر "ان معارف العراقيين في مجال علوم الرياضيات يمكن ان يمتد تاريخها إلى بداية نضج الحضارة العراقية في حدود ٣٠٠٠ ق.م أي منذ عصور فجر السلالات الاولى مرورا بالعصور التاريخية كالعصر الاكدي وعصر سلالة اور الثالثة والعصر البابلي القديم الذي ازدهرت فيه الرياضيات البابلية ازدهارا فائقا حتى فترة الاحتلال السلوقي في اواخر القرن الرابع ق م فالنصوص التي جاءتنا من العصرين الاشوري والبابلي الحديثين لها اهمية واثار كبيرة على تطور الرياضيات في عهد السلوقيين"[٤].

وتصنف النصوص الرياضية إلى صنفين اساسيين ، الاول وهي النصوص الخاصة بالقضايا أو المسائل الجبرية والهندسية (problem texts) والثانية هي الجداول الرياضية المختلفة (table texts)· فالبنسبة للصنف الاول فهو عبارة عن مسائل رياضية يسال بها المخاطب او الطالب وتقدم له فروض القضية او المسالة (Data) والخطوات التي يتبعها للوصول الى الحل المناسب للمسالة المراد حلها . اما النصف الثاني فيتمثل في جداول رياضية مثل جداول الضرب وجداول معكوس الاعداد وجداول بالجذور التربيعية التكعيبية وبكليهما معا[٥].

---

(١) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص١٨.

(٢) الراوي ، فاروق ناصر ، العلوم والمعارف ، حضارة العراق ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٢٩٥.

(٣) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٢١ .

(٤) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٢٩٦-٢٩٧ .

(٥) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٢١-٢٢ .

ب. اهم المعارف الرياضية العراقية القديمة :

*** نظام العدد :**

استخدم العراقيون القدماء النظام الستيني في العد وهو النظام الذي يعتمد على الرقم (٦٠) اساسا للعد وهو النظام نفسه الذي يستخدم في العصور الحديثة في حساب الزمن وتقسيمات الدائرة وبديهي ان استخدام هذا النظام جاء نتيجة مرونة الرقم (٦٠) وامكانية قسمته الى عوامل كثيرة دون استخدام الكسور ، كما ان الرقم ستين يسمح بكتابة الكسور بارقام صحيحة مثل (٣٠ و ٢٠ و ١٥ ... الخ) والنظام الستيني هو النتيجة المنطقية لطريقة العد السومرية حيث استخدم السومريون حساباتهم في العد من الواحد الى العشرة وكانت طبيعة العد البدائية التي اعتمدوا عليها هي الاصابع باعتبارها تساعدهم على التدرج في العد والى جانب النظام الستيني ، استخدم السومريون ومن جاء بعدهم النظام العشري[(١)].

على اية حال ما يهمنا في هذا العدد هو ان الرياضيات البابلية كان لها صدى عميقاً ومؤثرا في الرياضيات الاغريقية فقد اقتبسوا النظام الستيني عن العراقيين القدماء منذ القرن السادس ق م. وفي الفترة السلوقية في القرن الثالث ق.م . ولقد ساعد النظام الستيني الرياضيين "على تنظيم جداول رياضية مطولة مثل جداول الضرب وجداول معكوس الاعداد (inverse) لاجراء عملية القسمة وجداول بالاعداد المرفوعة وقد ثبت من خلال بعض البحوث المختصة – بان احدى هذه الجداول تحتوي اعداد فيثاغورية، مما هو منسوب إلى فيثاغورس حول المسائل الجبرية مثل ($a2+b2=c2$) وجداول لوغاريتمية أخرى تبين بوضوح بان الرياضيات البابلية قد عرفت الجداول اللوغارتيمية ودخلوا بعض المعادلات الجبرية التي تدور على حساب الربح المركب (compound interest) التي لا يمكن حلها الا على مبدأ اللوغاريتمات"[(٢)].

ويعتقد ان يكون السومريين قد اعتمدوا النظام العشري في كتابة اعدادهم قبل استخدامهم للنظام الستيني[(٣)] "فالرقم (١) عندهم دون بشكل نصف بيضوي صغير في ◗ ، دون هذا الشكل وبحجم اكبر للدلالة على الرقم (٦٠) ... وذلك لتمييزها عن الدائرة الصغيرة O التي تدل على الرقم (١٠) ... وحينما يبغي الكاتب مضاعفة العدد يكرر نفس العلامة O O ليصبح مجموعها (٢٠)"[(٤)] ،

---

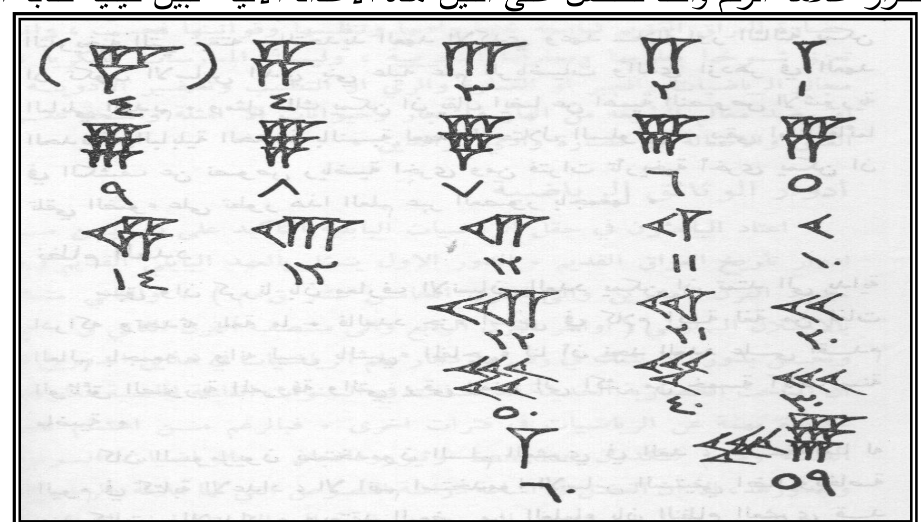
(١) كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ترجمة وتعليق : سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٩، ص ٣٦٧ – ٣٦٨ .

(٢) باقر ، طه ، لمحات ، المصدر السابق ، ص١٢.

(٣) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٢٩٧ .

(٤) اسماعيل ، خالد سالم ، "حساب المرتبة العددية في رياضيات العراق القديم" ، مجلة اداب الرافدين ، عدد ٣٢، ١٩٩٨ ، ص١٧٥.

وبمرور الزمن وتطور الحياة العلمية في بلاد الرافدين استخدم رياضيو العراق القديم علامتين اثنتين في كتابة الارقام ، الأولى ترمز لرقم واحد مثل العلامة التالية وأخرى ترمز لرقم عشرة مثل العلامة وعند تكرار علامة الرقم واحد نحصل على اثنين هذه الاعداد الاتية تبين كيفية كتابة الارقام[1].



ورغم فوائد واهمية النظام الستيني الا انه كانت توجد بعض النواقص في نظام العدد وخاصة في فترة عنفوان رياضيات بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم (٢٠٠٠-١٦٠٠ق.م) فقد كان يفتقر إلى علامات أو رموز تبين أهمية المرتبة العددية كالصفر مما ادى لوقوع التباس في قراءة الاعداد الا ان هذا النقص تم تجاوزه وتلافيه في القرن الثالث ق.م الميلاد (٣١٢-١٢٦ق.م) عندما تمكن رياضيو العراق القديم إلى اكتشاف علامة للدلالة على المرتبة العددية الخالية ولاسيما في وسط الاعداد على هيئة أو [2].

كان العراقيون القدماء يميزون بين الرقم واحد والرقم ٦٠ الذي يكتب بحجم اكبر الا ان ذلك لم يستمر طويلا ولتباين اهمية المرتبة العددية في الرياضيات فان الملك الاشوري اسرحدون قد استغلها ووظفها لاهداف سياسية وخلال حكمه (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) عندما أراد اعادة بناء مدينة بابل التي دمرها والده سنحاريب اذ ادعى بان الاله مردوك قد امر بقلب الرقيم والبدء بتنفيذ مشروع البناء لان الرقيم كان يحمل الرقم سبعين الذي تنبأ به كهنة المعبد للدلالة على المدة التي ستبقى فيها بابل مدمرة وعند قلب اللوح تغير العدد ليصبح ١١ سنة بدلا من سبعين وعليه تم اعادة بناء المدينة بعد ١١ سنة فقط بدلا من ٧٠ سنة ، ١١ = ٧٠ = [3].

---

(١) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص ٢٩٧-٢٩٨ .

(٢) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٣١.

(٣) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٣٠٠ .

اخذ اليونان النظام الستيني وطبقوه في المسائل الفلكية ذلك ان الفلكيين الاغريق في القرن الثاني قبل الميلاد فصاعدا استخدموا طريقة كتابة الكسور باستخدام النظام الستيني وذلك يؤكد معرفتهم للرياضيات البابلية والفلك البابلي ان الرقم الاغريقي هو عبارة عن نظام من الكلمات ورغم ذلك كان نظاما عشريا ، وعندما تعلم الفلكيون الاغريق الارقام البابلية والطرق البابلية فانهم كذلك اتخذوا اشارة الفصل لتأشير الصفر وان الاجراءات الفلكية الاغريقية قد تم نقلها لاحقا إلى الهند ومعها تم نقل فكرة قيمة المرتبة لكتابة الارقام وفي الهند فان قاعدة الستين قد تم ابدالها بنظام عشري، وانه هذا النظام العشري هو الذي جاء إلى اوربا لاحقا من خلال توسط الثقافة العربية[١] واستخدم الفلكي والرياضي اليوناني هبار خوس في القرن الثاني ق م وكذلك بطليموس في القرن الثاني للميلاد "النظام الستيني في حساب الزوايا ودرجات الدائرة والاوتار والمثلثات"[٢].

ان النظام الستيني البابلي دخل إلى التراث الرياضي اليوناني وكما يذكر البحث جورج سارتون في كتابه تاريخ العلم ما معناه ان اليونانيين قد دمجوا بين النظامين الستيني والعشري واستخدموه في بيان الأجزاء المتساوية وبيان المضاعفات وهو ما ادى إلى نوع من الخلط والارتباك في النظامين "ما زلنا نحن ضحيته إلى اليوم" حيث يقول الكاتب "ان ادراك اليونانيين للرياضيات البابلية كان ضعيفا جدا ولا شك ان هذا راجع إلى نقص في تراثهم الرياضي ، لا إلى قلة ذكائهم ، أو هو راجع إلى ان الذكاء شي نسبي دائما وهذا ما ينبغي ان لا ننساه على ان اليونانيين استعملوا ذكاءهم في اشياء أخرى ولم يدركوا الاشياء البسيطة الواضحة وضوح النهار عند اسلافهم السابقين عليهم بكثير وهم السومريون والبابليون"[٣].

---

(1) Hunger , H. , op. cit , p. 64 .

(٢) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٣٠.

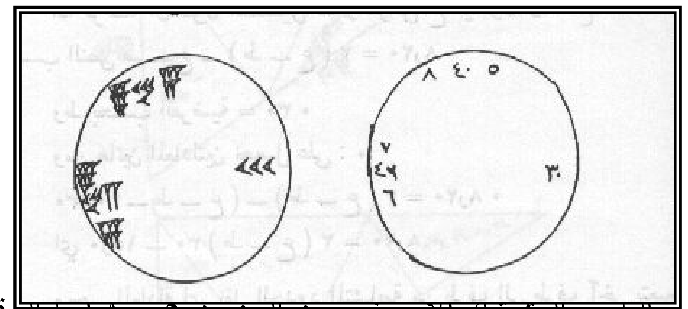
(٣) سارتون جورج ، تاريخ العلم ج٣ ، ترجمة : عبد الحليم منتصر ، المصدر السابق ، ص٢٥٦ .

*** المعادلات :**

توضح الاعداد الكبيرة من النصوص الرياضية التي وصلت الينا من النصف الاول من الالف الثاني ق.م ان البابليين المشتغلين بالرياضيات في ذلك العصر كانوا قادرين على على حل الكثير من المسائل الرياضية كما ان باستطاعتهم التعامل مع ما نطلق عليه هذه الايام بالمعادلات الرباعية وسابقا كانوا يعرفون ما نسميه الان بنظرية فيثاغورس ونفس هذا المستوى للمعرفة الرياضية وجدت في الواح الفترة السلوقية ، وفي هذا الوقت فان هيكل الرياضيات البابلية غالبا ما تضع الحل لمسالة رياضية بواسطة الامثلة وليس بواسطة تفسير نظري او رموز مثلما في الجبر الحالي وهناك مؤلفوا رياضيات اغريق عملوا باسلوب مماثل جدا وتعاملوا مع الكثير من نفس القضايا والتي كانت موجودة اصلا في النصوص البابلية وهؤلاء المؤلفين هم : هيرون (Heron) من الاسكندرية (المائة الاولى الميلادية) وديوفانتوس (Diophantus) (التاريخ غير معرف) حيث ظل هؤلاء يمثلون تقليدا للرياضيات البابلية حتى بدايات الرياضيات العربية وبسبب بساطة المسائل الرياضية وارتباطها ببابل فانها لا يمكن البرهنة عليها ولكنها يمكن ان تكون موجودة بصورة جيدة وان الاضافة الاغريقية للرياضيات تتمثل في فكرة البرهان(١) .

وعرف العراقيون القدماء المعادلات البسيطة والمركبة "ومعادلات اخرى من الدرجة الثانية والثالثة وغيرها من المعادلات المشابهة او المطابقة احيانا لما نعرفه الان من مسائل الجبر الحديث"(٢) .

وتعد مسالة كيفية تعليم القاسم المشترك الاصغر من المسائل الرياضية البسيطة التي كان الطالب يتلقاها من معلمه الذي رتب الارقام على قرص من الطين مثل



فالرقم (٤٠) هو القاسم المشترك الاصغر بين الرقمين ٥ و ٨ اما الرقم ٤٢ فيمثل القاسم المشترك الاصغر بين الرقمين ٧ و ٦ والغاية من هذا اللوح هو توضيحه للطلبة ومسائلتهم عنه على

---

(1) Hunger . H. , op. cit , p. 64 .

(٢) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٣١٠.

اساس فكري رياضي ويوجد الى جانب ذلك المعادلات من الدرجة الثانية التي تتضمن ادخال مجهول مساعد[١] .

*** الجبر :**

يتضح لنا بان العراقيين القدماء اهتموا بالعدد الذي هو الجبر ووقفوا في ذلك على عديد الأسس والمبادئ التي تخص الجبر في حين ان رياضيي الاغريق لم يولوا اهتماما كبيرا بهذا الجانب بل انهم وجهوا جهودهم في ذلك إلى الهندسة ووظفوها لحل بعض القضايا والمسائل الجبرية ومثلما فعل ذلك اقليدس خلال القرن الثالث وفيثاغورس كما تمت الاشارة إلى ذلك من قبل[٢].

فعلم الجبر البابلي عرف طريقه إلى العلماء اليونان وتاثر كل من هيبارخوس وديوفانتوس الاسكندري كما تأثر غيرهم بالافكار البابلية في مجال الجبر[٣] كما تأثروا بالافكار الرياضية البابلية، ويذكر المؤرخ سارتون جورج ان الرياضيات والفلك البابليين التي تأثر بها المؤلفون اليونان من أمثال هيبسكليز وجيمينوس الذين عاشا في القرن الثاني والاول قبل الميلاد لا يرقى اليها الشك في كونها رياضيات بابلية كلدية[٤] .

*** الهندسة :**

ان الاتجاه الهندسي في الرياضيات الاغريقية جعلت العلماء الاغريق يولونها عناية اكبر في خصوص مربعات اضلاع المثلث القائم الزاوية على حساب الجبر فالعراقيون القدماء نظروا اليها "على انها علاقة عددية في حين عدها الرياضيون اليونان علاقة هندسية"[٥] وقد ارجع بعض مؤرخي الرياضيات ذلك إلى الغباء الذي كان يكتنف الرياضيين اليونان أو ان هذا لا يعني بان اليونانيين قد اهملوا الجبر أو العدد وانما على العكس من ذلك فقد نظروا إليه نظرة مجردة ما فوق طبيعية بل انهم قالوا بان الاشياء والوجود انما اصولهما تكمن في العدد "ويقول مؤرخو الرياضيات انه لو سار الرياضيون اليونانيون من حيث انتهى إليه رياضيو العراق القديم لو فـّروا ما لا يقل عن الف عام في تطور العلوم الرياضية وتقدمها"[٦] .

---

(١) الراوي ، فاروق ناصر المصدر السابق ، ص ٣١١ .

(٢) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٢٣-٢٤.

(٣) فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٢٦.

(٤) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٢٤-٢٥.

(٥) باقر، طه، لمحات ، المصدر السابق ، ص١٤.

(٦) المصدر نفسه .

يمكن القول من خلال ما تقدم حول الرياضيات في العراق القديم بأنها صنف من العلوم البحتة نشأ ونما وتطور في بلاد الرافدين ، فهو اصيل متجذر وبعد ان حققت العلوم الرياضية تطورا ملموسا عبر العصور التاريخية نجدها تمتد خارج الاطار الجغرافي لبلاد الرافدين لتشمل الحضارات الأخرى ولاسيما منها الحضارة اليونانية التي اقتبست النظم الحسابية وبعض القواعد الرياضية ، واستعملوا النظام والكسور الستينية في العدد وطبقوا الرياضيات في علم الفلك فاصبحنا امام نوع جديد من المزج بين الرياضيات والفلك يمكن تسميته بالفلك الرياضي .

هذا ولا ننسى أيضا اقتباسات الاغريق في ميدان الهندسة والجبر وقلنا ان ما يميز الهندسة الاغريقية عن الهندسة البابلية هو فكرة البرهان الرياضي ذلك ان رياضيي العراق القديم لم يولوا علم الجبر اهتماما كبيرا كالذي اولاه اليونانيون له عندما اعتنوا بالمسائل الهندسية اكثر من المسائل الجبرية واستخدموها لحل بعض القضايا الجبرية كما تمت الاشارة إلى ذلك من قبل وعليه نجد العديد من المفكرين والعلماء الاغريق ممن نسجوا على منوال علماء الرياضيات في العراق القديم عندما اخذوا عنهم أسس ومبادئ الجبر .

وتجدر الاشارة إلى ان الرياضيات والعلوم الأخرى قد شهدت خلال العصر الهلنستي الذي اعقب غزو الاسكندر للشرق تطورا كبيرا حيث اعده بعض مؤرخو العلوم انه العصر الذهبي لعلوم الاغريق وقد تحدثنا انفا عن تأثر علماء يونان مثل اقليدس وارخميدس (٢٨٧-٢١٢ق.م) وابولونيوس (٢٦٠-١٧٠ق م) بالرياضيات العراقية القديمة. كما في هذا العصر تطورت الرياضيات وانتقلت من الاهتمام بالهندسة إلى الاهتمام بالجبر هو لا شك يمثل عودة إلى الاتجاه الجبري في بلاد الرافدين .

٢. **في مجـــال علم الفـــلك** :

يمكن تعريف علم الفلك (astronomy) على انه "مجموعة منظمة من التفسيرات العقلية لحركات الاجرام السماوية" ، وقد ابدع فيه البابليون بواسطة موادهم التجريبية وتفسيراتهم العقلية[١] ويطلق عليه العرب أيضا (علم النجوم) أو (علم الهيئة)[٢].

ان تحديد الوقت وقياس الزمن يعد من الانجازات الحضارية المهمة التي توصل اليها الإنسان عبر محاولات عديدة ، خلال العصور التاريخية القديمة حيث حاول الإنسان العراقي القديم ان يجد تفسيرات علمية للظواهر الكونية للاستفادة منها في حياته فاعتمد اساليب وطرق متعددة لقياس الزمن ووضع حدودا فاصلة بين مراحل الزمن هذه، ولعل النشاطات الزراعية التي كان يقوم بها الإنسان يوميا خلال العصر الحجري الحديث هي التي حفزته على الملاحظة للظواهر واطراد تكرارها مثل

---

(١) سارتون ، جورج ، تاريخ العلم ، ترجمة : عبد الحليم منتصر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠.

(٢) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٣١٤ .

البذر والحصاد ومراقبة مواعيد الفيضانات لدرء اخطارها أو مراقبة القمر والظواهر الفلكية ودوراتها الشهرية المستمرة وغير ذلك من الظواهر[١].

ان العلوم والمعارف الفلكية العراقية القديمة انما تعود في اصولها إلى القدرات السومرية المبكرة عندما تطلعنا قصة الخليقة البابلية عن جوانب مهمة من الظواهر الفلكية التي عرفها العراقيون القدماء مثل كيفية تكون الابراج وخلقها ومنازل النجوم وتقسيمات السنة والشهر والاسبوع وتحديد ايام الاسبوع وتعاقب الليل والنهار واطلالة القمر[٢] ومن هنا يمكن القول بان العراقيين القدماء كانت لهم محاولات ارصاد فلكية مبكرة قادتهم إلى هذه المعرفة والغاية منها هو تحديد الوقت وقياس الزمن واستخدامه في الحياة العملية. ويبدو ان اولى هذه المحاولات يرقى تاريخها إلى حدود الالف الثالث ق.م[٣] . الا ان هذه الارصادات لم تدخل حيز التدوين الفعلي الا في الالف الثاني قبل الميلاد[٤] وقد جاءتنا من عهد (امي صدوقا) (١٦٤٦-١٦٢٦ق.م) احد الملوك البابليين القدماء (العهد البابلي القديم) نصوصاً من الطين مدون عليها ملاحظات تتعلق بارصادات فلكية بخصوص شروق وغروب كوكب الزهرة ومن المحتمل ان تكون ذات علاقة بالتنجيم[٥].

وبدخول علم الفلك المرحلة التدوينية اصبحنا امام مرحلة جديدة من تقدم وتطور العلوم والمعرفة الفلكيين، هذا مع الاشارة إلى ان الرياضيات البابلية قد عرفت طريقها في التطبيق في الفلك واصبح من الممكن الحديث عن فلك رياضي قديم على غرار الفلك الرياضي الحديث[٦].

ولكي لا نبتعد كثيرا عن موضوعنا الأساس وهو تأثير الفلك البابلي في الفلك الاغريقي سنستعرض بايجاز أهم اصناف النصوص الفلكية العراقية القديمة ليتسنى لنا معرفة مكامن التأثيرات التي وقعت على اليونان واولها نصوص التنجيم لاغراض الفال (Astrological omens) وتعود إلى العصر الاكدي والكشي ومن اهمها نصوص (enuma anu enlil) (عندما انو انليل) .

---

(١) عبو ، عادل نجم ، "علوم العراق القديم واثرها على الحضارة الاغريقية" ، آداب الرافدين، الموصل ، ١٩٩٤ ، ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٢) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٣١٤ -٣١٥.

(٣) باقر ، طه ، لمحات ، المصدر السابق ، ص١٦.

(٤) عبو ، عادل نجم ، علوم ، المصدر السابق ، ص٣٥٦.

(٥) اوتس ، جون ، بابل تاريخ مصور ، ترجمة : سمير عبد الرحيم الجلبي ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٣٨٤.

(٦) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٦ .

- نصوص التنجيم للتنبوءات وتعتمد على الارصادات الفلكية أو الجداول الرياضية المتعلقة بالفلك ومن خلالها اعتقدوا انه يمكن التنبؤ بالشي قبل وقوعه[1].
- ارصاد كوكب الزهرة وبعض الكواكب الأخرى تعود إلى العصر البابلي القديم (حدود ٢٠٠٤-١٥٩٥ ق.م) وتبين هذه النصوص محاولات البابليين اعتماد طرق الرصد لكوكب الزهرة ومعرفة بداية ظهوره كل دورة اضافة إلى رصدهم لغروب وشروق الشمس[2].
- النصوص الاسطرلابية وهي عبارة عن مجموعة من الخرائط الفلكية وكل خارطة بها ثلاثة دوائر متداخلة مقسمة إلى ٣٦ قسما كل قسم منها يحتوي على ارقام كل خط يرتبط بالاخر من الناحية الحسابية[3]. واضافة إلى الاسطرلابات هناك انواع أخرى من الآلات تم العثور عليها لقياس الزمن مثل الساعة الشمسية للنهار والساعة المائية لليل[4] والنصوص الخاصة بدروب الكواكب ويتم فيها فيها وضع ثلاثة طرق لكل كوكب ووصف لتلك الكواكب[5].
- النصوص المتعلقة بدرجة الخسوف والكسوف وعمر هذه النصوص يعود إلى منتصف القرن الثامن ق م وهي عبارة عن تقاويم فلكية يمكن بواسطتها معرفة وتحديد العلاقة السببية بين الخسوف أو الكسوف وبين مصائر الناس والاشياء.
- النصوص الخاصة بكبس السنوات، وهذه اقدم النصوص حيث يعود تاريخها إلى فترة سلالة اور الثالثة وفترة حكم الملك حمورابي . "وقد دلتنا الوثائق المسمارية إلى ان الفلكيين الكلديين لهم أثر مهم وكبير في رصد ظاهرة الخسوف المتكررة كل ١٨ عاما والتي رصدوها ... للفترة ما بين عامي (٧٤٧-٣٧٨ ق.م)"[6].

لقد شاع الاعتقاد بأن علم الفلك في العراق القديم انما يعود بأصوله إلى التنجيم واعتقد بان التنجيم هو النواة الاولى التي انبثقت عنها العلوم الفلكية العراقية القديمة والمعروف ان التنجيم يهتم "برصد الكواكب والاجرام السماوية لمعرفة المستقبل ومصائر الناس بتأثير تلك النجوم في احداث الأرض"[7] .

---

(١) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٣١٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص٣١٦-٣١٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص٣١٨.

(٤) كونتينو جورج ، المصدر السابق ، ص٣٨٠.

ينظر كذلك : ساكز هاري ، المصدر السابق ، ص٥٢٥.

(٥) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٣١٩-٣٢٠.

(٦) غزالة ، هديب ، الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) ، ط١ ، دمشق ، ٢٠٠١ ، ص٢١٩ .

(٧) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٨٨ .

ان هذا التصور مثل وهما كبيرا بالنسبة لاصحابه إذ ان الحقائق الفلكية قد اثبتت عكس ذلك وتبين بان التنجيم هو الذي انبثق عن علم الفلك الذي شهد تطورا ملحوظا منذ القرن السادس ق.م. عندما تم استبدال الرصد المباشر للاجرام السماوية بالحسابات الفلكية فنشأ الفلك الرياضي "الذي عرف عصره الذهبي خلال القرن الثالث ق.م"[١] حيث كانت الرياضيات البابلية اول رياضيات ناضجة استخدمت الحسابات الرياضية في علم الفلك مثل حساب الفصول والتقويم وتحديد أطوال الليل والنهار بحسب الفصول المختلفة[٢].

لقد انتقلت هذه المعارف الفلكية إلى فلكيي اليونان الذين اقتبسوا العديد من المبادئ والاسس الرياضية في الحسابات الفلكية "وانتقلت تلك الاساليب الفلكية البارعة إلى مشاهير مفكري اليونان وابرز مثال على ذلك طاليس (القرن ٦ ق.م) حيث استطاع بواسطة الازياج الفلكية البابلية Ephemerides ان يتنبأ عن كسوف الشمس"[٣] وكذلك الشيء نفسه بالنسبة للفلكي اليوناني بطليموس القرن الثالث ق.م الذي كان على دراية وعلم بالسجلات الفلكية البابلية كما انه استخدم النظام الستيني في حساباته الفلكية[٤] وان (Hipparchus) في المائة الثالثة قبل الميلاد استطاع مسبقا استخدام هذه الطرائق الهندسية بعد تحسينها على المادة البابلية المتوفرة له ، وان استعماله للمادة البابلية واضح ليس فقط من نظام الترقيم الستيني ولكن ايضا من قيم المعالم الاساسية التي هي نفسها بالضبط مثلما تم استعمالها في النصوص البابلية... وفي نظام بطليموس (Ptolemy) فان الارقام الستينية تبقي الاشارة الوحيدة للتراث البابلي[٥].

هكذا اتضح لنا بأن النظام الستيني الذي استخدمه البابليون في نظام العدد وطبقوه في الحسابات الفلكية قد اقتبسه اليونان واستخدموه ايضا في معارفهم الفلكية وتحديدهم للوقت وضبط حسابه وقد مثلت مسألة تقسيم الوقت وتحديد تواريخ محددة للاحداث التي تخضع إلى تسلسل زمني ضرورة ملحة بالنسبة للعراقيين القدماء وكان لزاما عليهم كنتيجة لذلك ان يحددوا بداية ونهاية الفصول والمواسم الزراعية فبدأوا يضعون مبادئ وأسسا أولية لرصد حركة الاجرام السماوية وكتابتها منذ وقت مبكر يبدأ من الفترة السومرية وحتى العهود الاخيرة من حضارة بلاد الرافدين[٦].

---

(١) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٨٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٨ .

(٣) باقر، طه، لمحات ، المصدر السابق ، ص١٧.

(٤) المصدر نفسه .

(5) Hunger, H. , op. cit, p. 65.

(٦) عبد الله ، محسن احمد ، "علم الفلك في العراق القديم واثره على الحضارة الاغريقية " ، افاق عربية ، العدد ٥، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص٦٥.

اعتمد العراقيون القدماء ومنذ العصر السومري التقويم القمري الذي تحتوي السنة فيه على اثني عشرة شهراً وقسموا السنة إلى ٣٥٤ يوم حيث كانوا يضيفون شهرا كبيسا من حين إلى اخر، وكانوا يقدسون القمر وعدوه الها وأسموه "اينزو"(١) .

ان تحديد بداية ونهاية الشهر القمري لدى العراقيين القدماء يبدأ بظهور الهلال حتى يصبح بدرا واختفائه بعد مرور شهر ثم ظهوره من جديد وكانت تقام الاحتفالات والمهرجانات في كل اطلالة قمر جديد في حين يطغى الحزن والاستياء العام عند اختفاء هذا القمر "والسنة القمرية لا يمكن ان تتفق والدورة الشمسية فهناك فارق يبلغ حوالي احد عشر يوما ومن ثم كان الربط بين السنة القمرية والفصل ودورة الشمس عسيرا"(٢) رغم ان هنالك محاولة جرت خلال العصر البابلي القديم للتوفيق بين السنة الشمسية والسنة القمرية(٣) .

فاعتمدوا "مبدأ الكبس (intercalation) واستطاعوا في حدود القرنين السادس والخامس ق.م ان يستنبطوا دستورا رياضيا مضبوطا يتمثل في وجود سبعة اشهر قمرية كبيسة في دورة زمنية مقدارها ١٩ عاما"(٤) وقد تلقف اليونان ومن بعدهم الرومان هذا الاسلوب التوفيقي بالنسبة للتقويم القمري وظل مستخدما إلى عام ٤٥ ق.م عندما تم استحداث تقويم جديد عرف بالتقويم الجولياني . (Julian calendar) .

وتجدر الاشارة الى ان العراقيين القدماء قد عرفوا الاسبوع وكانوا بموجب ذلك يحتفلون باول يوم من الشهر القمري واليوم السابع منه وفي وسطه واليوم الاخير منه ثم يعودون الى اليوم الاول من الاسبوع مع بداية كل شهر جديد(٥) ، هذا وفي نفس الوقت اوجدوا أجزاء لليوم وقسموه إلى ساعات "وقد "وقد قسموا اليوم الكامل إلى اثنى عشر قسما أي إلى اثنى عشر ساعة (مضاعفة) اطلق البابليون على كل منها اسم "بيرو" (Beru)"(٦) وقد اقتبس اليونان هذه التقسيمات واعتمدوها في حياتهم العملية والتي لا زالت مستخدمة إلى الوقت الحاضر وهي تشير بصورة لا يمكن ان تخطأ إلى معرفة جديدة وان كانت بدائية في الفلك البابلي وهي معرفة ظهرت في بيان هيرودوتس القائل بانها من البابليين

---

(١) الاحمد سامي سعيد ، المدخل إلى تاريخ العالم القديم ، ج١ ، العراق حتى العصر الاكدي ، بغداد، ١٩٧٩ ، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) ابراهيم ، نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج٦ ، ط١ ، حضارة العراق القديمة ، الاسكندرية ، ١٩٦١، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٣) سليمان ، عامر ، المصدر السابق ، ص٥٦.

(٤) باقر ، طه ، لمحات ، المصدر السابق ، ص١٨.

(٥) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

(٦) باقر ، طه ، لمحات ، المصدر السابق ، ص١٩-٢٠.

الذين منهم قام الاغريق باشتقاق معرفتهم للاكلومون (polos , gnomon)(*) وتقسيم اليوم إلى ١٢ جزء(١).

يقول جورج سارتون في الجزء الاول من كتابه (تاريخ العلم) "لابد ان نفترض ان شيئا من المعرفة باللوحات البابلية أو بوجودها نفذ أيضا إلى جهة الغرب ، أما التقويم فان التجار المصريين أو البابليين اخذوه معهم اينما ذهبوا، وكان التقويم اليوناني القديم تقويما قمريا لكن مع شيء من المراعاة للتغير في فصول السنة، وكانت الطريقة الوحيدة لمعرفة التوافق بين الدورات القمرية والدورات الشمسية هي الاعتماد على مضاعفات مشتركة بينهما، وفي هذا حذا اليونانيين حذو البابليين أو هم استطاعوا ان يحصلوا على ما كان للبابليين من تجربة"(٢) .

وهكذا يمكن ارجاع هذه الاقتباسات إلى فترات سابقة ففي الاوديسة فان تقسيم الليل إلى ثلاثة أجزاء ربما مسألة متأثرة بتقسيم بلاد الرافدين لليل إلى ثلاثة اقسام ، وكذلك تذكر الاوديسة (tropai) أي نقاط الانقلاب للشمس والتي ينظر اليها من جزيرة تسمى (syrie)(٣).

ومن المحتمل ان هذا يشير إلى نوع من حالات الرصد التي جاء وصفها في سلسلة النصوص المسمارية المسماة (مول-آبن)(*) (Mul apin) .

كان للبابليين فضل السبق في اختراع الات وادوات لقياس الزمن ، فابتدعوا لقياس الليل ساعات مائية، اخذها اليونان وسموها كليبسيدرا (Clypsydra) ، اما لقياس ساعات النهار فقد استعملوا المزولة الشمسية التي اقتبسها اليونان في القرن الخامس ق.م واطلقوا عليها اسم بولوسكنومون (polos-gnomon) كما يذكر ذلك المؤرخ هيرودوتس(٤) حيث "كانت المزولة شيئا بسيطا ومذهلا معا في عالم الرصد ، فهي مكونة من قصبة عمودية تنصب على سطح أفقي، فتعكس القصبة ظلا يتغير بتغير مسار الشمس ، إذ كان قصيرا جدا حين تمر الشمس في منتصف النهار اما

(*) الاكلومون : هي مزولة شمسية استخدمها اليونانيون لقياس ساعات النهار بعدما اخذوها عن البابليين منذ القرن الخامس ق.م .

(1) Kahn , Charles H., “on early Greek Astronomy” Journal of Hellenistic studies, Vol. XC, 1970, p 105 .

(٢) سارتون ، جورج ، تاريخ العلم ، ج١ ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريدة ، المصدر السابق ، ص٢٥٨.

(3) Pingree, David, op. cit. p.136.

(*) وهي سلسلة متكونة من ثلاثة الواح تم العثور عليها في مكتبة اشور بانيبال وتخص تفسير النذر وتعرف باسم "نجمة الدب الاكبر" وفق المادة الاولى من الالواح والسلسلة تلخص المعرفة التنجيمية في ذلك العهد .

ينظر: جون اوتس ، بابل تاريخ مصور ، المصدر السابق ، ص٣٨٤-٣٨٥.

(٤) باقر ، طه ، لمحات ، المصدر السابق ، ص٢٠.

الساعة المائية فمكونة من اسطوانة أو بالاحرى من منشور ، مدرجة يجري منها الماء إلى خزان وكمية الماء الجاري هو الذي يعطي مقياس الزمن"(١) .

اما فيما يخص آلة المغناطيس فهو الذي تميز به الكلديون دون سواهم وهو على شكل نصف كرة مقعرة من الوسط اضافة إلى كرة أخرى معلقة في وسطها وتعكس ظلا من الداخل حيث كان الميلان الذي يحدثه الظل يساعد على ملاحظة حركة الشمس وهي في تتابع. ان هذا الابتكار البابلي قد شهد اضافات جديدة من قبل فلكيو اليونان الذين طوروه وحركته فأصبحت اسوار حلقة (Armilla) بعد ان اخذوه عن البابليين(٢).

ولابد لنا في هذا السياق ان نذكر مدى التأثيرات التي احدثها علم الفلك الرافديني على الفلك الاغريقي في مجال الارصادات الفلكية وجداولها وبعض الالات الأخرى المستخدمة في عمليات الرصد والتي لم نأت على ذكرها مثل الة الاسطرلاب(*) التي اثبتت بعض النصوص الفلكية العراقية القديمة على انها كانت موجودة لدى علماء الفلك في العراق القديم واستخدموها في عمليات الرصد رغم ان هذه الكلمة هي من أصل يوناني (Astrolab) وبذلك فان البابليين قد عرفوا الاسطرلاب الذي بواسطته حاولوا معرفة اسرار النجوم وحركتها ووظيفتها وقد ثبت لديهم عن طريق المعلومات الفلكية التي وصلت الينا من خلال ارصاداتهم بأن النجوم تبدو في الظهور بشكل منظم ومرتب خلال فصول السنة المختلفة على ان الاسطرلاب الذي استعمله البابليون هو عبارة عن جداول فلكية بعدد من الكواكب التي تظهر في الاشهر الاثنى عشر حيث خصصوا لكل شهر ثلاثة نجوم تبدأ فيه بالظهور وكان عدد النجوم التي تظهر خلال اشهر السنة ٣٦ نجما(٣).

اما بالنسبة لجداول الارصادات الفلكية التي سجلها فلكيو العراق القديم فهي عبارة عن مجموعة حسابات من ضمنها نصوص اجرائية لحساب الازياج الفلكية وقد شهدت هذه الجداول قفزة نوعية في التطور خلال الفترة السلوقية في العراق حيث استخدمت فيها جملة من المعارف أو الجداول الرياضية(٤).

---

(١) روثن ، مرغريت ، علوم البابليين ، ترجمة ، يوسف حبي ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(*) الاسطرلاب (astrolabe) أي قياس ارتفاع النجوم أو رصدها ويتألف من قرص معدني أو خشبي مدرج المحيط ومعلق في وضع راس بحلقة وفي مركزه مؤشر متحرك يسمى العضادة وكان اول اسطرلاب عند اليونان هو الذي صنعه مبارخوس (في حدود ١٩٠ ق.م) أو "ابولونيس" وادخل الفلكيون العرب تحسينات مهمة عنه .

(٣) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص ٩٠-٩١.

(٤) الزرقي ، محسن احمد ، المصدر السابق ، ص٩٠.

ان هذه الارصادات والازياج الفلكية قد قادت فلكيي العراق القديم إلى التنبؤ بحدوث ظاهرة الخسوف والكسوف وقد أثر ذلك على سير الاحداث في بلاد اليونان واحدث عندهم قفزة نوعية في النظرة إلى الكون بالانتقال من النظرة الاسطورية للظواهر الكونية إلى التفكير العلمي الصحيح ويظهر ذلك من خلال النتائج الصحيحة للفيلسوف اليوناني طاليس (القرن السادس ق.م) عندما استخدم الارصاد الفلكية البابلية التي قادته إلى نتائج باهرة عندما تنبأ بحدوث الخسوف عام ٥٨٦ق.م[١].

وبذلك يكون طاليس قد عرف المنهج الصحيح لعلم الفلك البابلي الذي سمح له بالتنبؤ بالكسوف الشمسي ان هذا التنبؤ ليس مزعوما وليس بمحض التخمين والصدفة كما ذهب الى ذلك احد الباحثين[٢].

وقام العراقيون القدماء أيضا بارصاد فلكية أخرى خلال القرن السابع ق.م تمكنوا من خلالها من معرفة البروج الاثنى عشر (zodiac) واطلقوا عليها اسماء حيوانية، كالثور والعقرب والاسد والحمل وغيرها وقاموا بتقسيم كل برج إلى ٣٠ درجة تطابق عدد ايام الشهر[٣].

وتتحدث الباحثة مرغريت روثن في كتابها علوم البابليين نقلا عن الباحث جامبليك فتقول "لم يكتف الاشوريون بمشاهدة النجوم خلال ٧٢ الف عام وحسب كما يؤكد هيبارخوس ذلك ، انما حفظوا أيضا ذلك عهود العوالم السبعة وتطوراتها أيضا"[٤] .

"ويذكر سيمبليسيوس بأن الكلدانيين كانوا يستشهدون في زمن الاسكندر بمشاهدات متتالية عمرها ١٩٠٣ سنة وهو تقدير لا مغالاة فيه"[٥].

انه بهذا المعنى قام البابليون باكتشاف البروج الاثنى عشر (Zodiac) وقاموا بتمييز (Zodiac) على انه مسار القمر وتمييز الابراج التي من خلالها يمر القمر مرة كل شهر، وعلى المحطات التي تسمى محطات القمر يمكن ملاحظتها بصورة اشمل جدا من مسار الشمس "أي ان التقويم القمري لدى البابليين هو اسهل من التقويم الشمسي" لان الدورة تكتمل بصورة متكررة اكثر وان النجوم المرتبطة بها غالبا يمكن رؤيتها في نفس وقت القمر وهذا ما ورد في لوح مول ابن (Mul-apin) بخصوص الشمس والكواكب الخمسة أي جميع الآلهة الستة[٦] . ذلك ان الابراج

---

(١) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٩١.

(2) Kahn, Ch. H , op. cit, p.115.

(٣) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٩٠.

(٤) روثن ، مارغريت ، علوم البابليين ، المصدر السابق ، ص٩٤-٩٥.

(٥) المصدر نفسه .

(6) Khan, Ch. H., op. cit, p.103.

(zodiac) التـي من خلالها تتحرك الشمس قد تصبح غير مرئية بسبب لمعان اشعتها، في حين ان هذه الابراج يمكن ملاحظتها في مجرى حركات القمر مثلما يظهر ذلك في مراحل القمر[١] .

لذلك واذا ما قارنا بين البروج المكتشفة في بلاد الرافدين مع مثيلاتها في بلاد اليونان نلاحظ ان الاغريق لم يتوصلوا إلى هذا الاكتشاف قبل القرن الثاني ق.م...وبالتالي فان برجي العقرب والقوس (مثلا) قد جاء من بابل...وقد وصلت هذه المواد المعرفية البابلية القديمة الى بارمينيدس (Parmenids) في ايليا (Elea) البعيدة في بداية القرن الخامس "كما هو الحال في شخصية فينوس"[٢].

لقد كانت هذه المصنفات معروفة لدى اليونان كما نعرف من سيمبليسيوس بأن كاليستينوس (Callistene) ارسل من بابل الى ارسطو سلسلة مشاهدات فلكية عمرها ١٩٠٣ سنة ، ورد ذكرها انفا، ولو اننا لا نلقي لها ذكرا لدى ارسطو الا إذ كانت في الكتاب الثاني من "المساء"[*] (Decoelo) حيث يذكر ارسطو عن اختفاء المريخ بسبب القمر ما يلي :

"قام المصريون والبابليون بمشاهدات مماثلة على الكواكب الأخرى وذلك خلال سنوات عديدة..."[٣].

في حقيقة الامر ان هذه الارصادات الفلكية البابلية التي وصلت الينا ما هي الا نتيجة لما توصل إليه فلكيو العراق القديم في علم الارصاد والمراقبة وقد تم من خلالها تحقيق نتائج علمية باهرة ادهشت مؤرخي العلوم ، وتركت لديهم انطباعا مفاده ان علم الفلك لدى العراقيين القدماء قد شكل ركنا اساسا في حياتهم العملية فاولوه عناية خاصة وفائقة وخرجوا به من مفهومه المادي البسيط الذي يعتمد على وسائل ملاحظة بدائية الى افق اوسع وارحب تعتمد على المنهج العلمي المنظم حيث خصصوا لذلك تقنيات متطورة في مراقبة الفضاء الخارجي حتى ان بعض الباحثين يذهب إلى القول بان العراقيين القدماء قاموا باستخدام التلسكوبات في مراقبة حركات الكواكب وهي تقنية، كما يقول الباحثون، وصلت إلى ارقى تطور لم تعرفه امم أخرى مثل الامة اليونانية مثلا التي كانت تمثل مرجعية العلماء في هذا الحقل[٤] .

---

(1) Khan, Ch. H., op. cit , p. 105.

(2) Ibid.

(*) "المساء" من الكتب المهمة التي الفها ارسطو وقد خصص في بعض صفحاته الحديث عن المشاهدات والمعرفة الفلكية .

(٣) روثن ، مارغريت ، علوم البابليين ، المصدر السابق ، ص٩٦.

(4)Kyrala , A , “Speculations on Babylonian Telescopes Planetary Distances and Sizes”, Sumer , vol. 28 , N.1-2 , 1972 , p.21 .

في البداية كانت هناك تحفضات عديدة من قبل الاثاريين الكلاسيكيين حول ما إذا كان علماء الفلك في العراق القديم قد صنعوا التلسكوبات واستخدموها في ملاحظاتهم الفلكية الا انه وبعد ان تم العثور على عدسات (من الكريستال) في الحفريات البابلية ومن خلال حالات الرصد المنظمة لبعض الكواكب (مثل كوكب الزهرة) عندما تم القيام بذلك في القرن السادس عشر قبل الميلاد وتحققت نتائج علمية ملموسة في هذا المجال–وكذلك كوكب المشتري(*) (Jupiter) الذي قال عنه البابليون بانه اكبر الكواكب لهذا يرى عدد من الباحثين ان البابليين لابد ان يكونوا قد استعملوا التلسكوب حتى لكشف الاحجام الظاهرة للكواكب..واذا كان البابليون قد استنتجوا بان المشتري كان فعلاً اكبر كوكب فانهم لابد ان كانوا قادرين على مقارنة مسافته من الارض باستخدام بيانات متناظرة للكواكب الأخرى المعروفة للعالم القديم ، أي عطارد الزهرة، المريخ، زحل ولذلك بعد ان تواجهنا الحقيقة القائلة بانهم اطلقوا اسم المشتري بصورة صحيحة فاننا كذلك لابد ان نستنتج ان لم يكن فقط لديهم تلسكوبات ولكن كذلك كانت لديهم نظرية معقولة لتقدير المسافات الكوكبية(١).

ويمكن ان يتساءل القارئ لماذا لم يتعلم الاغريق ابدا التلسكوبات البابلية، ولفهم هذا السؤال لا بد ان ندرك ان المفكرين البابليين ربما شكلوا مجموعة من رجال الدين اقسموا يمينا على السرية وعدم اطلاق معلوماتهم إلى المجتمع العام وان الكثير من الالواح المسمارية البابلية قد تم تصنيفها وبها تعليمات خاصة يجب اظهارها إلى الاشخاص الذين تم اخبارهم فقط (اولئك الذين يحتاجون المعرفة) وليس للاشخاص الذين لم يتم اخبارهم اولئك الذين لا امان فيهم ولا ضمان أو ايضاح ولهذا فانه لم يكن من السهل للاغريق ان يجدوا كل شيء قام به البابليون وبعد ان شاهد البابليون الكواكب من خلال التلسكوبات كان من الطبيعي للفلكيين البابليين للنظر إلى الأرض على انها كروية تقريباً مثل الكواكب الأخرى(٢).

وهناك مسألة أخرى وهي هل ان افكارهم اثرت على (Eratosthenes) ايراتوسثينس(*) الذي قام

(*) أخذ اسم كوكب المشتري من الاسم الاغريقي لكوكب زيوس Zeus والذي بدوره جاء من الارتباط البابلي بالإله مردوك كرئيس لجميع الآلهة .

(1) Kyrala, A, op. cit, p 21.

(2) Kyrala, A, op. cit, p. 22.

(*) من مشاهير الفلكيين الاغريق في العصر الهلنستي (٢٧٥ . ١٩٧ ق.م) ، ولد في كيرين في ليبيا وعاش في الاسكندرية وعمل مديرا لمكتبتها الشهيرة والذي اشتهر بانجازه ايجاد قياسات الأرض فصحح القياسات التي حققها ارمنيدس في هذا المجال فكان قطر الأرض حسب قياساته أقل من القطر الحقيقي بخمسين ميلا .

بحساب حجم الأرض و (Aristorchos) ارسيتارخوس[*] عندما حاول قياس المسافة بين الارض والشمس[١].

يمكن ان نستنتج بخصوص موضوع علم الفلك الرافديني وعلاقته بالفلك اليوناني هو ان علم الفلك في العراق القديم قد أثر ايما تأثير في نشوء وتطور علم الفلك في بلاد اليونان .

وذلك ان المعارف والعلوم الفلكية العراقية القديمة وبعد ان دخلت طور التدوين التاريخي منذ الالف الثاني ق.م الذي شهد قفزة نوعية في تطور علم الفلك وارتباطه بالرياضيات ارتباطا وثيقا قد شكل الأساس العلمي الذي اخذ عنه اليونانيون معارفهم الفلكية التي لم تدخل ضمن اهتماماتهم قبل القرن السادس ق.م عندما توصل طاليس إلى التنبؤ بكسوف الشمس عام ٥٨٥ ق.م "واعترف علماء الفلك الاغريق بفضل جهود العراقيين القدماء"[٢] في هذا المجال وكيف وردت تقارير عن حالات الرصد الاغريقي للنجوم الثابتة تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد وما بعده عن طريق الفلكي اليوناني هيبارخوس واخرون ممن تأثروا بالبابليين وعندما تمكن هيبارخوس من تجميع جداول للنجوم الثابتة التي ورثها عن بطليموس في مقدمة كتابه المعنون كتالوك النجوم (star-catalogue) الذي يرتبط بالنص المسماري تحت عنوان (dalbana-dalbena) ، أي الفضاء–الفترات (المسافات) والذي يدرج اسماء النجوم واشارة إلى المسافات بينهما وهو ما يدعونا للقول بتأثير علوم النجوم لبلاد الرافدين في الحضارة اليونانية[٣] . بل ان اليونانيين اطلقوا على علم الفلك الفلك الكلدي اشارة منهم الى ان الفلك يرتبط بالكلديين ومعارفهم[٤] .

إذن فالتراث البابلي قد اخترق المعتقدات الدينية والفلك والتنجيم في اوراسيا (eurasia) منذ بدء الالفية الاخيرة ق.م وكان اساسا لكثير مما تم القيام به في اليونان والهند وايران

(*) اريستارخوس (٣١٠–٢٣١ق.م) هو فلكي يوناني طور النظرية الفلكية الفيثاغورية في العصر الهلنستي عندما قال بان الشمس وليس الأرض مركز الافلاك أي الكواكب السيارة وان الأرض تمر حول نفسها واكد هذه النظرية أيضا هيبارخوس .

ينظر أيضا :

Boardman and others, the Oxford History of the Classical World Oxford, 1989, p. 381.

(1) Kyrala, A, op. cit, p.24.

(٢) روثن ، مارغريت ، علوم البابليين ، المصدر السابق ، ص٩٥.

(3) Pingree, D. , op. cit, p.136.

(٤) سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم ، موجز التاريخ الحضاري ، ج٢ ، الموصل ، ١٩٩٣ ، ص ٣٠٥.

الساسانية والبيزنطة واسيا الوسطى وغرب اوربا وحتى عندما فرضت الثقافات المحلية التغيرات والتحسينات فان التشخيص البابلي للظواهر المهمة...تعطي دليلا مقنعا لحضور البابليين(١).

ومن الامور التي تجدر ملاحظتها هو ان هذه التأثيرات البابلية في علم الفلك لم تقتصر على الفترة الهلنستية فحسب وانما امتدت لتشمل ايضا عصر الامبراطورية الرومانية وما بعدها وان جومينيس (Geminus) (المائة الاولى الميلادية) يعطي قيما لفترات معينة للقمر وهي متطابقة مع الفترات المستعملة في النصوص البابلية رغم انه يذكر الكلديين ذكرا قصيرا ويبدو انه لا يعرف أي شيء عن كيف استعملوا هذه القيم في جداولهم(٢) .

ولقد ذكرنا انفا ان هيبارخوس بصورة متكررة جدا استعمل القيم البابلية وان بطليموس الذي كان لديه ملاحظات هيبارخوس وبعض الملاحظات البابلية بالاضافة إلى ملاحظاته الخاصة به لذلك هو قادر على تحسين المعالم البابلية(٣) ويشير نيكو باور (neugebour) للمساهمة الفائقة الاهمية للفلك البابلي في الفلك الاغريقي في انشاء القيم الدقيقة جدا للمعالم المميزة للنظرية القمرية الكوكبية(٤) ولكن كذلك لفترة طويلة بعد ان غادر الحكم الاغريقي من بلاد الرافدين وخلال الفترة الرومانية نجد بأن مؤرخين من روما كانت لهم اعمال فلكية هي امتداد للاعمال الفلكية البابلية ، وان المؤرخ الروماني ومحب الكتب فارو (Varro) (٨٢-٣٧ ق.م) كتب عملا حول الفلك بالاعتماد على مواد من بلاد الرافدين وان (Juba) جوبا (٤٦ ق.م-٢٣ ميلادية) ملك نوميديا (Numidia) كتب كتابا يضم جزئين حول اشور وكذلك الفيلسوف سنيكا Seneca (٤ ق.م-٦٥ ميلادية)(٥).

وان شيشرون (Cicero) رغم انه كان يشك في التنبؤ والتنجيم الكلدي إلا انه ترجم إلى اللاتينية كتاب (Phaeomena) أي الظواهر وهو عمل حول الفلك تأليف اراتوس (Aratos) من (Soloi) في قليقيا (حوالي ٣١٥-٢٤٥ ق.م) ... وان الفيلسوف والفلكي الروماني تروتوسفيرماروس (L. Trautiusfirmarus) وهو معاصر لشيشرون يمكن ان يكون قد استعمل سجلات عراقية قديمة في كتابه تواريخ احداث معينة(٦).

---

(1) Pingree D. , op. cit. p, 137.
(2) Hunger, H., op. cit, p.66.
(3) Ibid.
(4) Kahn, Ch. H., op. cit, p.110.
(5) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p.114.
(6)Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p. 117.

٣. في ميدان الطب :

تعد الحضارة العراقية القديمة من الحضارات الاصيلة المعروفة في العالم ، وقد كان لهذه الاصالة دور ريادي في تحفيز الحضارات الأخرى القريبة منها والبعيدة وسواء بصفة مباشرة أو عن طريق قنوات معينة. وقد مست هذه الاصالة مختلف فروع الحضارة ان لم نقل كلها.

وقد احتل الطب مكانة مرموقة وعد جانبا مهما من جوانب الحياة العامة في العراق القديم ورغم انه قد سيطرت على العقول فكرة تفوق الحضارة اليونانية والرومانية في مختلف العلوم والمعارف ومنها الطب واعتبرتا هذين الحضارتين هي المصادر الاصلية التي يمكن الاعتماد عليها في استقاء المعارف الطبية[١] ، الا انه وبعد ان تم العثور على الواح من الطين يرقى تاريخها إلى الالف الثاني قبل الميلاد مدون عليها بالكتابة المسمارية مجموعة من النصوص المتعلقة بالعلوم الطبية تبين بأن هذه النصوص تكشف لنا عن جوانب مهمة في ميدان الطب عند العراقيين القدماء وتبين دورهم البارز ومساهمتهم الفعالة في هذا المجال[٢] . وتعكس قدم هذه المعارف ، فقد امدتنا شريعة حمورابي بمجموعة من النصوص القانونية التي تمثلت في معالجة بعض المسائل المتعلقة بالطب والاطباء كما تعكس المعرفة ببعض الاختصاصات الطبية المتنوعة و "تمدنا بصورة متكاملة تقريبا عن مزاولة هذه المهنة وتاريخها"[٣] وسنأتي على ذكر بعض منها فيما بعد .

ان هذه المصادر المادية المكتوبة والملموسة تنفي ما ذهب إليه المؤرخ اليوناني هيرودوتس عندما ادعى بأن البابليين لا يوجد لديهم اطباء وانه "إذا مرض احدهم أرقدوه في الساحة العامة ويمر به الذاهب والغادي، فاذا تصادف ان احدهم سبق ان مرض بمثل مرضه... ذكر له الوصفة التي وجد فيها الشفاء في حالته هو نفسه"[٤] وفي الوقت الذي ينفي فيه هيرودوتس على البابليين ان يكون لديهم اطباء نجده يقر بهذه المهنة وممارستها لدى المصريين القدماء فهو يقول أثر زيارته لمصر "هنا كل مكان مملوء بالاطباء ، بعضهم أخصائيون بالعيون واخرون بالرأس وبالاسنان ، وبالامراض الباطنية وبأمراض أخرى لا حصر لها"[٥] ولو اخذنا بما قاله هيرودوتس عند حديثه عن حضارة بابل ومصر

---

(١) البدري ، عبد اللطيف ، "الطب في العراق القديم" ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص٣.

(٢) سارتون ، جورج ، تاريخ العلم ، ج١ ، ترجمة : طه باقر ، المصدر السابق ، ص١٩٧.

(٣) لابات ، رينيه ، "الطب البابلي والاشوري" ، ترجمة : وليد الجادر ، سومر، ٢٤ ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص١٩١.

(٤) ج ، ايفانز ، هيرودوت ، المصدر السابق ، ص٧٦-٧٧.

(٥) لابات ، رينيه ، المصدر السابق ، ص١٩٢.

لأقررنا بأن المعارف الطبية في بلاد الرافدين القديم تعتبر متخلفة عما كانت عليه في مصر "ولكن الواقع ان هيرودوتس كان مخطأ ، فالاطباء ثبت وجودهم في كل عصور بابل واشور"[١].

"وفي وسعنا ان نفترض في الحالين ، أي في بلاد بابل ومصر ان القسم الاكبر من المعارف الطبية يرجع إلى الالف الثالث ق.م"[٢].

إذن فالمعارف الطبية في بلاد الرافدين لها من العراقة ما يؤهلها لان تؤثر في غيرها من الحضارات الاخرى ومنها الحضارة الاغريقية ، ذلك ان الاغريق لم يكن لديهم تراث طبي قبل القرن السادس ق.م ولم يصلنا شيء عنهم قبل هذه الفترة ما عدا الكيفية التي انتقلت عبرها المؤثرات الحضارية للمعارف الطبية من قبل الشعوب التي سبقتهم في هذا المجال، عندما كان الاغريق قبل ذلك يستخدمون نظما سحرية في عملهم الطبي مارسوه مع غيرهم من شعوب البحر المتوسط[٣].

ولكن قبل الولوج في ابراز أهم التأثيرات الطبية لبلاد الرافدين على الطب الاغريقي يستوجب منا بادئ ذي بدء ان نستعرض بايجاز خصوصيات بعض من المعارف والعلوم الطبية في بلاد الرافدين رغم ان الفترة السومرية المبكرة لم تصلنا منها معلومات وافية عن الطب ومعارفه إلا انه تم العثور على بعض النصوص الطبية التي تعطينا فكرة عن هذا الحقل، حيث كان الإنسان العراقي القديم يرجع اسباب الامراض إلى ارواح شريرة ويعتقد بأن الآلهة ايضا تتسبب في ايذاء الإنسان وذلك باصابته بأحد الامراض كعقاب له ، وخصصوا لذلك آلهة للطب أسموها كولا (Gula) أو ننازو (NIN. A. ZU) "سيدة العارف بالماء" وايضا "ننكيزيدا (Ningishzidda) الذي يرمز له بالحية الملتفة على العصا الذي ما يزال يستخدم شعارا لجمعيات الطب والدواء في العالم"[٤].

إلا انه رغم ذلك فقد ميز العراقيون القدماء بين مهنة الطبيب الذي اطلقوا عليه اسم اسو (asu) (ومنه كلمة "اسوتو" اي الطب) الذي يعود باصوله الى مصطلح (A-zu) السومري "وقيل في معناه انه يعني العارف بالماء أو العارف بالزيت" (A-zu) وبين المعزم أو الساحر الذي هو "اشيبو" (asipu) الذي يتمثل دوره في طرد الارواح الشريرة والشياطين وذلك باعتماد اسلوب التعزيم (exorusim) كطريقة للعلاج فكان الكهنة في هذا المجال هم الذين يتولون اداء هذه المهنة[٥].

إلى جانب ذلك جاءتنا نصوص أخرى تعود إلى العصر الاكدي وما بعده زودتنا بها مختلف المدن القديمة في العراق مثل اشور وبابل وهي ذات علاقة بالعلوم الطبية كما جاءتنا نصوص أخرى

---

(١) لابات ، رينيه ، المصدر السابق ، ص١٩٢.

(٢) سارتون ، جورج ، تاريخ العلم ، ج١ ، ترجمة : طه باقر ، المصدر السابق ، ص١٩٧.

(3) Singer, Charles, The Medicine , in the legacy of Greece, Oxford, 1962 , P. 201.

(٤) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٣٢٧ .

(٥) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٩٣.

تعود إلى العصر البابلي القديم وهي نصوص قانونية ومعجمية وهي من المصادر المادية المكتوبة التي تعالج الطب والتطبب وتدل على ان العلوم الطبية في العراق القديم قد وصلت إلى مستوى مرموق ومتطور [١].

بيد ان النصوص الطبية التي وصلت الينا من العهد الكشي والعصر الاشوري الحديث ارقى ما وصل الينا "حيث كانت هناك سلسلة من النصوص تصف الوصفات استنادا إلى أجزاء الجسم فوجدت مجموعة كاملة من النصوص الخاصة بوصفات اصابات المعدة مثلا"[٢] .

كما شخص الاطباء في العراق القديم مجموعة من الامراض ووضعوا لها ادوية ومستحضرات للعلاج مثل[٣] عرق السوس دواء للسعال يسحق ويشرب مع الزيت والخمر.

ورد عين الشمس دواء لوجع الاسنان يوضع على الاسنان[٤].

ولذلك يمكن ان نقسم النصوص الطبية بشكل عام إلى قسمين، الاول يتناول النصوص الخاصة بالتشخيص (Diagnosis) والثانية نصوص خاصة بالادوية والعلاج (therepeutic)[٥] .

وميز اطباء العراق القديم بين عديد من الامراض ذات الاعراض المتشابهة مثل اليرقان والصفر وتعتبر المدرسة الطبية في مدينة نفر من اشهر المدارس ، أما بخصوص ميدان الجراحة فانه على الرغم من ان هذا الاختصاص نجده اكثر تطورا في مصر القديمة الا ان ذلك لا ينفي بان العراقيين القدماء عرفوا العمليات الجراحية، فقد اشار قانون حمورابي "إلى اعمال الجراحة في العين والجسم بشكل عام واستخدم أدوات خاصة لاجراء العمليات"[٦].

فقد عالجت قوانين حمورابي هذا الجانب وحددت الاجور التي يتلقاها الجراح عند قيامه بالعملية الجراحية وحسب قيمتها واهميتها وتناسبا مع الحالة الاجتماعية للاشخاص فالاجرة التي يستلمها الطبيب من لدن شخص غني تختلف عن تلك التي يتقاضاها من شخص فقير أو متوسط الحال، هذا وحددت شريعة حمورابي وفي بعض موادها وضعية الطبيب الجراح عند اخفاقه في اداء عملية جراحية

---

(١) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٣٢٧ .
(٢) عبو ، عادل نجم، علوم ، المصدر السابق ، ص٢٧٣ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) باقر ، طه ، موجز ، المصدر السابق ، ص٩٥.
(٥) المصدر نفسه ، ص٩٤.
(٦) عبو ، عادل نجم ، علوم ، المصدر السابق، ص٣٧٣.

لشخص ما سواء كان هذا الشخص من عامة الناس أو من نبلائها "ووضعت عليه عقوبة تبلغ قطع اليد لعملية خائبة يجريها لشخصية بارزة في المجتمع"[١].

فالمواد ٢٠٤ و ٢١٥-٢٢٦ من قوانين حمورابي تحدد عقوبات الاطباء في حالة الخطأ وتحديد اجرة الاطباء إذ اختلفت أجرة معالجة الحر عن اجرة معالجة العبد وهو ما يشير بأن الطب في العراق القديم قد وصل إلى مرتبة التخصص[٢] مثال .

المادة ٢١٨ من قانون حمورابي جاء فيها "إذا احدث الاسو جرحا عميقا في جسم رجل ومات الرجل أو انه احدث نقبا في عينه (nagabti) وعميت العين تقطع يد الجراح"[٣].

وقد استخدم الأطباء في العراق القديم أدوات وآلات لاجراء العمليات الجراحية ورد ذكر بعض منها في المعاجم الاكدية مثل كلمة (masratu) و (sinnatu) للمشرط أو السكين و (asmaru) و(aritu) للمبضع و(baturru) للقاطعة وهي صنف من السكاكين وقد جاءت اسماء أخرى لعديد من الالات مثل المقص (makkasu) وقطاطة (katatu) للابرة الصغيرة[٤]. (ينظر شكل ١٠) .

ارتأينا ان نورد بعض التفاصيل المتعلقة بالطب في العراق القديم لنقف على حقيقة اصالة هذ الفرع من العلوم في هذه الحضارة وعراقته ، إذن فاصالة هذه العلوم وما تتمتع به من اسبقية تاريخية اكسبها موروثا معرفيا غنيا كان له الأثر البالغ على العديد من الحضارات الأخرى ومنها الاغريقية التي لا شك انها اشتقت العديد من المعارف والعلوم الطبية بابلية كانت أم مصرية أم غيرها "حيث ترجمت النصوص الطبية العراقية الى الحثية"[٥] ولما كان الحثيون يتوسطون العالم الايجي والحضارات الشرقية فلابد ان تكون قد تسربت تأثيرات حضارية ومعارف في مجال الطب إلى بلاد اليونان عن طريق بلاد الحثيين[٦].

"ان تأثير الطب العراقي القديم على الطب اليوناني جاء من حقيقة ان الطب العراقي وصل إلى الحثيين ثم انتشر في آسيا الصغرى وصولا إلى اليونان، ان العثور على نصوص طبية عراقية في العاصمة الحثية (حاتوشا) يؤكد ذلك فضلا عن ارسال اطباء عراقيين الى البلاط الحثي نتيجة طلب

(١) كييرا ، ادوارد ، كتبوا على الطين ، ترجمة وتعليق : محمود حسين الامين ، نيويورك ، ١٩٦٢ ، ص١٧٢.

(٢) عبو ، عادل نجم ، علوم ، المصدر السابق ، ص ٣٧١-٣٧٢.

(٣) البدري ، عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص١٦١.

(٤) المصدر نفسه ، ص١٦٢.

(٥) عبو ، عادل نجم ، علوم ، المصدر السابق ، ص٣٧٤.

(٦) المصدر نفسه .

الحثيين ذلك"[١] وهناك عدد من الرسائل التي تعود إلى القرن الرابع عشر ق.م تثبت بأن اطباء العراق القديم كانت لهم مكانة محترمة ومرموقة لدى الاقوام والشعوب المجاورة وهذه الرسائل، هي رسائل اجنبية تم العثور عليها في البلدان المجاورة لبلاد الرافدين حيث تحتوي على معلومات جد مهمة تتعلق بالطبيب العراقي القديم والاستشارات الطبية العلمية التي يقدمها إلى من يهمه أمر هذه الاستشارات ، وما الرسائل التي جاءتنا من مدينة ماري بخصوص الطب البابلي "وفعاليات جملة اطباء بابليين كانوا في خدمة الملك والحكام التابعين له"[٢] الا خير دليل على ذلك . ان هذا الامتداد الواسع للمعارف الطبية خارج بلاد الرافدين قد طال عدة بلدان أخرى كما انتشر في اسيا الصغرى والبحر الايجي حتى بلاد الاغريق، حتى ان كثيرا من الحشائش الطبية استعملها العراقيون والمصريون على حد سواء مثل ماء النشادر (hartshorn) وزيت الخروع (Castor-oil) والبيروح (mandragora) والكمون والكركم الذي يرادف اسم (crocus) في اللغة اليونانية[٣] كذلك ان الصفات المتشابهة كذلك لوحظت بين علم الادوية الاغريقي والعراقي القديم سواء في المحتوى أو الصيغة[٤].

اقتبس الاغريق طرقاً علاجية متقدمة اخذوها من الشعوب الأخرى الاكثر تحضرا منهم وسواء كانت هذه الطرق دوائية أم روحية وخصوصا تلك الطرق التي استخدمت في بلاد الرافدين ومصر والشعوب الشرقية الأخرى[٥] ولابد ان الكاتب والطبيب اليوناني اكتيسياس والذي كان خادما في بلاط الملك الفارسي ، ارتحشتا الثاني من سنة (٤١٦-٣٩٨ ق.م) كان على علم واطلاع بالطب والمعارف الطبية في بلاد الرافدين ويذكر بأنه قام بزيارة بابل[٦] "حيث سأل الكهنة وتجول كثيرا في الشرق وكان ثقة في نقل ما وصله من اخبار حرص على كسب معلومات دقيقة عن احوال المناطق التي زارها" ولابد ان زيارته هذه الى بابل قد مكنته من الاطلاع على نتائج المعارف والعلوم ولا سيما منها الطبية باعتباره طبيب الملك الفارسي كما وانه لابد ان تكون هذه المعلومات التي استقاها عن بابل قد دخلت جدران المدارس وعقول العلماء اليونان في اثينا وغيرها من البلاد الاغريقية[٧].

وان أقدم مدرسة طبية في بلاد الاغريق تعود إلى حدود القرن السابع ق.م في مدينة كنيدوس وهي من المستعمرات الاغريقية الواقعة في اقليم رودس في منطقة اسيا الصغرى وتشير الدلائل إلى ان

---

(١) الاحمد ، سامي سعيد ، "الطب العراقي القديم" ، سومر ، عدد ٣٠ ، ١٩٩٧ ، ص٣٦٥ .

(٢) لابات ، رينيه ، المصدر السابق ، ص١٩٣.

(٣) الاحمد سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٦١.

(4) Dalley, S., and A. T. Reyes, op. cit, p.115.

(5) Singer, Ch. , op. cit, P. 201 .

(٦) كريشن ، فرينز ، عجائب الدنيا في عمارة بابل ، ط١ ، تعريب : صبحي انور رشيد ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص٩.

(٧) الاحمد ، سامي سعيد ، الاستشراق ، المصدر السابق ، ص١٢٩.

هذه المدرسة قد شهدت مؤثرات في ميدان الطب أتت من الشرق وقد تم انشاء مدرسة أخرى في حدود القرن ٦ ق.م في جزيرة كوس ، الا انه بعد انشاء مدرسة الاسكندرية في مصر اصبح الطب الاغريقي رهين ما تنتجه هذه المدرسة من الكشوفات والمعارف الطبية واصبح للاسكندرية دور بارز "في تطوير الجراحة عند الاغريق"(١).

"فقد اخذ اليونان عن المصريين ، على سبيل المثال ، اول مبادئ الطب والتشريح...وصل إلى درجة الاقتباس الكامل في كثير من الاحيان كما يظهر لنا بوضوح في كتابات ديوسكوريدس Dioskorides وجالينوس Galenos وهيبوكراتيس (ابقراط) (Hippokrakes)"(٢). يعتبر ابيقراط من مواليد جزيرة كوس ، ورث الطب عن عائلته كما مارس هو نشاطا طبيا في تراقيا ومرمرة وديلوس واثينا وغيرها وتوفي عام ٣٧٧ ق.م ، وتعد نتاجات ابيقراط الطبية وابحاثه ، الأساس الذي قام عليه الطب الاغريقي(٣) .

ويذهب العراقيون القدماء ولاسيما منهم أصحاب الاختصاص مثل الاشبة جمع اشب ويعني الواصف (asipu , wasipu) "وهو الذي يمارس اجراء الطقوس والتعاويذ لطرد الارواح الشريرة ويعزم للتخلص من الشياطين التي تولد الامراض ويعمل على ايصال السحر واعاقة عمل السحرة ويحمي من صناع السحر الاسود وهو الوسيط الذي يمكنه تلقي وحي الآلهة ومعرفة مشيئتها في الاحداث المستقبلية والقادر على معرفة مدلول تحركات الأفلاك السماوية وعلاقة ذلك بصحة الفرد ومصير مرضه"(٤) (ينظر شكل ١١) حيث يذهب إلى الاعتقاد بتأثير حركات النجوم وتبدل الفصول على صحة الإنسان أو علتها، وقد لقيت هذه الافكار تأييدا واسعا من طرف مفكري وحكماء الاغريق ، مثل ابيقراط الذي اهتم به اهتماما كبيرا يقول في هذا العدد "ان من يعرف كيف تتبدل الفصول وكيف ترتفع النجوم وتأفل، سيكون قادرا على معرفة كيف ستكون امراض السنة القادمة"(٥).

ولذلك يمكن القول بأن الاغريق قد اقتبسوا الشيء الكثير من الطب الشرقي ولا سيما الطب المصري والطب العراقي القديم في بداية نشوئهم الحضاري بيد انهم قد احدثوا طرقا واساليب جديدة اكثر تطورا في المعارف الطبية من خلال ابحاثهم وتجاربهم الناجحة التي شملت جميع فروع الطب(٦).

الطب(٦).

---

(١) عبو ، عادل نجم ، علوم ، المصدر السابق ، ص٣٧٥.

(٢) لطفي ، عبد الوهاب يحيى ، اليونان ، مقدمة في التاريخ الحضاري ، بيروت ، ١٩٧٩، ص٥٠.

(٣) عبو ، عادل نجم ، علوم ، المصدر السابق ، ص٣٧٦.

(٤) البدري ، عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص١٠-١١.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٣.

(6) Dampier, William. Gegil, A history of science, Cambridge, 1966 , P. 25.

"الثابت إذن ان اليونان وضعوا ايديهم على علوم الدنيا القديمة ونسبوها لانفسهم اما ان هذه العلوم كانت بلا صاحب فأمر لا نستطيع اعتباره بكثير من الارتياح"[١].

على ضوء ما تقدم يمكن ان نستنتج فيما يخص الطب في العراق القديم ، بأن هذا الفرع من العلوم وجد في حدود الالف الثالث ق.م ومارس العراقيون القدماء الطب ووقفوا على الامراض، التي يمكن ان تصيب الإنسان وشخصوها ووضعوا لها اصناف متعددة من انواع العلاج لشفاء المريض، ونظرا لتطور هذا العلم وتشعب اختصاصاته وممارساته فقد أولاه القانون العراقي القديم عناية خاصة وكبيرة وخصص له موادا وبنودا تعالج مختلف القضايا المتعلقة بالطب ووظيفته، فكانت تشريعات حمورابي التي تتناول الطب في بعض من موادها تعكس التطور الذي عرفه الطب في العراق القديم وهكذ اصبحت شهرة ومكانة الطبيب تتجاوز الحدود الجغرافية لبلاد الرافدين القديم لتصل إلى البلدان والمناطق المجاورة، فقد اتخذ الملوك الحثيون في بلاطاتهم اطباء من بلاد الرافدين فاصبحت لهم مكانة عالية في البلاط الحثي ذاع صيتهم وشهرتهم في اصقاع بعيدة من بلاد الاناضول واسيا الصغرى[٢].

وقد جاءتنا العديد من النصوص المتعلقة بالطب والمعارف الطبية من هذه البلدان تبين لنا الانتشار واسع النطاق الذي عرفته العلوم الطبية لبلاد الرافدين وتأثيرها في البلدان الواقعة جهة الغرب من اسيا الصغرى ونعني بذلك بلاد اليونان التي استقت معارفها عن طريق مستعمراتها في اسيا الصغرى التي كانت تمثل همزة وصل بينها وبين بلاد الرافدين فانتقلت إلى بلاد اليونان أثر ذلك مختلف العلوم والمعارف ويعتبر الطب احدى هذه المعارف، كما تأثر العديد من علماء اليونان بما انتجه الشرقيون والمصريون، والبابليون في هذا المجال ونسجوا على منوالهم بعد ان هضموا واستوعبوا هذه المعارف وتمكنوا بعد ذلك من احداث تطويرات في صفوف مختلفة ومتعددة من مجالات المعارف الطبية .

لقد أحرز الطب تقدما كبيرا قبل ايام الاسكندر، وان معرفة تجريبية موسعة لفن الشفاء كانت موجودة بين المصريين والبابليين وربما من بابل اتخذ الاغريق الهلنستيون تقليد تعيين موظفين حكوميين للصحة والذين كانوا يعالجون مجانا جميع الاشخاص المراجعين لهم مقابل راتب ثابت من الحكومة[٣] . (ينظر شكل ١٢) .

٤. فـي ميدان الكيمياء :

(١) جلال ، مظهر ، أثر العرب في الحضارة الاوربية ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص٧٧.

(2) Cary . M, Litt. D, M. A, op. cit , P. 301 .

(3) Cary . M, Litt. D, M. A, op. cit , , P. 301 .

اثبتت التنقيبات الاثارية التي تمت في العراق خلال القرن الماضي بأن العراقيين القدماء عرفوا الصناعات الكيميائية منذ عصور قبل التاريخ وقد شهدت الكيمياء، مثلها مثل بقية فروع العلوم الأخرى، خلال الالف الثاني ق.م الاتساع والازدهار عندما تم تدوين معارفها وشهدت المعارف التكنولوجية والكيميائية أثر ذلك تقدما ملموسا وانتشارا واسعا طال حضارات متعددة القريبة منها والبعيدة على حد سواء[١] .

لقد عرف العراقيون القدماء العديد من العمليات الكيميائية مثل التصعيد والتقطير والاستخلاص وصناعة الملابس ودباغة الجلود والعطور[٢] واستخدموا الاجهزة الكيميائية، مثل المدق والهاون والمطاحن وانواع الاوعية وقوالب الصب أو الافران التي تم من خلالها انجاز العمليات الكيميائية[٣] . وتوصلوا إلى جملة من المعارف الكيميائية التي شهدت انتشارا واسعا في بلدان الشرق الأدنى القديم وبلاد اليونان، حيث تذكر بعض المصادر بأن الكيمياء اليونانية والعلماء الذين كانوا يشتغلون في هذا الحقل قد تأثروا بالكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية التي عرفها سكان بلاد الرافدين القدماء رغم انها لا ترتقي إلى مستوى الوعي الكيميائي[٤] .

وقد قال سارتون ، جورج في كتابه "مقدمة في تاريخ العلم" ، "أن العراقيين القدماء لو استخدموا مصطلح كيمياء لاعتبرت انها ولدت في العراق القديم ونشأت فيه بجميع مفاهيمها وأصولها"[٥].

ورغم ذلك فقد تم العثور على بقايا واثار لتكنولوجيا كيميائية معقدة تعود إلى الالف الثالث ق.م تخص صناعة النحاس النقي والطرق التي تتم من خلالها العملية الكيميائية في استخلاص النحاس وتمر هذه العملية باطوار مختلفة بداية من معالجة الخامات والصب مرورا بالعصر والاكسدة وصولا إلى معدن النحاس[٦].

لقد وردت في نصوص مسمارية أسماء لانواع كثيرة تطلق على معدن النحاس ويبدو انها أسماء كانت لها علاقة بنوعيات المعدن الخام والمصادر المستخرجة منه، فقد ورد الاسم الاكدي للنحاس

---

(١) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٣٣٩ .

(٢) عبو ، عادل نجم ، علوم ، المصدر السابق ، ص٣٧٦.

(٣) الراوي ، فاروق ناصر ، المصدر السابق ، ص٣٤٢-٣٤٣ .

(٤) الشكري ، جابر عزيز ، "الكيمياء التطبيقية في حضارة وادي الرافدين" ، بين النهرين ، عدد ٢٧ ، الموصل ، ١٩٧٩ ، ص٣٣٨.

(5) Sarton, G, Introduction to the History of Science, USA, 1945-1948, p. 16.

(٦) ليفي، مارتن، "النحاس والبرونز في بلاد ما بين النهرين" ، ترجمة : خليل كمال ، مجلة النفط والتنمية ، مج٦، العدد ٧-٨ ، ١٩٨١، ص١٢٦.

على نحو "eru أو سيبارو أو سيفارو sipparru وقد سماه السومريون URUD " كما تعني هذه الكلمة الصفر[*] أو النحاس وعودة للاسم العربي القديم سيباروا أو سيفارو[١].

ورد اسم صفر لدى الاغريق باسم كبروس (kyppros) والذي اخذت جزيرة قبرص اسمه (cyprus) وجاء في اللغة اللاتينية معدن قبرص (aes-cyprium) نسبة إلى اسم المدينة وتغيرت الكلمة باسم (cuprum) و (copper) باللغة الانكليزية اما باللغة الالمانية فقد ورد باسم (kupler) ومن هنا يتبين لنا بأن الاسم اللاتيني (cyprum) الذي عرفته هذه الكلمة استخرج منها رمز النحاس الذي هو cn[٢].

يمكن القول إذن بأن اليونانيين القدماء قد استندوا في معارفهم العلمية الكيميائية والتكنولوجية إلى معارف الكيميائيين العراقيين القدماء فاخذوا عنهم التطبيقات الصناعية الكيميائية واسماء عديدة من المواد الكيميائية ومركباتها، إذ يمكن الاستدلال على ذلك من خلال التسميات لبعض المواد التي لها أسماء اكدية قد دخلت اللغة اليونانية واستمرت حتى ظهور اللغات الاوربية الحديثة التي دخلتها أسماء هي في الأصل تعود باصولها إلى اللغة الاكدية وهذه قائمة مختصرة لعدد من التسميات[٣].

(*) صفر في اللغة اسم معناه النحاس الاصفر الجيد وهو من أسماء الذهب ويقال صفر أيضا والصفار صانع الصفر .

(١) الشكري ، جابر عزيز ، المصدر السابق ، ص٣٣٨.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ساكز ، هاري ، المصدر السابق ، ص٦٤.

الاسم العربي	الاسم الانكليزي	الاسم الاغريقي	الاسم الاكدي
خرنوب ، خروب	Carob	Charrouba	Kharuba
كركم	Crocus	Krokos	Kurkanu
كمون	Cummin	Kuminon	Kamanu
جص ، جبس	Gypsum	Gypsas	Gassu
حشيشة للزوفا	Hyssop	Hussopos	Zupu
لاذن ، صمغ	Ladanum	Ledanon	Ladanu
مر	Myrrh	Murra	Murru
نفط	Naphtha	Naphtaos	Naptu
زعفران	Saffron	–	Azapiranu[1]

ومما يجدر ذكره هنا ان الصناعات الكيمياوية التي عرفها اليونان القدماء كانت صناعات بسيطة في بداية عهدها حيث اقتصرت فقط على بعض الصناعات المعدنية مثل الفضة والنحاس وصناعات أخرى مثل الصناعات النسيجية والفخارية ، في حين ان الصناعات المعدنية لدى العراقيين القدماء كانت قد شهدت تقدما وابداعا ملحوظا فيما يخص صناعة الاصباغ والزجاج وصناعات معدنية أخرى في ذلك الوقت[٢].

كانت المعرفة التكنولوجية ، مثل الطقوس الدينية، من الاسرار الخفية جدا وقد يجد المرء في نهاية النصوص الخاصة باي من الموضوعين تعليمات كالتالية : "دع المطلع يرى المطلع ولن يراها غير المطلع ، انها تخص الاشياء المحرمة للآلهة العظام"[٣].

ان هذا الاسلوب في كتابة المعرفة التكنولوجية لدى كيميائيي بلاد الرافدين واعتمادهم اساليب خاصة بهم في تسجيل هذه المعارف التي لا يعرفها سواهم قد اذهلت الباحثين المحدثين فهناك مثلا، نص كيمياوي فريد من نوعه يعود تاريخه إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد، إذ يكشف هذا النص ليس فقط على انه يمثل أقدم وثيقة في صناعة الزجاج فحسب وانما أيضا يبين كيفية المحافظة على سر المهنة لدى كيميائيي العراق القديم[٤] ، وبعد ان تم فك رموز هذا النص من قبل العالمان (Gadd) جاد وطومسون ، تبين بأنه يحمل معاني غامضة ، كانت موضوعة قصدا من قبل صانعي المعادن

(١) ساكز ، هاري ، المصدر السابق ، ص٥٦٤.

(٢) الشيخ ، حسين ، اليونان ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص١٢.

(٣) ساكز ، هاري ، المصدر السابق ، ص٥٤١.

(٤) سارتون ، جورج ، تاريخ العلم، ج١ ، ترجمة : طه باقر ، المصدر السابق ، ص١٨٢.

والتكنولوجية الكيميائية في العراق القديم، إذ استخدم الكاتب الكلمة (abnu) التي تعني الحجر والتي كانت تكتب عادة بعلامات مقطعية ثلاثة ا- ب- ان (a-ba-an) (في حالة الاضافة) "غير ان التكنولوجيين القدماء كتبوا الكلمة مع ذلك بالمقاطع الثلاث (ha-bar-an) بهدف التمويه وكانت الكلمة التي كتبوها معروفة لديهم سرا بانها تمثل ((ha)a- ba(r) an) اي ان الكلمة المكتوبة كانت تعطي معنى خبران (habaran) بالنسبة للغرباء وهي كلمة غير مفهومة أو ذات معنى ، في حين كان الكيميائي ، ان صح التعبير، يقرؤها (a- ba- an) ويفهم المعنى المقصود منها"[١].

إذن يمكن القول بأن العراقيين القدماء قد استخدموا اساليب جد حديثة في تدوين معارفهم باستخدام اسلوب الشفرة في كتابة علومهم الكيميائية[٢] وهو اختراع لم تتوصل إليه حضارات أخرى كالحضارة الاغريقية مثلا التي لها تراث علمي كبير ومعروف .

ان تأثير بلاد الرافدين القديم خصوصا والشرق عموما على الحضارة اليونانية ثم الاوربية فيما بعد قد وصل اوج ذروته خلال العصر الهلنستي بعد غزو الاسكندر للشرق وبابل[٣] عندما اخذ اليونان وتعلموا أصول الكيمياء من علماء العراق ومصر وفينيقيا واندمجت هذه المعارف مع مدرسة الاسكندرية التي ورثت بابل كعاصمة للعالم القديم انذاك[٤] .

ان التأثيرات التي احدثها العلم الكيميائي لبلاد الرافدين في العالم اليوناني ابان العصر الهلنستي كان متحررا وغير متأثر بالشعوذة أو السحر أو تدخل الالهة[٥] .

ان السرية في العمل الكيميائي لدى العراقيين القدماء كانت من أهم الأسباب التي ادت إلى عدم معرفتنا باسماء علماء عراقيين على عكس بلاد اليونان الذين عرفوا بمشاهير علمائهم في الكيمياء، مثل الكيميائي هرمز الذي عاش خلال القرن الرابع قبل الميلاد وله كتاب باسم "هرمتك" ورغم الشكوك التي تدور حول شخصية هرمز أكانت موجودة أم غير موجودة الا ان اعماله تغلب عليها السرية التامة على غرار كيميائي العراق القديم[٦].

---

(١) ساكز ، هاري ، المصدر السابق ، ص ٥٤٠.

(٢) سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ٣١٠.

(٣) عبو ، عادل نجم ، علوم ، المصدر السابق ، ص٣٧٨.

(4) Dampier, W. G. , op. cit, p 77.

(٥) حبة ، فرج ، "الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم" ، سومر ، ج١+٢ ، مج ٢٥ ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص١٠٧-١٠٩.

(6) More. F.J.A history of chemistry , USA. 1939 , p.3.

وقد وضع الكاتب زوسيموس الذي عاش خلال القرن الثالث ق.م والذي له مؤلفات عديدة في هذا المجال جدولا قسم فيه المعارف إلى سبعة عناصر مشتقة من سبعة كواكب وهو تقسيم يشبه التقسيمات التي وضعها العراقيون القدماء فيما يخص تقسيم ايام الاسبوع والشهر وهو جدول يضم أول رموز استخدمت في الكيمياء والتي سميت بالرموز السرطانية(١).

الرمز	اسم المعدن	اليوم	الكوكب
	الذهب	الاحد	الشمس
	الفضة	الاثنين	القمر
	الحديد	الثلاثاء	المريخ
	الزئبق	الاربعاء	عطارد
	الخارصين	الخميس	المشتري
	النحاس	الجمعة	الزهرة
	الرصاص	السبت	زحل(٢)

يمكن إذن ان نستنتج بأن الاغريق استندوا في تطوير علومهم ومعارفهم على ما اقتبسوه من حضارات الشرق القديمة وخاصة حضارة بلاد الرافدين، ففي علم الكيمياء مثلا وكما سبق وان بينا ذلك اقتبس اليونانيين جملة من المعارف الكيميائية والتكنولوجية طالت حتى بعض المفردات اللغوية التي انتقلت إلى اللغة اليونانية ومنها إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوربية الحديثة، وقد تم ذلك بعد ان استوعب اليونانيون حضارة بلاد الرافدين وهضموها مما ادى بهم إلى إضافة نتاجات فكرية وعلمية قيمة اضافوها إلى التراث الانساني .

لم تقتصر اقتباسات الاغريق من بلاد الرافدين على علم الرياضيات والفلك والطب والكيمياء فحسب بل تخطتها إلى ابعد من ذلك لتشمل الاوزان والمكاييل والمعارف الجغرافية وعلمي الحيوان والنبات حيث ان "اغلب الظن ان مثل تلك القوائم لو وجدت لكشفت عن أصل شرقي لكثير من أسماء النبات أو الحيوان، ولاستطاع الباحث ان يستنتج ان اليونانيين عرفوا هذا العشب أو ذاك أو هذا الحيوان أو ذاك بفضل اتصالهم بالمصريين أو البابليين"(٣).

---

(١) الشكري ، جابر عزيز ، المصدر السابق ، ص٣٣٩ .

(2) Dampier W. G. , op, cit, p. 50-51.

(٣) سارتون ، جورج ، تاريخ العلم ، ج١ ، ترجمة : محمد سليم سالم ، المصدر السابق ، ص٢٦٥.

الفصل الخامس
تأثيرات بلاد الرافدين الحضارية في الحضارة اليونانية في مجال العلوم الانسانية

١. في مجال الادب : الملاحم والاساطير :

ان البحث في النتاجات والابداعات الفكرية ، العلمية منها والادبية لكل حضارة من الحضارات القديمة المعروفة لدينا يستوجب منا العودة إلى البدايات الاولى لنشوء الحضارة، أي بمعنى معرفة مدى أصالة هذه الحضارة أو تلك لنعرف مدى التأثيرات والاشعاعات التي تخلفها عبر العصور والاجيال في الحضارات الأخرى القريبة منها والبعيدة.

ان حضارة بلاد الرافدين القديمة – وكما هو معروف ، من الحضارات المهمة المعروفة بالاصالة والعراقة ، وقد أهلتها اصالتها واسبقيتها على الحضارات الأخرى لتحتل المركز الأول بين الحضارات القديمة في توسع وانتشار العناصر الحضارية التي خلفتها عبر العصور التاريخية والتي وصلت إلى اصقاع بعيدة من العالم القديم واثرت فيها تأثيرا ملحوظا وملموسا، إذن فهذه الحضارة هي اقدم الحضارات التي شهدها العالم القديم انذاك فهي تعود إلى الالف الرابع ق.م وما سائر الحضارات الأخرى العالمية المصرية، والهندية والكنعانية والاغريقية وغيرها الا النطاق الذي ارتبط بعلاقات حضارية مع بلاد الرافدين واخذ منها صنوف العناصر الحضارية[١]. إذ ان الاتصال الذي كان اكثره بصورة غير مباشرة بين بلاد الرافدين والعالم الايجي (بحرايجة) كان اتصالا له تاريخ طويل قبل عام ٧٣٠ ق.م.. وقد جاءتنا من الشرق الادنى مصادر مكتوبة تؤشر بأن المنطقتين معروفة لبعضها البعض منذ فترة طويلة قبل فترة التوجه الاغريقي نحو الشرق في القرن الرابع ق.م عندما تم الاعتراف بأن الثقافة الهيلينية بصورة عامة قد سقطت بشدة اكثر تحت تأثير الشرق الادنى وان اتصالات عديدة استمرت خلال الحرب الفارسية في العصور الهلنستية وبعد ذلك حتى عهد الامبراطورية الرومانية[٢].

ان هذه التأثيرات قد شملت الى جانب العلوم الصرفة مجالات الأدب والملاحم والاساطير وما النصوص المسمارية الكثيرة التي تعود إلى حضارة بلاد الرافدين والتي تم العثور عليها في مناطق

---

(١) حبي، يوسف ، "أصالة حضارة وادي الرافدين واثرها في الحضارات العالمية" ، مجلة افاق عربية ، عدد ٧-٩، بغداد ، ١٩٨١ ، ص٤٨ .

(2) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p. 85-86.

العراق القديم وبلدان الشرق الادنى والتي تخص الأدب الملحمي وما تحمله من شبه كبير للأدب اليوناني من العصور التالية إلا دليل على ذلك فقد كانت هذه النصوص تحتوي على اصناف شتى من الأدب الرافديني القديم(١).

فبعد دراسة النصوص المسمارية الكثيرة المكتشفة وجد الباحثون حالات تشابه أكثر فأكثر بين الادب الملحمي لبلاد الرافدين، خصوصا بين ملحمة كلكامش وبين الالياذة والاوديسة الاغريقيتين إلى درجة اصبحت هناك حاجة ملحة لمحاولة جديدة لتفسير كيف حدث مثل هذا التشابه(٢).

"ومن المؤكد كذلك ان أدب بلاد الرافدين مهد للأدب المصري وانه في الواقع اقدم أدب جاءتنا منه نماذج مدونة على حد رأي كريمر "(٣) وبالتالي فالادعاء القائل بأن الثقافة والأدب العالميين يدينان للتراث اليوناني وحده دون سواه هو ادعاء تم التراجع عنه بعد اكتشاف حضارة بلاد الرافدين القديمة والحضارة المصرية، إذ أثر التراث الرافديني "تأثيرا واضحا في الأدب الهيليني... والميثيولوجيا الاغريقية"(٤) "والآداب الاغريقية ذاتها متأثرة إلى حد بعيد بالآداب الرافدينية"(٥) الشيء الذي يقودنا إلى التحرر من عقدة ارجاع التراث العلمي والأدبي إلى اليونان وان ندرك بأن العبقرية المزدهرة قد اخذت اصولها من بابل ومصر(٦).

يوجد صنفين مهمين من الأدب الرافديني عرف طريقه إلى الأدب الاغريقي الهيليني ، الأول هو الأدب الملحمي الذي ابتدعه السومريون والبابليون والذي يتمثل في مجموعة من الملاحم الشعرية تجسدت في ملحمة كلكامش وملحمة (اينوما ايليش) وهي قصة الخليقة .

اما الصنف الثاني من هذا الأدب فهو الاساطير التي كانت تبحث في الظواهر الكونية مثل خلق الكون والحياة والموت والخصوبة والاجداب يحاول الإنسان من خلالها ان يوجد لهذه الظواهر تفسيرات وتعليلات عقلية ومنطقية عن طبيعة العلاقات القائمة فيما بينها ليتخذ منها موقفا واضحا، وهي اساطير تتطابق في افكارها وتفصيلاتها وتتشابه مع بعضها، فنجد مثلا اسطورة الطوفان الرافدينية وقصة خلق الإنسان من ماء وطين وروح إلهية وكذلك اسطورة دموزي وانانا

---

(١) بريتشكارد ، جيمس ، اساطير بابلية ، ترجمة : سلمان التكريتي ، النجف الاشرف ، ١٩٧٢ ، ص١٢-١٣.

(2) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p. 85.

(٣) سارتون ، جورج ، تاريخ العلم ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٢٠٦.

(٤) بريتشكارد ، جيمس ، المصدر السابق ، ص١٠-١٣.

(٥) اسعد ، سالم ، "التكوين في ميثيولوجيا الشعوب القديمة" ، بين النهرين ، م ٦ ، عدد ٢٤ ، الموصل ، ١٩٧٨ ، ص ٣٦٧.

(٦) محمد عبد القادر محمد ، الساميون في العصور القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص١٢.

(تموز وعشتار) البابلية التي نجد ما يماثلها في اسطورة افروديتي وقد دخلت هذه الاساطير إلى العالم الاغريقي عن طريق القبائل الفينيقية المتواجدة على الساحل السوري[١].

قبل الحديث عن تأثيرات ملحمة كلكامش في الأدب الاغريقي خصوصا ، والأدب العالمي بشكل عام لابد من تعريف لكلمة ملحمة ، التي شغلت بال وتفكير الباحثين والأدباء ، لغة فقد وردت في لسان العرب بانها "الوقعة العظيمة القتل وقيل موضع القتال...والجمع الملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى"[٢] مع ان لسان العرب لم يقدم المعنى الاصطلاحي لكلمة ملحمة في الاصناف الأدبية"[٣] ويعرف مؤلفو كتاب (A Handbook the Literature) الملحمة بانها "قصيدة سردية طويلة ذات اسلوب ضخم تقدم شخصيات رفيعة في سلسلة من المغامرات التي تشكل كلا متماسكا بارتباطها بشخصية مركزية ذات ابعاد بطولية وتكون الاحداث فيها مهمة لحياة شعب وتاريخه"[٤] إذن فهي تلك الملحمة التي كان بطلها السومري الاسطوري كلكامش وتعد من اعظم الاساطير العراقية القديمة دونت اول مرة باللغة السومرية ومن ثم ترجمت الى اللغة الاكدية وجاءت مكتوبة على اثني عشر رقيم طيني حسب النسخة المعروفة في العصر الاشوري والمكتشف في مكتبة اشور بانيبال في العاصمة نينوى. وهي بناء ادبي جميل رائع . وقد كشف عن كسر عدة من رقم الملحمة يرقى بعضها الى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد ، وشاعت الملحمة في المنطقة كلها ودخلت في اداب عدد من اللغات العادية الاخرى التي انتشرت في سوريا واندمجت مع القصص والاساطير الاخرى[*].

من الواضح ان مثل هذه القصص تحمل صدى الدعوات التوحيدية والسلالات السامية التي جاء بها الرسل والانبياء في العصور المبكرة مثل النبي نوح والنبي ابراهيم الخليل عليهما السلام ، الا انها تعرضت للاضافة والحذف والتمزيق عبر العصور وصيغت باسلوب ينسجم ومعتقدات القوم وقت تدوينها في الالف الثاني قبل الميلاد .

---

(١) يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، اليونان ، المصدر السابق ، ص٢٠-٢١ ، ينظر أيضا :
Graves, Robert, The Greek Myths, vol 2 , London, 1967 p 89.

(٢) الواسطي ، سلمان داود ، "ملحمة كلكامش العراقية ودورها الرائد في أدب الملاحم العالمي" ، مجلة اداب المستنصرية ، ج٨ ، عدد ٨ ، ١٩٨٤ ، ص٨١-٨٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(*) يمكن استخدام مصطلح اللغات العاربة بديلا عن مصطلح اللغات السامية أو الجزرية أو العربية القديمة وذلك استنادا إلى توصية المجمع العلمي العراقي الأخيرة بشأن هذه التسمية في حديث للأستاذ ، د. عامر سليمان عضو المجمع العلمي .

وترجمت هذه الملحمة في العصر الحاضر إلى عدة لغات صدرت عنها كتب عديدة وهي تسبق ملحمتا الاوديسة والالياذة الاغريقيتين بعشرات القرون وتم ترجمة هذه الملحمة إلى اللغة الانكليزية من طرف العالم الاثاري (ي. ن. ك. ساندز) حيث اكد بعد ان قام بدراسة مقارنة بينهما بوجود تقارب كبير إلى درجة انه اقر بأن كاتب الملحمتين ، وهو هومر ، قد اقتبس بعضا من ملحمة كلكامش ويستند في ذلك على الناحية الجغرافية والتاريخية[١].

يتجلى لنا تأثير ملحمة كلكامش في الالياذة والاوديسة من خلال التشابه والتماثل في الخطوط العامة والملامح التي تجمع بطلي القصة كلكامش في القصة البابلية وأخيل في القصة الاغريقية حيث يتجسد العنصر الالهي في كلا البطلين بواسطة الام. فنجد (ننسون) الالهة الام لكلكامش في حين نجد (ثيتس) الالهة الام لأخيل بطل القصة الاغريقية حيث كان لكل منهما صديق وخليل فقد كان بروتوكلس (protoclus) يمثل صديق أخيل في حين ان انكيدو كان خليل كلكامش كما يشبه كل منهما لصاحبه[٢].

ويوجد تشابه اخر في كلا القصتين بين (اوديسوس) وكلكامش فيما يخص رحلة كل واحد منهما فقد سافر كلكامش إلى جده (اوتو – نبشتم) ليعرف منه سر الخلود في الوقت الذي رجع اوديسوس نحو موطنه بعد ان انهى حرب طراودة[٣] وكما بكى كلكامش صديقة انكيدو فان بطل القصة الاغريقية المسمى أخيل بكى صديقه بروتوكلس ، كما تتماثل حالة اوديسي وكلكامش عند وصول كل واحد منهما إلى حيث يريد فقد كانت حالة اوديسي متأزمة للغاية حزين القلب عند عودته وهي نفس الحالة التي عاد بها كلكامش عندما لقي جده (اوتو–نبشتم) واشتكى له عن سبب حزنه المتمثل في موت صديقه الحميم انكيدو، كما استاء أخيل وحزن كثيرا لانه أخفق في انقاذ اصدقائه من الموت[٤]. ودخل في حزن عميق على صديقه ورفيقه في السلاح بروتوكلس حيث اخذ يلطم وجهه ويلوث ملابسه ويلقي بنفسه على الأرض إذ يمكن ان نورد بعض المقتطفات من الالياذة وملحمة كلكامش فيما يخص هذا الجانب لنقف على اوجه الشبه بين القصتين، وهذا نص يبين حال البطل كلكامش في ملحمته بعد موت انكيدو [٥] :

عند ذلك برقع صديقه كالعروس

واخذ يزار حوله كالأسد

(١) س ، هـ ، ج ، مجلة الطليعة الأدبية ، عدد ٥-٧ ، ١٩٧٦ ، ص١٢٢.

(٢) باقر ، طه ، لمحات ، المصدر السابق ، ص ٢١.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص ٣٣-٣٤.

(٥) الواسطي ، سلمان داود ، المصدر السابق ، ص٨٩.

وكاللبوة التي اختطف منها أشبالها

وصار يروح ويجيء أمام الفراش وهو ينظر إليه

وينتف شعره ويرميه على الأرض

مزق ثيابه الجميلة ورماها وكأنها اشياء نجسة[١]

وهذا وصف حالة بطل الالياذة أخيل بعد موت رفيقه بروتوكلس حيث جاء في القصة : "عندما سمع "أخيل" الخبر غرق في الاعماق السود لليأس ، تناول الرماد الاسود بكتا يديه ونثره على رأسه وعفر وجهه الصبوح به ولوث قميصه المعطر النظيف بذراته القذرة، ثم ألقى بنفسه على الأرض واخذ يتمرغ وكأنه عملاق صريع وهو يكلل شعره بالرماد وينتفه بكلتا يديه ..."[٢].

وهكذا يتضح لنا بان مشكلة الموت في كلتا الملحمتين قد مثلت دافع مشترك لكلا البطلين ودفعتهما لتحديد هدفهما وان كانت مختلفة، حيث كان هدف كلكامش بعد موت رفيقه انكيدو هو مواصلة مغامرة الرحلة بحثا عن الخلود الأبدي، في حين مثل موت (بروتوكلس) بالنسبة لأخيل بداية رحلة العودة نحو الهدف الذي تراجع عنه في البداية وهو مواصلة الصراع والحرب[٣].

اما إذا عدنا إلى وضع مقارنة بين قصة البطل هرقل وكلكامش لوجدنا تشابها كبيرا بين الاثنين ايضا ، وتاثر القصة الاولى بالثانية فكلاهما من أصل إلهي وكل واحد منهما اتخذ له خليلا وصاحبا ايضا ، وكان السبب في جلب الكوارث إلى كل منهما امرأة، الالهة عشتار بالنسبة إلى جلجامش ودينيريا (Deianeria) أو الالهة هيرا بالنسبة لهرقل وكلاهما قتل الاسود وتغلب على الثيران السماوية المقدسة[٤] . وقد كان كلكامش يرتدي جلد الأسد وكذلك كان هرقل يحمل معه دائما جلد أسد[٥].

وردت في الالياذة بعض الاحداث المشابهة لها في قصة كلكامش وتعكس تأثير الأدب الملحمي لبلاد الرافدين على الأدب الاغريقي، في جوانب متعددة وتعتبر احداث قصة حصار طراودة والوركاء متماثلة ومتشابهة، وتأثر الاولى بالثانية، ففي الالياذة (اكا ممنون) القائد الذي حاصر طراودة من اجل استرجاع الاميرة هيلين زوجة الملك مينيلاوس بعد تعرضها لعملية اختطاف من قبل نجل ملك طراودة المدعو (بريام) وقد حوصرت طراودة بسبب خيانة وقعت اثناء الحصار، وهذه القصة لها ما يشابهها في قصة (اكا وكلكامش) السومرية والصراع الذي جمع كلكامش حاكم مدينة الوركاء واكا الذي كان يحكم مدينة كيش ، وقد حاصر اكا مدينة الوركاء مثلما حاصر (اكا ممنون) طروادة، الا ان مصير

---

(١) باقر ، طه ، ملحمة كلكامش ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) الواسطي ، سلمان داود ، المصدر السابق ، ص٨٩.

(٣) المصدر نفسه .

(4) Graver, R. , op . cit. PP. 88-89 .

(٥) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٣٤.

المدينتين كان مختلفا ففي الوقت الذي دمرت فيه طروادة، نجد كلكامش حاكم الوركاء يعقد صلحا مع اكا ويكسب وده وصداقته بدون حدوث حرب بينهما[١].

لقد وردت احداث في قصة كلكامش لها شبه كبير بما جاء في اسطورة يونانية، ومفاد هذه القصة ان كلكامش سرقت منه حية النبات السحري الذي عن طريقه تستطيع تجديد شبابها دائما كل عام ولذلك اعتبرت الحية رمز الحياة والشباب والطب، ان الحية في ملحمة كلكامش هي الثعبان في القصة اليونانية ذلك الثعبان الذي سرق هو أيضا هذا النبات الذي يجدد الحياة دوما فتكون القصة اليونانية قد أستمدت من احداث قصة كلكامش[٢] وليس هذا فحسب بل ان التشابه في الملحمتين يظهر كذلك في (البانثيون) وهو مجمع الآلهة، فالبانثيون الاغريقي "تأثر تأثرا كبيرا بالبانثيون العراقي القديم الذي تفصله ملحمة أو اسطورة الخليقة البابلية"[٣] فقد جاء في كتاب (انساب الآلهة) (Theogony) للمؤلف الاغريقي هزيود (Hesiod) المعاصر لهوميروس "ان انساب آلهة الاغريق ومواصفاتهم وواجبات كل منهم تشبه انساب الآلهة العراقية القديمة ومواصفاتهم وواجباتهم"[٤] ويظهر ذلك في تشابه الاسماء في كلا الملحمتين فآلهة الحب لدى السومريين هي انانا وهي عشتار عند البابليين ، وهي باسم افروديت عند الاغريق ونينوس لدى الرومان ولذلك ففكرة انشاء الهة للحب هي "فكرة عراقية قبل ان تكون اغريقية"[٥].

كان ابطال الالياذة وكلكامش يدركون بانهم ذاهبون إلى الموت لا محالة وان الالهة التي خلقت هذا العالم والبشر قدر لها ان تعيش ابدا كما قدر على هذا البشر ان يموت بارادة الآلهة وقد جاءتنا اختام اسطوانية تصور اعمال كلكامش كما هو الحال بالنسبة لهركليس ، في القصة اليونانية الالياذة[٦].

وفي اسطورة العقرب العملاق اليونانية نطالع كيف ان (اوريون الجبار) (oreon) قد مات بسبب هذا العقرب عندما كان ينوي الرحيل إلى مطلع الشمس، وقد لقي كلكامش في طريقه إلى حيث يوجد جده اوتو – نبشتم مخلوقات اسطورية مكونة من (إنسان وعقرب) في (الممر الجبلي) الذي من خلاله تعبر الشمس[٧].

---

(١) الواسطي ، سلمان ، داود ، المصدر السابق ، ص٨٧.

(٢) باقر ، طه ، لمحات ، المصدر السابق ، ص٢٢.

(٣) الواسطي ، سلمان داود ، المصدر السابق ، ص٨٨ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٣٥.

(٧) باقر ، طه ، لمحات ، المصدر السابق ، ص٢٢.

لقد قتل كلكامش (خمبابا) الذي كان يحرس الآلهة كما تخلص من الثور السماوي ورفض عدم الانصياع لرغبات عشتار بعد ان لعنها واطلق عليها نعوت سيئة وقد قام (يوليسيز) في الاوديسة الاغريقية بعمل بطولي مشابه لهذا فقد قضى على ابن اله البحر بعد ان احتقر الآلهة كلها ورمى ارادتها وراء ظهره الا ان (يوليسيز) على غرار كلكامش اصبح على كاهله عب ثقيل في تحمل مسؤولياته الانسانية الجسام المتمثلة في صراعه ضد الموت والحصول على سر الخلود كما اكتشف كلكامش هذه الحقيقة وابعادها من جده اوتو- نبشتم الذي حدثه قائلا[١] :

"ان الموت قاس لا يرحم

هل بنينا بيتا يقوم إلى الابد ؟

وهل ختمنا عقدا يدوم إلى الابد ؟

وهل يقتسم الاخوة ميراثهم ليبقى إلى آخر الدهر ؟

وهل تبقى البغضاء في الأرض إلى الابد ؟

وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام ؟

والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل اجلها.

ولم يكن دوام وخلود منذ القدم"[٢].

وتتناظر هذه القصة مع قصة(ليسيز) الاغريقية حيث ينصحه العراف (تايرسياس) وتؤكد له حتمية الموت مع تخفيف رهبته عليه فجاء في النص كما يلي :

"سوف يأتيك الموت من البحر بأكثر اشكاله رفقا ، وعندما يقبضك الموت ستكون قد انهكتك السنين بعد عمر طويل بين شعب يعيش برخاء"[٣] .

"ان الاغريق مدينون للعراقيين القدماء في وضعهم الأسس لبعض النظريات التي تتعلق بأصل الكون من الاساطير العراقية القديمة. فقد استغلوا قصص البابليين عن الخلق وأصل الكون في وضع نظرية طاليس الملطي القائلة بان الماء أصل العالم"[٤].

ان الملاحم والاساطير التي ابدعها الفكر الرافديني تجسد لنا بوضوح الواقعية التي كان يعيشها المجتمع انذاك ومن المؤكد ان هذه الملاحم والاساطير، (السومرية و البابلية والاشورية) كانت تعكس جوانب مهمة من الحياة العامة ولاسيما فيما يتعلق بعلاقة

---

(١) الواسطي ، سلمان ، داود ، المصدر السابق ، ص٩٤.

(٢) باقر ، طه ، ملحمة كلكامش ، المصدر السابق ، ص١٢٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص٩٥.

(٤) صالح ، محمد صبري ، المسرح العراقي القديم ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١١٦ .

البشر بالآلهة[1] وقد تلقفت الحضارة الاغريقية في بعض نتاجاتها الفكرية هذه الافكار من بلاد الرافدين فنجد إضافة إلى ملحمة كلكامش ودورها في الأدب الملحمي العالمي ولاسيما منه اليوناني، نجد كذلك الاساطير التي ابدعها الإنسان العراقي القديم والتي امتدت وانتشرت في اصقاع أخرى من العالم القديم . (ينظر شكل ١٣) .

"فالاساطير اعمق ما ابدعه الإنسان لاسيما في العصور السالفة فهي رؤية مستنيرة ، وتأمل عميق وعصارة فكر ناضج وقد وصل إلى مستوى الفلسفة والنبوءة وبحق نقول : ان معيار الحضارات القديمة خاصة عمق اساطيرها بابعادها وافاقها... واقدم هذه الاساطير ما جاء لدى سكان بلاد الرافدين"[2] ، وجاء في اساطير الخليقة البابلية عدة قصص نجد لها ما يشابهها في بلاد اليونان وتعتبر اسطورة التنين من تراث بلاد الرافدين الحضاري الجذاب والبارز، اذ لها ما يرادفها في الحضارة اليونانية . فالتنين في القصة العراقية القديمة هو العفريت (خمبابا أو خواوا) أو الثعبان الذي تتجسد فيه قوى الشر والنار الذي يقطن في الغابة ويقتل كل من يقترب منه وهو بذلك يمثل الموت والفناء وشيطان العالم السفلي، في الاساطير السومرية ، كما في اسطورة ايتانا والنسر واسطورة (حينما في العلى) وهي (اينوما–ايليش)[3] وهذه الاخيرة نجدها جلية في الاسطورة اليونانية عندما قامت مجموعة من الالهة الشباب بثورة على الالهة الكبار وهو نوع من صراع الاجيال بين الآلهة وقد ادى ذلك إلى مقتل (كروتوس) سيد الآلهة بيد ابنه (زيوس) أو (جوبيتر) الذي اصبح بعد هذه الحادثة سيد الآلهة وكبيرها واعتلى عرش جبل اولمبس[4].

ونطالع في الاساطير اليونانية ما مفاده ان جبابرة السماء قد تم هزمهم عن طريق هركليس بعدما قاد ضدهم هجوما ردهم على اعقابهم وهو نفس الاسلوب الذي توخاه مردوك في القضاء على العفاريت وجنود تيامت وكل من تحالف معها في هذه الملحمة ، كما نجد كلا من مردوك وهركليس قد اكلا نباتا سحريا منحهم القوة والغلبة كما جاء ذلك في الاسطورتين[5] "فقصة الخليقة البابلية (اينوما ايليش– حينما في العلى) اوضحت خلق الإنسان من قبل اله واحد هو مردوك الذي صنعه من دم

---

(١) مهدي ، محمد علي ، "الملاحم والاساطير في العراق القديم" ، افاق عربية ، عدد ١٢ ، ١٩٨٦ ، ص١١٠–١١١.

(٢) حبي ، يوسف ، "اسطورة التنين وأثرها في الحضارات العالمية " ، سومر ، ج١ و ٢ ، عدد ٥٨، ١٩٨٥، ص١٦٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٦٩–١٧٠.

(٤) حبي ، يوسف ، "اسطورة التنين السومرية وامتدادها عبر العصور" ، مجلة التراث الشعبي ، عدد ٥ ، بغداد ١٩٩٧ ١٩٩٧ ، ص١٠٥ .

(٥) الراضي ، ابتهاج عمر طاهر ، "التأثير العراقي القديم في الاساطير اليونانية – الرومانية " ، مجلة التراث الشعبي ، عدد ٨–٩ ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص٢٩.

الربة تيامت"[١] وهذا ما نجده في الاساطير اليونانية عندما تمكن برومثيوس من صنع إنسان من طين، فبدء الكون في قصة اينوما ايليش، يبدأ بالظلمة والقتامة وهو نفس التصور الذي نجده في الاساطير اليونانية .

لقد مثل القدر في الفكر العراقي القديم حجر الزاوية في معتقداتهم فأسموه (الشبمتام شامي) فالاشياء لديهم تخضع للقدر المحتوم الذي تفرضه ارادة الالهة على البشر الذي "نجده واضح المعالم في الالياذة والاوديسة"[٢] .

نقرا في اسطورة نركال وايريشكيكال البابلية كيف ان الأول لم يبدي احتراما لارباب العالم السفلي عندما كانوا مجتمعين فاغتاضت ايريشكيكال الهة العالم السفلي وغضبت من هذا العمل وطلبت من الآلهة ان تقتل نركال ولكن هذا الاخير فوت الفرصة عليها بان وجه انذارا شديد اللهجة لارباب العالم السفلي وعددهم اربعة عشر وانفرد بايريشكيكال وتخلص بزواجه منها وهذه القصة لها ما يماثلها في قصة الاوديسة الاغريقية "عندما هدد اوديسي ان يذبح سرسي بسيفه وخافت واخذت تعرض عليه حبها"[٣].

لقد تأثر الاغريق أيضا بقصة اله الخصب تموز فهو يغادر الحياة في فصل الصيف ويموت ثم يعود إلى الحياة مرة أخرى في فصل الربيع، فبمماته يحل القحط والجفاف العالم السفلي ويبدي الناس اسى وحزنا على افتقاده في الوقت الذي يحتفلون ويفرحون بعودته إلى الحياة في فصل الربيع ويقيمون له الاعياد والمناسبات وقد خصصوا له عيدا اسموه (اكيتو) في قصص العالم القديم الأخرى فهو عند المصريين اوزيريس وادونيس لدى السوريين والفلسطينيين في حين نجده اتنيس في اسيا الصغرى وديونيسوس في معتقدات اليونانيين والرومان[٤] .

وبالنسبة لنزول عشتار (انانا) إلى العالم السفلي للقاء الإله دموزي في معتقدات العراقيين القدماء، والتي كانت السبب الاساسي في تعاسته وشقائه ، فهي بمثابة افروديت في الاسطورة الاغريقية[٥].

وجاءتنا أسطورة خاصة بحكايات ايسوب (Aesop) الاغريقية من مدينة ساموس خلال القرن السادس قبل الميلاد التي جاءتنا عن طريق ديموقريطس من ابدير

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٩-٣٠.

(٣) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٣٦.

(٤) الراضي ، ابتهاج عمر طاهر ، المصدر السابق ، ص ٣٠-٣١.

(٥) سليمان ، عامر وعلي ، فاض عبد الواحد ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، جامعة الموصل ، ١٩٧٩ ، ص ١٨٨-١٨٩.

(٤٦٠-٣٧٠ق.م) حين يبدو تأثر هذه القصة بما جاء في حكايات الحكيم الاشوري احيقار من زمن الملك سنحاريب تكشف قصة ايسوب عن الحكمة التي تجلت في الفكر الرافديني الذي استمد منه ديموقريطس مبادءه الاخلاقية وقد وصلت درجة التأثير هذه إلى حد تسمية ايسوب (احيقار اليوناني) وقد عرفت هذه القصة رواجا لا في بلاد اليونان وحدها وانما إلى أمم أخرى مجاورة لبلاد الرافدين[١].

ويظهر تأثير قصة الطوفان البابلية واضحا أيضا في القصة الاغريقية فبطل الطوفان الاغريقي (ديوكاليون) يقوم بنفس الدور الذي قام به (اوتو نبشتم) بطل قصة الطوفان البابلية ، وقد شمل هذا التشابه أيضا شخصيات في كلا القصتين وتصميم الآلهة واصرارها في تنفيذ مخططاتها التي ترمي إلى افناء الإنسان والقضاء على العالم بواسطة الطوفان[٢] فقد تحدث بيروسس (Berossos) في ملحمة الخليقة البابلية عن قصة الطوفان... وقد قام لوسيان باقتباسه لهذه القصة[٣].

ان وجود مثل حالات التشابه هذه، سواء أكان ذلك في الأسماء أو الملامح العامة لا يترك اي مجال للشك في الاعتقاد بان ثقافة المايسينيين الروحية ومن بعدهم اليونان الهوميريون والكلاسيكيون مدينة بشكل كبير للاقوام العاربة ولمعلميهم في بلاد الرافدين[٤].

ان اقتباس الاغريق لمظاهر الحضارة البابلية- الاشورية لم يكن اقتباسا غير مباشر وحسب –لعبت فيه الحضارات الوسيطة دورا اساسا في نقل الحضارة إلى العالم الاغريقي – بل ان التواجد اليوناني المباشر في بلاد الرافدين خلال احتلال الاسكندر لبابل قد لعب دورا أكثر عمقا في انتقال المؤثرات الحضارية إلى بلاد اليونان بصفة مباشرة، ذلك انه مع مسيرة الاسكندر نحو بابل والحكم اللاحق للسلوقيين هناك فان اتصالا متكرراً بين الاغريق وبلاد الرافدين تاكد بشكل واضح وان الاهتمام الاغريقي اوضح نفسه في البحث الاثاري، حول تاريخ وجغرافية المنطقة، وان الشاعر (Kallimachos) ناقش موضوع دجلة والفرات في كتابه (نهر العالم) وان الدراسات العلمية لاوفراستوس (the ophrastos) سوف تنتفع من المعرفة الواسعة للمواد النباتية والجيولوجية ومن مجموعة من الاعمال البابلية حول النبات والصخور التي قام بتجميعها زملاء ارسطو فغزوات الاسكندر والتجميع الدوؤب للمعرفة الذي قام به واستقباله للرسل الاجانب في بابل قد ادت لاول مرة

(١) الاحمد ، سامي ، سعيد ، حضارات ، المصدر السابق، ص٣٩.

(٢) الراضي ، ابتهاج عمر ، طاهر ، المصدر السابق ، ص٣٠.

(3) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p 113 .

(4) Astour , M. , op. cit , p 323 .

إلى انشاء ارتباط مباشر بين اليونان وبابل وان رحلاته ادت إلى ظهور القصة الرومانسية للاسكندر والتي فيها مواقف من الملحمة البابلية قد امتزجت بمادة اغريقية[١].

وقد لعبت التراجم في عصر الاسكندر والسلوقيين دورا حاسما في نقل الآداب والفنون التي وجدوها في المدارس والمعابد البابلية والاشورية إلى اللغة اليونانية[٢].

ان ترجمة كتب الآداب والمعرفة للعراقيين القدماء من طرف المفكرين اليونان لم يقتصر على فترة من فترات التاريخ فحسب أو عصر من العصور التاريخية وإنما كذلك امتد ليشمل مختلف هذه العهود والعصور ، فالفترة الاكدية مثلا شهدت عدة ترجمات مهمة ، فخدمة الترجمة من الاكدية إلى الاغريقية ضرورية ، وفي هذا الوقت فالكثير من التسجيلات احتفظ بها بالاكدية والارامية وفي العصر الهلنستي بعد الاسكندر في عهد بطليموس فلاديلفوس قام هذا الاخير بترجمة الاعمال البابلية وكذلك الاعمال المصرية إلى الاغريقية لغرض استخدامها في المكتبة وتوفيرها بالاغريقية على قاعدة منتظمة في المكتبة الشهيرة في الاسكندرية[٣].

وهناك دليل مؤكد يشير بان بعض الاداب البابلية وصلت إلى اليونان في ترجمة جاءت من عمل داماسكيوس (Domaskios) ، وهو فيلسوف افلاطوني جديد من سوريا في القرن الخامس والسادس الميلادي ، ومن المحتمل ان هذا العمل الذي شمل شرحا لملحمة الخليقة البابلية يعطي أسماء صحيحة للآلهة البابلية وقد كان الملوك الاغريق في بابل عندما يشاركون في احتفال السنة الجديدة ويحتفلون بها في اوقات مختلفة من السنة في مدن مختلفة كانوا يقراون نصوصا من ملحمة الخليقة البابلية[٤]. ان الحضارة الاغريقية تدين بالشيء الكثير إلى حضارة بلاد الرافدين ومنها اسطورة سمير اميس فقد جاء في المصادر اليونانية "عن ولادة الآلهة السمكة دركيتوربة عسقلان في فلسطين وكيف انها تركتها على شاطئ احدى البحيرات وظل الحمام يرعاها حتى راها وتبناها ثم زوجها من "اونس" ومرة عشقها الملك فقتل زوجها ، ولما عرفت هي ذلك ظلت تتوسل بالملك لان يمنحها السلطة ليوم واحد فقط فلما منحها امرت بالقضاء عليه وقتلته"[٥] .

ان هذه الاسطورة تتماثل في شخصياتها مع ما جاء في قصة بلاد الرافدين ، ان الوحش الذي جاء في هذه القصة هو "أونس" في القصة اليونانية وقد كان اعتقاد العراقيين القدماء بان هذا الوحش قد جاء من البحر الاسفل الذي هو خليج البصرة المطل على الخليج العربي وعندما منحها زوجها

---

(1) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p.112 .

(٢) صالح ، محمد صبري ، المصدر السابق ، ص١١٦.

(3) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p.111-113 .

(4) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p. 110-111 .

(٥) الراضي ، ابتهاج ، عمر طاهر ، المصدر السابق ، ص ٤٣-٤٤ .

السلطة السياسية لمدة يوم واحد فهو بذلك يشابه لما جاء في حضارة بلاد الرافدين حول الملك البديل الذي حدث خلال العصر الاشوري عندما يتم اختيار شخص ليتولى العرش الملكي خلال مائة يوم ينوب فيها عن الملك عندما يكون هناك تنبؤ وفال سيء على هذا الملك وقد اطلق على هذا المنصب الجديد للملك البديل في اللغة الاشورية اسم (شاربوخي) "ملك عوض"[(١)].

ان هذه الرواية الاغريقية والتي نشأت بصورة رئيسة في المدن التي اصبحت هيلينية في الاناضول يمكن ان يعود الفضل فيها لاشور وان الشخصيات الرئيسة للقصة الرومانسية (Ninos) وهي اقدم رواية موجودة وتم تاريخها الان على انها تعود إلى القرن الأول ق.م تقريبا[(٢)].

ان الاسكندر المقدوني نجده يسير عل بعض التقاليد البابلية بادخاله الممارسات العراقية القديمة في بلدان أخرى وقد سجل لنا بلوتارخ (plutarch) قصة مثيرة تشير بان الاسكندر قام بترقية قائد عسكري اسمه ابداليميموس (Abdalonymos) إلى ان يصبح ملك بافوس (paphos) في قبرص، وان القصة على افتراض انها تشتق من فهم معقد لمراسيم التعويض الملكي الذي يتم فيه وضع رجل معين مكان الملك حتى تنتهي فترة الخطر . وان الحالة الشهيرة جدا لهذا قد دونت في السجل التاريخي البابلي للملك (Erra-Imitti) الذي مات في حادثة وان البديل له واسمه (Enlilbani) الذي وان كان بستانيا أصبح ملكا حقيقيا بدلا منه وحكم مدة تزيد عن عشرين سنة.

وان الاشكال الأخرى للاتصال تمثل استمرار الممارسات القديمة اكثر حتى في نهاية الفترة السلوقية فان التصميم البابلي كان يشق طريقه في اليونان متلافي اولمبيا (olympia)[(٣)] لذلك يمكن القول ان الاسماء العراقية القديمة والموضوعات احيانا تصبح خالدة في الشروحات الاغريقية وكذلك الرومانية[(٤)].

ان الأدب الذي ابدعه الفكر العراقي القديم يعد من ارقى الآداب العالمية القديمة المعروفة في العالم انذاك فقد مثل بالنسبة للامم والحضارات الأخرى المرجعية الاساسية التي لا بديل عنها في استقاء الافكار والمعتقدات الروحية المختلفة فقد نجد هذه النتاجات الفكرية في مآثر اليهود والفرس والكنعانيين والاغريق وغيرهم من سائر الأمم والشعوب ، فقد شكل هذا الفكر الأدبي العريق انموذجا

---

(١) المصدر نفسه .

(2) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p.118 .

(3) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p 113 .

(4) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p. 119 .

مبتكرا (عالج المشاكل الانسانية) المعقدة إلتي تتصل بالانسان واساليب معتقداته، وقد كان الاغريق من بين الأمم التي اخذت هذه المبتكرات[١] .

ان تأثير هذه العناصر التقليدية لآداب بلاد الرافدين على التأليف الاغريقي هو من المسائل المهمة ورغم الصعوبات التي تكمن وراء تتبع هذه التأثيرات الا انها وجدت طريقها للآداب الاغريقية وخصوصا في العصر الهلنستي ، وان النص التالي الذي يروي حكاية سومرية اسمها تموز (Dumuzi) يمكن مقارنتها مع أية قصيدة رعوية هلنستية :

"اختي ليتزوجك الراعي

ايتها الفتاة انانا (inanna) لماذا لا ترغبين ؟

سمن الراعي جيد، حليبه جيد

الراعي كل شي تمسه يد الراعي لامع

يا انانا لتتزوجي الراعي تموز (Dumuzi)

ايتها... لماذا لا ترغبين؟"[٢].

٢. في الكتابة واللغة :

ان الاصالة التي تتمتع بها حضارة بلاد الرافدين هي من المميزات الخاصة التي تتطبع بها هذه الحضارة ، وهذه الخصوصية الاصيلة المتميزة ، هي التي بوأتها لان تحتل الصدارة الاولى ضمن الحضارات الاصيلة المعروفة في العالم "ومن الدليل على قدم حضارة بلاد الرافدين ان الوثائق المعروفة باسم الواح (تل العمارنة).... مكتوبة بالخط المسماري وباللغة البابلية...على ان اللغة البابلية صارت في ذلك العصر لغة الدبلوماسية الدولية"[٣] أما الخاصية الاساسية التي تميزت بها حضارة بلاد الرافدين على الحضارات الاصيلة الأخرى والتي رفعتها إلى مستوى ارقى من هذه الحضارات ، هي ابتداعها الكتابة وسيلة للتدوين ، وقد عد المؤرخون هذا الاختراع مثلا لثورة معرفية كبيرة ، انتقل بموجبها الإنسان العراقي القديم إلى العصور التاريخية التي لم يسبقه اليها أي إنسان اخر في العالم القديم "فكانت الكتابة اشبه بالقارب الذي انتقلت بواسطته جميع تلك العلوم والمعارف إلى الاجيال التالية والى اماكن أخرى غير بلاد سومر واكد"[٤] وقد اطلق المؤرخون على هذه الكتابة ، اسم الكتابة

---

(١) كرومي ، كيورك مرزينا ، "ملامح في الفكر العراقي القديم" ، اداب الرافدين ، كلية الآداب ، عدد ٩ ، جامعة الموصل ، ١٩٧٨ ، ص١٠٣.

(2) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p 113 .

(٣) سارتون ، جورج ، تاريخ العلم ، ج١ ، ترجمة : محمد سليم سالم ، المصدر السابق ، ص١٤٩-١٥٠.

(٤) سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٢٦٣.

المسمارية وقد ظهرت في حدود ٣٥٠٠ ق.م عندما جاءت على شكل علامات صورية[١] تطورت إلى علامات رمزية في طورها الثاني ، ثم إلى علامات مقطعية أو صوتية في الطور الثالث والاخير من تطور هذه الكتابة عبر العصور التاريخية في بلاد الرافدين[٢] "والكتابة إذن هي الترجمة الاولى لفكر الإنسان بما يحتويه من معارف وخبر عملية مهنية كانت أم تطبيقية"[٣] .

ان المرحلة التي كانت فيها الكلمات لا تزال بصورة رئيسة من النوع الذي استنتجناه والتي تضع معاني الجهد الانساني إلى اقصى حد، لابد ان تكون مرحلة استمرت مئة أو مئات الالاف وتركت اثارها التي لا يمكن ان تخطى خلال العصور الطويلة[٤].

تعرفنا في المبحث المتعلق بالوسائط والطرق التي انتقلت عن طريقها العناصر الحضارية إلى بلاد اليونان وبينا الدور الفعال الذي قامت به الحضارات الوسيطة في نقل نتاجات هذه الحضارة ، ولقد كان الفينيقون والكنعانيون والاناضوليون والحثيون من الأمم القديمة الذين احتكوا باليونانيين الاغارقة واثروا وتأثروا بهم كما كان لهم نفس هذا الدور مع سكان بلاد الرافدين الذين اخذوا عنهم جملة من الخصائص الحضارية من أهمها هي الكتابة المسمارية[٥]. معنى ذلك ان اليونانيين يدينون للشرق وبلاد الرافدين خصوصا في معرفة الكتابة، فالحروف الابجدية دخلت بلاد اليونان في حدود القرن الثامن ق.م عن طريق الفنيقيين الذين كانوا المخترعين الأوائل للكتابة الابجدية وهذا ما حفز الاغريق لكتابة التاريخ[٦] .

ان الدليل الذي يشير بان الكتابة المسمارية على الطين قد استعملت في منطقة البحر المتوسط في جبيل والالاخ مثلا يجعل من الممكن القول ان الخط A (آ) ، وهو الخط الذي لا يزال لم يتم حله، هو السابق للخط (B) (ب) (خط استعمل للكتابة الاغريقية المايسينية) قد تطور في كريت تحت تأثير الشرق الادنى خلال هذا الوقت (الالف الثالث ق م) ، وان التجار الاشوريين استعملوا صيغة مبسطة للخط المسماري واستخدموا ٦٨ علامة تقريبا وأكثرها ذات قيم مقطعية بسيطة والكتابة من اليسار إلى اليمين على الواح طينية وعادة مع قواعد فصل الخطوط، وان الخط (A) بصورة مشابهة كان يكتب على الواح طين من اليسار إلى اليمين مع قواعد الخط واستخدام ١٠٠ علامة تقريبا واكثرها له قيمة مقطعية بسيطة، وكما هو الحال في العراق[٧]. اما في سوريا والاناضول فان الالواح الطينية

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) سارتون ، جورج ، تاريخ العلم ، ج١ ، ترجمة : محمد سليم سالم ، المصدر السابق ، ص١٥٣-١٥٥.

(٣) الجادر ، وليد ، المصدر السابق ، ص٢٦.

(4) Diamond , A. S . L L . D , The History and origin of language, London , 1959 , P.220.

(5) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p 88 .

(٦) عبو ، عادل نجم وعبد المنعم رشاد محمد ، المصدر السابق ، ص٢١٨.

(7) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p 88 .

وبالخط A والخط B قد تم تجفيفها بالشمس وان طرائق الكتابة هذه يمكن ان تكون قد انتشرت من العراق إلى كريت والى الاغارقة المايسينيون ، وان مناقشة هذا التأثير تقع بصورة كبيرة على معرفتنا بان الختم والكتابة بدأت في بلاد الرافدين اقدم من منطقة ايجه مثلما هي المدن والقصور التي تطلبت الاختام والكتابة(١). (ينظر شكل ١٤) .

ان النقوش الاثرية الاكدية التي تعود إلى حدود القرن الثامن عشر ق م والتي تم العثور عليها في جزيرة كيثيرا وهي جزيرة كريت وان ذكر (Kaphtor) (kap – ta- ra) في الوثائق المعاصرة من ماري تؤكد العلاقات المتبادلة بين جزيرة كريت وبلاد الرافدين عن طريق مدن ساحل شمال سوريا(٢) "وقد اظهر اليونانيون براعة فائقة في تحوير الكتابة بصورة تلائم خصائص لغتهم"(٣) وان عددا كبيرا بصورة بارزة من الكلمات المستعملة لاحقا في الاغريقية الابجدية للاوزان والمقاييس والسلع التجارية هي كلمات عاربية ورغم ان ليست جميعا بالضرورة اكدية ، اذ ان بعضها لا يمكن تمييزه عن الكنعانية أو الفينيقية فانها توضح ان الاغريق المبكرين قد التقوا وتأثروا بالمجتمعات التجارية الموجودة منذ فترة طويلة في الشرق(٤) .

إذن فالعالم الاغريقي والعالم العاربي شكل دائرة مشتركة ، حيث نعتقد بان هذا التشابه الاساسي والتطور المتشابه لحياة الدولة للعاربة الغربيين والاغريق سببها الاحوال الجغرافية والسياسية المتشابهة(٥).

نلمس التأثير اللغوي الرافديني على نظيره اليوناني من خلال بعض المفردات اللغوية التي نجدها في اللغة اليونانية ولابد ان تكون هناك علاقة بين الحرف (ina) أو (ana) الاكدية و "الحرف en اليوناني أو in اللاتيني ومعناه (في) وللحرف انا (ana) بالاكدية معنى متشابه مع الحرف انا في اللاتينية ، كذلك نلمس هذا التشابه بين الكلمة الاكدية (Magae) والكلمة ميكال – وس اليونانية"(٦).

تشير العديد من النصوص الأدبية التي تم العثور عليها في بلاد اليونان (في منطقة كنوسوس) في فترة حكم الامبراطور الروماني نيرون (٥٤–٦٨ م) ان دانيوس الذي هو من أصل فينيقي ادخل الخط والكتابة الى بلاد اليونان، حيث يتوفر اقتناع بان بعض اللغات التي تعود الى الاقوام العاربة

---

(1) Ibid.

(2) Astour , M. C, op. cit. p. 227 .

(٣) محمود عياد ، كامل ، المصدر السابق ، ج١، ص١٣٣.

(4) Dalley, S. , and A. T. Reyes, op. cit, p.90 .

(5) Astour , M. , C, op. cit., p. 359-360 .

(٦) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٤٠.

الشمالية الغربية قد عرفت طريقها إلى الحروف واللغة اليونانية واستعملت بين (٦٠٠-٣٠٠ ق.م)[١].

"على ان أهم شي كان له اعمق الأثر في الحضارة اليونانية وتطورها الفكري السريع هو اقتباس الحروف الابجدية وان الكتابة الفينيقية قد استمدت عناصرها من الخطين المصري والبابلي"[٢] وفي الفترة الهلنستية تم العثور على مجموعة غير اعتيادية من الالواح قد تم تجميعها مؤخرا من مجموعة مبعثرة بين المجموعات في عدة متاحف ، وكل لوح يضم كتابة مسمارية بابلية على أحد وجهيه بخط ابجدي اغريقي اما الوجه الآخر فانه يضم الشبه الفينيقي له... وان جميع النصوص تبدو انها تنتمي إلى المنهج الاكديمي المسماري لانها تضم قوائم معجمية ومناهج دراسية وقطع أدبية وانها لا تضم سجلات وعقود يومية ورغم انها غير مؤرخة يعتقد انتهاءها إلى الفترة السلوقية أو حتى الفارثية ويمكن ان توضح ان الاغريق يحاولون تعلم نصوص كلدية كتابة[٣].

٣. في التدوين التاريخي والفكر الجغرافي :

يجمع الباحثون على ان الفضل الكبير في ابتداع الكتابة وسيلة للتدوين يعود إلى العراقيين القدماء لانه عن ايديهم تعلمت الانسانية كيف تكتب تاريخها[٤].

والمعروف ان التدوين التاريخي مر بمراحل مختلفة في حضارة بلاد الرافدين، فمنذ منتصف الالف الرابع ظهرت للوجود اولى المحاولات للتدوين، ورغم ان هذه المحاولات لم تكن الغاية منها هي التاريخ وتدوين الاخبار الا انها شكلت الأساس الذي قامت عليه المدونات التاريخية فيما بعد فهي قد سبقت مدونات هيرودوتس التاريخية بحوالي الفي سنة ، رغم افتقارها إلى الوعي التاريخي بمفهومه الحديث القائم على قواعد التدوين التاريخي الا انه يمكن القول بانهم كانوا يملكون حسا تاريخيا في تدوين واجباتهم ومعارفهم المختلفة[٥] "وقد ذهب البعض إلى الاعتقاد بان الاشوريين يعتبرون أول من ادخل فن الكتابة التاريخية"[٦] وقد خصصت لنا المكتبة التي انشأها الملك الاشوري ، اشور بانيبال والتي سميت باسمه مجموعة عديدة من النصوص المسمارية المختلفة والتي تحكي ماثر القوم وتحفظ

---

(١) المصدر نفسه ، ص٤٢.

(٢) محمود ، عياد كامل ، المصدر السابق ، ص١٣٢ .

(3) Dalley , S. and A. T. Reyes , op . cit , p.40 .

(٤) علي ، فاضل عبد الواحد ، مجلة الاقلام ، عدد٦ ، جمهورية العراق ، ١٩٩٩، ص٦.

(٥) سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٢٩٢.

(٦) الاحمد ، سامي سعيد ، "كتابة التاريخ عند الاشوريين في العصر السرجوني ، (٧٤٧-٦١٢ ق م)" ، سومر عدد١-٢ ، ١٩٦٩ ، ص٤٥.

لنا تراثهم الفكري والأدبي ، هذا وتم العثور كذلك على كثير من الالواح المسمارية خارج أرض الرافدين والتي تعكس مظاهر الحضارة الرافدينية ومنها التدوين التاريخي[١].

وقد عرف العالم الايجي هذه المؤثرات في التدوين وحفظ المعارف، وعمل الاغريق والايجيون على تدوين تلك الثقافة وروح النقد التي كانت اساسا لنمو الفلسفة والادب والكتابة التاريخية الاغريقية التي سبقت التدوين التاريخي لهيرودوتس بزمن طويل[٢]. (ينظر شكل ١٥) .

لقد شهد العراق خلال الحكم السلوقي (٣١٢-١٢٦ق.م) انتعاشا ونهضة فكرية وعلمية كبيرتين وقد اصابت هذه النهضة مختلف العلوم ومن بينها التدوين التاريخي ، حيث ظهرت خلال هذه الحقبة مجموعة من المؤرخين البابليين المرموقين الذين كانت لهم ابداعات متميزة[٣] في هذا المجال ونذكر منهم المؤرخ البابلي بيروسس وبلسان الاغريق بيروسس وبالارامية بيرحوشا وبرعوث ، يعد من ابرز كهنة معبد الإله مردوك، وكتب تاريخ بابل في مجلدات ثلاث باللغة الاغريقية وقام باهدائه إلى انطيوخس الأول، حيث تناول في كتاباته هذه جملة من الحقائق عندما اعتبر بان عالم الفكر العراقي القديم والحضارة تتجسد بالحضارة البابلية[٤] . "ففي عهد انطيوخس الأول (٢٨٠-٢٦١ ق.م) جاءنا نموذج من التدوين التاريخي يسجل بعض الحوادث المعاصرة من ذلك بعض المدن البابلية مثل بابل وكوثي وبورسيبا"[٥] ويعد بيروسس أول من كتب في تاريخ بلاد الرافدين ، إلا ان كتاباته لم تكن أولى المدونات التاريخية، وقد استند في كتابة تاريخه الى مجموعة من النصوص المسمارية التي كانت مودعة في المعابد البابلية وهي تعتبر من المصادر المكتوبة باللغتين السومرية والاكدية وبالتالي تكون معلوماته جد موثوقة[٦] وتكون السجلات البابلية التي اعتمد عليها قد حافظ على اسلوبها الذي تميزت به[٧] "لقد اخذ بيروسس تاريخه مباشرة من كتابات بابل لان الاغريق يذكرون هذه الكتابات التي طالت طالت شهرتها وذاعت"[٨].

---

(١) علي ، فاضل عبد الواحد ، مجلة الاقلام ، المصدر السابق ، ص٧.

(٢) الطائي ، ابتهال ، أصالة الحضارة العراقية، وأثرها في الحضارات الأخرى في مجال العلوم الانسانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩٦ ، ص ١٣٧.

(٣) باقر ، طه ، المقدمة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٢٥٤.

(٤) الجادر ، وليد ، المصدر السابق ، ص٢٤.

(٥) باقر ، طه، المقدمة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٢٥٤.

(6) Sollberg , E, The Babylonian legend of the flood, 3th ed. London, 1971 , P11 .

(٧) بارنز ، هادي المر ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ترجمة : محمد عبد الرحمن برج ، القاهرة ، ١٩٨٤، ص ٣٥.

(٨) لوبون ، غوستاف ، حضارة بابل واشور ، ط١ ، ترجمة : محمود خيرت المحامي ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٤٦-٤٧.

نظرا لاهمية المؤلفات التي الفها المؤرخ البابلي بيروسس فقد وجدت شهرة واسعة وانتشارا عريضا بين المفكرين والكتاب اليونانيين في الفترة الهلنستية(١).

ولذلك عمل هؤلاء على ان يقتفوا الخطوات التي اتبعها بيروسس في تدوينه للتاريخ عندما تمكن بعض المؤرخين الكلاسيكيين الاغريق من الاقتباس عنه والاخذ بما جاء في مؤلفاته(٢) ومن بين هؤلاء هؤلاء المؤرخين الاسكندر بول هيستر الذي عاش خلال القرن الأول قبل الميلاد(٣) وقد تتلمذ على يد بيروسس جملة من المؤرخين المعروفين من الاغريق مثل ابيدنيوس (القرن الثالث ق.م) الذي خلف تراثا ضخما في التدوين التاريخي نقلها مؤرخون اخرون من بعده مثل يوسبيوس (القرن الثالث الميلادي)(٤).

اما في مجال الفكر الجغرافي فان التأثيرات الرافدينية واضحة المعالم في هذا المجال فقد جاءتنا جملة من الخرائط الجغرافية التي تعود إلى القرن ٦ ق.م من مدينة نفر توضح بان العراقيين القدماء كانت لديهم معرفة بالجغرافية فقد تصوروا ان الأرض دائرية الشكل محاطة بمحيط سماوي يدور في دائرة ثانية حول الأرض وهو يخترق نهر الفرات من الشمال إلى الجنوب وقد كانت مدينة بابل مرسومة على هذه الخريطة في شكل مستطيل تمثل المركز(٥). (ينظر شكل ١٦) .

ان هذا التصور القائل بان الارض دائرية وهي على شكل جزيرة محاطة بالمياه من كل الجهات نجده في التصور اليوناني الروماني للارض الذين قلدوا هذا الاعتقاد وساروا عليه ومثلما جعل العراقيون القدماء بابل مركز الكون فقد جعل اليونان جبل اولمبس مركز العالم مثلما عد الرومان روما مركز الدنيا فيما بعد(٦).

وان خارطة للعالم لدى الاغريق يمكن ان تكون مشابهة لخارطة العالم المسمارية في القرن الثامن أو بداية القرن السابع ق.م . وعندما سخر هيرودوتس من صانعي الخرائط الاغريق الذين

---

(١) نادفي ، سيد مظفر الدين ، التاريخ الجغرافي للقران الكريم ، ترجمة : د. عبد الشافي غنيم عبد القادر ، القاهرة ، ١٩٥٦، ص١٤٣.

(٢) الاحمد ، سامي سعيد ، سمير اميس ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص١٦٨.

(3) Sollberg , op , cit. p, 11 .

(٤) بارنز ، هادي المر ، المصدر السابق ، ص٣٦.

(٥) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٧٠.

(٦) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٧١.

اظهروا المحيط وكأنه نهر حول أرض دائرية تامة فانه لم يكن يعلم انهم قد اتبعوا تقليد بلاد الرافدين[1].

كان البابليون يحملون كثيرا من هذه الافكار التي ابدعوها واورثوها العالم القديم فقد خلفوا لنا خرائط متأخرة في مدن عديدة مثل خريطة مدينة نيبور التي تم العثور عليها عام ١٨٩٨م وخريطة للعالم من تنقيبات مدينة سبار[2].

وخلال القرن السادس ق.م جاءتنا خرائط من مدينة ميليتوس (ملطية) باسيا الصغرى وهي مدينة يونانية ووضع انا كسيمندر خارطة تؤكد بانها مستعارة من العراق القديم ، هذا فضلا عن ان هو ميروس قد وضع صورة للعالم على هيئة قرص محاط ببحر كبير وهي نفس الفكرة تقريبا عن الأرض في بلاد الرافدين، وقد اوردت الاوديسة الاغريقية جملة من المعلومات الجغرافية ثبت بانها مأخوذة من المصادر الفينيقية وخاصة فيما يتعلق بالأساطير "وظل المفكرون اليونانيون الجغرافيون يحملون في تصورهم للعالم نفس النظرة التي كان ينظر اليها البابليون"[3] .

واستمر هذا التأثر إلى الفترة الهلنستية بعد سيطرة اليونانيين على الشرق القديم وبابل ويظهر ذلك من خلال كتابات الجغرافيين الاغريق الذين دخلوا بابل أثر حملات الاسكندر العسكرية واستقروا هناك حتى بعد وفاته وتقسيم امبراطوريته بين قواده الثلاثة البارزين، فقد اعادت مسيرة الاسكندر الاهتمام بالجغرافية الذي بدأ به هيكاتيوس (Hecataeus) وهيرودوتس (Herodotus) وان قائده البحري نيارخوس (Nearchus) (٣٢٥ ق.م) كتب رسالة حول رحلته البحرية من الهند إلى بابل[4].

وهكذا يكون الجغرافيون الاغريق الذين كانوا متواجدين في الاسكندرية وبابل خلال التواجد اليوناني هناك كانوا على اطلاع ودراية كبيرة بما خلفه جغرافيو البلدين القدماء من معلومات جغرافية كانت لها تأثيرات ايجابية على جغرافية اليونان[5].

---

(1) Dalley , S. and A. T. Reyes , op . cit , p. 104 .

(٢) كبيرا ، ادوارد ، المصدر السابق ، ص١٨٤-١٨٧.

(٣) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٧٢.

(4) Caldwell , Wallage Everett , The Ancient world,. Vol. I , New york, 1959 p. 316.

(٥) فضيل ، عبد خليل وابراهيم عبد الجبار المشهداني ، الفكر الجغرافي ، جامعة بغداد ، ص١٠٢ .

٤. في المعتقدات الدينية والفلسفة :

إلى فترة ليست ببعيدة كان الاعتقاد السائد لدى أوساط دارسي التاريخ والحضارة بأن الحضارة الاغريقية هي اقدم الحضارات واكثرها أصالة وإبداعا وما الحضارات الأخرى سوى ناقلة ومقتبسة لما انتجته هذه الحضارة الا انه بعد ان اجريت التنقيبات في العراق والوطن العربي تبين أن هذا الادعاء ليس له أسس تاريخية فقد أثبتت التحريات الأثرية بالأدلة الدامغة والملموسة بأن اقدم الحضارات قامت في الوطن العربي وتبين أيضا أن الحضارة العراقية القديمة هي اقدم هذه الحضارات ولم تعرف اقتباسا سابقا عليها حضاريا من أية حضارة أخرى معروفة في العالم. وذكرنا سالفا بأن تأثيرات الحضارة العراقية القديمة قد انتشرت في أصقاع بعيدة من العالم القديم وامتدت إلى بلاد اليونان وتعد المعتقدات الدينية من عبادة الآلهة واقامة الطقوس والشعائر الدينية والنظام الكهنوتي من أهم المؤثرات التي دخلت بلاد اليونان عبر وسائل مختلفة في حقب تاريخية متعددة[١].

عرفت بلاد الرافدين اولى المعتقدات الدينية ، فالانسان العراقي القديم، قد اولى عناية خاصة لعباده الآلهة واقامة الطقوس الدينية للتقرب إليها والاستعانة بها في حياته العملية وفي نفس الوقت أبدى تجاهها رهبة وخوفا من غضبها ولعنتها ، فصنع لها نماذج من أصنام واحجار وفخار وظن ان الآلهة لها دورا فعالا في خصوبة الأرض وتكاثر الحيوانات ونمو النباتات ، وقد ظهرت اولى هذه المعتقدات في شمال العراق في قرى زراعية مثل قرية جرمو الواقعة في شمال العراق بمحافظة كركوك وقرية حسونة في شمال العراق أيضا بمحافظة نينوى . لقد تطورت هذه المعتقدات شيئا فشيئا واخذت تتبلور في طقوس وتتجسد هذه الالهة في هيئات مختلفة اخذت مظاهر طبيعية متعددة استمدت قوى خارقة منحها اياها تصور الإنسان القديم ولذلك اصبحت الشمس والقمر والسماء والامطار والرياح والانهار والينابيع والامراض والحروب وما إلى ذلك من هذه المظاهر لها اهمية اساسية وجوهرية في حياة الإنسان ومعتقداته[٢] .

شهدت هذه الافكار في أواخر الالف الثالث وبداية الالف الثاني وخصوصا في فترة سلالة اور الثالثة انتشارا واسعا في العالم القديم ادى إلى رسوخ الديانات فيها واستمرار التأثير البابلي حتى العصر الهلنستي .

---

(١) الدباغ ، تقي ، "تأثير حضارات الوطن العربي في الحضارة اليونانية في العصر الهيليني في الدين" ، بين النهرين ، عدد ٦٨، ١٩٨٩، ص٢٣.

(٢) الدباغ ، تقي ، تأثير ، المصدر السابق ، ص٢٤.

وجاءتنا نصوص مسمارية تعود لمدة السيطرة السلوقية من مدينة الوركاء تقدم لنا توضيحات قيمة لهذه الفترة وامتدت حتى مدة السيطرة الفارثية، فخلال هذه الحقب التاريخية عبدت نفس الآلهة وحملت أسماء مثل ، انو ، انليل وانتو وايا وسين وشمش واداد ومردوك وعشتار [١].

ان المعتقدات الدينية في بلاد الاغريق لها ما يشابهها في معتقدات بلاد الرافدين ويكمن هذا الشبه في "المراسيم الخاصة بالاموات وبعقائد ما بعد الموت وبالقرابين والنذور والصلوات والاعياد والاحتفالات وبالأصنام والمعابد ، واساس هذا التشابه هو اقتباس بلاد اليونان من اقطار الوطن العربي مع وجود اختلافات في التفاصيل التي تخص هذه المعتقدات والطقوس والشعائر ، فمن حيث النقاط الاساسية تلتقي الديانة الاغريقية مع ديانة سكان بلاد الرافدين خاصة فيما يتعلق بخلق الكون وولادة الآلهة وصلاحياتها وموتها ثم انبعاثها من جديد كما تشترك المعتقدات الدينية لكلا المنطقتين في حادثة الطوفان وتمجيد الاشخاص الموالين للسلطة ، كما تتشابه هذه الديانات الوثنية بالشرك والاعتقاد بآلهة متعددة تتصف بصفات بشرية وبالخلود والموت"[٢] وغير ذلك .

تعد عبادة الالهة الام من العبادات القديمة لسكان العراق القديم وتعود ادلتنا على ذلك الى عصر جرمو وقد تم العثور على ما يؤيد وجود هذه الادلة في مواقع معينة في بلاد اليونان ، ومثال على ذلك الربة الام ريا (Rhea) وهي أم الإله زيوس وزوجة كرونوس في المعتقدات الاغريقية بجزيرة كريت وبذلك تكون الآلهة الام لبلاد الرافدين لها ما يماثلها في بلاد اليونان[٣] .

يقول افلاطون في محاورته المسماة "ابينوميس (Epinomis) أن كل ما اقتبسه الاغريق من البربر حولوه وطوروه بالنهاية بشكل اجمل مما كان عليه في السابق"[٤] .

يقصد افلاطون بالبربر سكان الشرق ذوو الحضارة العريقة والاصيلة الذين لهم باع طويل في الابداع والتفوق ، والذين علموا الغرب أصول الاشياء ومفاهيمها وقد اشارت محاورة افلاطون أيضا بكل وضوح إلى المنطلقات والبدايات الاولى لاقتباس الاغريق ونقلهم عناصر الحضارة من الكلديين وذلك بواسطة الشعوب والاقوام الوسيطة[٥] .

---

(١) بترو ، جون ، الديانة عند البابليين ، ترجمة : وليد الجادر ، ١٩٧٠ ، ص١٦٥.

(٢) الدباغ ، تقي ، تأثير ، المصدر السابق ، ص٢٤-٢٥.

(٣) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٤٦.

(٤) بترو، جون ، المصدر السابق ، ص١٦٧.

(٥) المصدر نفسه .

كانت الآلهة عشتار في معتقدات العراقيين القدماء تجسد الهة الحب والحرب معا وهي ترمز للخصب والنماء والعطاء، وطقوس هذه الآلهة تشبه الطقوس القائمة في بلاد اليونان الخاصة بالآلهة ديميترو[١].

ان حرق البخور في المعابد وممارسات التطهير في تقديم القرابين للآلهة هي عادات كانت معروفة في بلاد بابل ومصر وقد اقتبس الاغريق هذه العادة بداية من العصر الهوميري لان الاغريق لم يعرفوا هذه الطقوس قبل هذا العصر وانما اخذوه من بابل[٢].

لقد تأثر الاغريق أيضا بعبادة الآلهة البابلية، فقد كانت بعض الالهة الاغريقية تعبد في اثينا وكريت وبقية المدن اليونانية الأخرى وهي في الحقيقة تعود بأصولها إلى بابل وان اخذت أسماء اغريقية مثل الآلهة افروديت والإله أبولو وغيرهم، فقد اشار هيرودوتس بأن الاعتقاد الديني بافروديت الكيثيرية نسبة إلى جزيرة (Kythera) اليونانية كان اعتقادا اشوريا وان البوسانياس (pausanias) اعتقدوا بافروديت كان الاشوريون هم الذين عبدوا (ourania) (افروديت) وبعد الاشوريين عبدها البافيونيون (Paphians) في قبرص وكذلك الفنيقيون الذين عاشوا حول عسقلون (Ashkelon) في فلسطين وانهم قد تعلموا من الفنيقيين عبادتها[٣] هناك روايات عديدة حول أصل افروديت ففي رواية لهوميروس نجد افروديت هي ابنة زيوس من ديوني (Dione) ذات الأصل اليوناني في حين تقول رواية أخرى لهزيود ان الآلهة افروديت خرجت من زبد البحر بعد ان امتزج بعضو ذكر اورانوس اله السماء ، بيد ان هاتين الروايتين لا أساس لها من الصحة "والحقيقة التي لا يرقى اليها الشك هي ان افروديت ليست الا عشتار ربة البابليين والاشوريين والتي عرفت بعشترت لدى الكنعانيين"[٤] ولذلك فأن اسم افروديت اليوناني ليس سوى الاسم العاربي[*] لعشتار التي عبدها العراقيون القدماء حيث تجسدت فيها قوى الخير والشر في ان واحد فكان الإله "دموزي" السومري يمثل عشيقها الابدي عبر العصور وهو "تموز" لدى البابليين وهو اسم سومري قديم له معنى "ابن المياه العذبة الحقة" وقدسه الكنعانيون وعبدوه تحت اسم "ادون" ومعناها "سيد" وقد تلقف اليونان هذا الاسم أيضا فعبدوه باسم ادونيس (Adonis) وفي كتابات المؤرخين اليونان مثل هيرودوتس وباوسنياس كثيرا ما اشاروا إلى ان افروديت تعود إلى أصول شرقية حتى ان البطالمة في العصر الهلنستي كانوا يقيمون

---

(١) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٤٧.

(٢) الدباغ ، تقي ، تأثير ، المصدر السابق ، ص٢٦.

(3) Dalley, S. and, Reyes, A.T. Reyes , op. cit., p 88.

(٤) احمد ، علي عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص٢٧٨-٢٧٩.

(*) اصطلح على تسمية الاقوام التي خرجت فعلا من شبه الجزيرة العربية وانتشرت في بلاد الشام وبلاد الرافدين بالعرب القدماء وسميت عائلة لغاتهم، اي العربية والاكدية والارامية... الخ، باللغات العاربة ، نسبة إلى اقدم من سكن شبه الجزيرة العربية كما ورد ذلك في كتب الأنساب العربية .

لادونيس أعيادا واحتفالات صاخبة في الاسكندرية تحت اسم ادونيا (Adoneia) ومعناه عيد ادونيس الذي يتم فيه اجراء الزواج المقدس بين الإلهين افروديت وادونيس[١] وفي القرن الرابع قبل الميلاد صنع الاغريق تماثيل للالهة افروديت وكان النحات الشهير براكسيتيلس (Praxiteles) قد ابدع في نحت تمثال لعبادة الالهة وقد ظهرت في العصر الهلنستي والعصر الروماني فيما بعد نماذج متعددة من التماثيل المختلفة تحاكي تمثال الآلهة افروديت[٢].

ان مما لاشك فيه ان الكثير من اشكال المراسيم والعبادات البابلية استمرت حتى العصر القديم المتأخر[٣]. في الفترة الهلنستية وما بعدها .

إضافة إلى ما ذكرناه حول الأصل البابلي للآلهة افروديت ، يعتبر الإله ابولو (Appolon) من المعبودات الاساسية في معتقدات الاغريق القدماء ، فقد كان يمثل لديهم آلهة اولمبس العليا وهو المجسد الحقيقي للارادة والروح الهيلينيتين ، ان أصول الإله ابولو مثله مثل الالهة افروديت تشوبه اختلافات حول موطنه الاصلي . فمنهم من قال بأنه أصل اغريقي مشتق من كلمة تعني (حظائر الغنم) وبالتالي يكون اله الرعي أو قد يكون مشتقا من أصل الكلمة (الاجتماعات العامة) التي ظهرت لدى الاسبارطيين والدوريين بمعنى (ابلا) (Apella) اما الرأي الآخر فيذهب إلى ان أبولو جاء من لفظ يعني شجرة الجوز السوداء التي تعود باصولها أيضا إلى المعتقدات اليونانية الاولى "لكن هناك الان ما يشبه الاجماع على ان ابولو إله اجنبي (أي غربي يوناني) وفد من الخارج على بلاد الاغريق"[٤] رغم ان هناك رأي مؤداه بأن اصله شرقي جاء من اسيا الصغرى (الاناضول) ودخل بلاد الاغريق عن طريق ايونيا[٥].

انه رغم هذه الآراء المتعددة حول المنشأ الأول الذي جاء منه الإله ابولو الا أن الحقائق التاريخية تؤكد بأن أصول هذا الإله شرقي يعود إلى بابل حيث يقول البروفسور نيلسون "ان هذا الإله يرتبط برقم سبعة إذ ولد في اليوم السابع ، وكانت اعياده تقام عادة في هذا اليوم ورقم سبعة رقم مقدس عند البابليين كما يتبين من التقويم البابلي ، ولا يستبعد نيلسون ان تكون عبادة أبولو قد نشأت اصلا في بابل ثم انتشرت من هناك إلى اسيا الصغرى فبلاد الاغريق"[٦]. (ينظر شكل ١٧) .

---

(١) احمد ، علي عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص٢٨٠-٢٨٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٨٧.

(3) Dalley, S. , and A. T. Reyes , op. cit., p. 120.

(٤) احمد ، علي عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص٢٩٤ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه ، ص٣٠٤.

لقد استمرت هذه المعتقدات إلى الفترة الهلنستية حيث تداخلت المعتقدات الدينية العراقية القديمة مع المعتقدات الدينية للاغريق واصبحنا امام دين شرقي وغربي مختلط سمي بالدين الهلنستي حيث كانت فيه التأثيرات الدينية لبلاد الرافدين واضحة المعالم واشد عمقا في ديانة الاغريق ، فبالنسبة للإله ابولو مثلا نجد بأن اليونانيين في عهد السلوقيين في العراق قد اقاموا له الصلوات والدعاء والطقوس "فالشخص الاغريقي اتبع تقاليد العبادة لانها موروثة له من اسلافه" ، "في حين وجد الحكام السلوقيون في العراق والشام ضالتهم المنشودة في ابولو اله الحكمة والمعرفة واعتبروه الههم الخاص الحامي ، واشتهر سلوقس نفسه بنسبه إليه وانه كان ابنه وحمل بنفسه رمزه وهو المرساة"(١).

ففي فترة حكم الملك سلوقس عام ٢٨١ ق.م صدر قانون في نفس العام اعترف بسلوقس حفيد للإله ابولو حيث جسد هذا القانون السمو والشرف الإلهي الكبير الذي حصل عليه الملك سلوقس كما تم بموجب ذلك بناء معابد دينية يعبد فيها هذا الإله ووضعت له طقوس خاصة به(٢).

لقد تم العثور في مدينة الحضر على كتابة مثلت أهمية كبيرة وامدتنا بمعلومات هامة عن المعتقدات الدينية في هذه الفترة ، فقد اشارت بوجود الإله نبو الذي عرفته بلاد الرافدين منذ العصر الاكدي وسلالة اور الثالثة والعصر البابلي القديم باسم (نابوم) واخذ اسم (نابو) ونبو (Nebo) في العهد القديم ولدى الاغريق ونبو وهو الابن البكر لمرودوك ومعبده الرئيس (Ezida) في بورسيبا فقد اكدت التحريات الاثرية بأن الإله نبو في الحضر يتطابق مع الإله ابولو عند السلوقيين وعرف باسم هرمز باعتباره رسول الإله "ويذكر سترابو بأن معبد بورسيبا كان مكرسا لعبادة ارتمس وابولو – نابو وهذا التطابق بين ابولو ونابو يرجع إلى تشابه صيغتهما من مجموعة الآلهة"(٣) فهذا الاله في اللغة الاغريقية يحمل اسم (Apollinari) حيث يترجم للغة الآرامية باسم (برنبو) .

ان هذا التطابق في عبادة الإله أبولو يعتبر نتيجة طبيعية باعتبار ان الديانات الشرقية لها تأثير واضح على المعتقدات الدينية الاغريقية ، وقد امتد هذا التأثير "ليشمل أيضا تشكيل مجاميع الآلهة إلى ازواج أو تثليث"(٤) واحيانا يندمج اله واحد في أكثر من تثليث واحد .

اشرنا سابقا إلى أصول وطبيعة الاعياد الدينية التي كان العراقيون القدماء يقومون بها لاحياء ذكراهم الدينية وتمجيد آلهتهم وقد كانت هذه الاعياد تعكس طبيعة الاجراءات والطقوس التي كانت تؤدى للإلهين في عيد زواجهما المقدس الذي مثل فصل الربيع المناسبة الاحتفالية الاساسية والدورية

---

(١) الصالحي ، واثق اسماعيل ، "المعتقدات الدينية في فترة الاحتلال الاخميني والسلوقي والفرثي"، موسوعة الموصل الحضارية ، مج١ ، ط١ ، جامعة الموصل ، ص٣١٨-٣٢٠.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الصالحي ، واثق اسماعيل ، "الاله نبو في الحضر" ، سومر، ج١ و ٢ ، مج ٤١ ، عدد ٥٨ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٨٢.

(٤) المصدر نفسه .

بعد ان كان هذا الاحتفال يتصف بطابع استقلالي فريد، وقد خصص العراقيون القدماء بيوت خاصة تقام فيها الولائم والاحتفالات بهذه المناسبة حيث كان (بيت اكيتو)[*] يمثل المكان الذي تتم فيه مراسيم الاحتفال بالزواج المقدس بين الاله تموز والآلهة عشتار[١].

لقد كان العراقيون القدماء يقيمون اعيادهم بمناسبة زواج الإله تموز بالآلهة عشتار حيث كانت ايام العيد تستغرق اثني عشرة يوما وهي تساوي عدد اشهر السنة ويبدأ في نيسان مع اطلالة الهلال وهنا يظهر لنا الصراع المحتدم بين قوى الطبيعة وعناصر الحياة التي تخرج إلى الوجود في فصل الربيع[٢]. ان هذه المراسيم والاحتفالات بالاعياد الدينية في العراق القديم نجد ما يشابهها في الاحتفالات بالاعياد الدينية في بلاد اليونان وهو ما يمكننا ان نستنتج بان هنالك مؤثرات في هذا الجانب قد دخلت إلى بلاد اليونان جاءت من بلاد الرافدين قصة تموز في العراق القديم نجدها هي نفسها (اوزيريس) في المعتقدات اليونانية كما اشار إلى ذلك المؤرخ هيرودوتس (القرن الخامس ق.م) كما اخذت الآلهة اليونانية "هيرا" مواصفات الالهة العراقية (عشتار) وعلاقة الاولى (بديونيسوس) والثانية بتموز حيث مثلت الاحتفالات الدينية في فصل الربيع لكليهما وجهين لعملة واحدة عراقية في اصولها وجذورها[٣] اما التراتيل والترانيم والصلوات الدينية العراقية القديمة فهي مشابهة لما هو موجود لدى الاغريق وقد اقتبس الاغريق بعض من هذه الطقوس[٤].

يمكن القول بان طقوس الزواج المقدس كانت في اطوارها الاولى بدائية... ولكنها بمرور الزمن اصبحت دراما طقوسية جاءتنا نصوص مسمارية من بعض المدن العراقية القديمة تكشف لنا عن بعض من هذه المضامين الاحتفالية في مراسيم الزواج المقدس واقامة الاحتفالات والولائم الكبرى كان الزواج المقدس ينتهي عادة باقامة احتفال جماهيري كبير ووليمة كبرى حيث جاءتنا قصيدة سومرية يصور فيها الشاعر كيف ان الملك ادن– دكان كان يشارك في اقامة هذه الاحتفالات[٥].

(*) ومعناها "محل استنزال المطر" فحرف (آ) يعني ماء باللغة السومرية و (كي) تعني الأرض اما (تي) فمعناها "يقرب" أو "يستنزل" وبذلك تحصل على أصل الكلمة الذي هو " آ–كي–تي" حيث كانت تجري الاحتفالات في هذه البيوت في مدن عديدة من العراق القديم، مثل الوركاء وأور وبابل وآشور : انظر أيضا: راجحة النعيمي، الاعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين ، بغداد ، ١٩٧١ .

(١) الاحمد ، سامي سعيد ، المعتقدات في العراق القديم ، بغداد ، ١٩٨٨، ص٤٧–٥٢ ؛ وكذلك ينظر أيضا : ماجد عبد الله الشمس : أعياد الربيع في العراق القديم و (أصل النوروز) ، بغداد ٢٠٠٠، ص٣٢.

(٢) الشمس ، ماجد عبد الله ، المصدر السابق ، ص٣٢–٣٦.

(٣) الشمس ، ماجد عبد الله ، المصدر السابق ، ص٤٧.

(٤) الدباغ ، تقي ، تأثير ، المصدر السابق ، ص٣٠.

(٥) علي ، فاضل عبد الواحد ، "تموز واعياد الخصب عند السومريين" ، افاق عربية ، عدد ٧–٨ ، ١٩٩٩، ص١٩–٢١.

اما في الفترة الهلنستية وفيما يتعلق بمشاركة الإله نابو ابن الإله مردوك باحتفالات السنة الجديدة في مدينة بابل فقد اخذها السلوقيون وطبقوها في معبوداتهم في بابل وسلوقية على نهر دجلة فيما بعد. كما ظهرت طقوس احتفالية من هذا النوع في مدينة تدمر فظهرت آلهة رئيسة في هذه الفترة مثل، وبل ، وعجلول ، وهرقل ونركال يشاركها الاله نابو في هذه الاحتفالات الصاخبة وهو "يحمل القيثارة" و "تظهر في الزي التدمري الشرقي"(١) وان الاسكندر والملوك السلوقيين شاركوا في المراسيم الملكية البابلية التقليدية متأكدين ان هذه تمت المحافظة عليها ودراستها تحت الرعاية الملكية وان المسؤولين الاغريق اتخذوا اسلوب بلاد الرافدين للملكية وشاركوا في مهرجان السنة الجديدة(٢) لقد التقت الاعياد والاحتفالات الدينية العراقية القديمة مع الاعياد والاحتفالات الدينية الاغريقية " وعلى الرغم من الجلال والعظمة والطقسية وكل الصفات المهيبة المصاحبة لتلك الاحتفالات الا انها لم تكن مقصودة تجاه ارساء دعائم حركة مسرحية كما الحال لدى الاغريق"(٣).

لقد تأثر الاغريق بعد غزو الاسكندر لبابل بالحياة الدينية العامة للسكان الاصليين وخصوصا فيما يخص عبادة الآلهة الرئيسة للبابليين ، وهذه المسالة لها اهمية خاصة فقد تجسدت في نفس ثنائي اللغة فينيقية واغريقية من البيريوس في اثينا يعود تاريخه إلى حوالي القرن الثالث ق.م والذي يعطي اسم (Vatan-Bel) (العنصر Bel بابلي) إلى رئيس كهنة الإله (Nergal) نركال البابلي، كما ان رجال الدين الكهنة الذين يعيشون خارج البلاد كان لهم تأثير كبير على الممارسات الاغريقية يمكن مشاهدتهم في ذكر ارشكيجال (Ereshkigal) للآلهة العراقية القديمة للعالم السفلي كما يمكن مشاهدتهم على اوراق البردي السحرية الاغريقية من مصر والتي غالبا ما تبدو فيها الآلهة مرتبطة باسم (Neboutosoualeth) نابو – توسواليش على انه مرتبط باسم الإله نابو ، اله العراقيين القدماء(٤) . (ينظر شكل ١٨) .

اما بالنسبة للتفكير الفلسفي في العراق القديم وتأثيره على الفلسفة والفكر اليونانيين فان المصادر التاريخية تؤكد بان بلاد اليونان التي شهدت نهضة فلسفية خلال القرن الرابع ق م والتي وصفها مؤرخون غربيون بـ "المعجزة الاغريقية" لانها حسب رأيهم نابعة فكرا وأصالة من بلاد اليونان، قد تأثرت بالفكر العراقي القديم في هذا الخصوص كما اشار زيلر إلى ذلك(٥) وبعد ان تم اكتشاف حضارات

---

(١) الصالحي ، واثق اسماعيل ، "الاله نبو في الحضر" ، المصدر السابق، ص١٨٢.

(2) Dalley , S. and ,A. T. Reyes , op . cit. , p 111 .

(٣) الاعسم ، باسم ، "أثر الاسطورة في النشاط التمثيلي عند العراقيين القدماء" ، افاق عربية ، عدد ٥-٦، ١٩٩٩، ص٥٨.

(4) Dalley, S. and , A. T. Reyes , op . cit . p 114-115 .

(٥) جواد ، حسن فاضل ، حكمة الكلدانيين وفكرها ط١ ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص٣٩-٤٠.

الشرق القديم ومن بينها حضارة بلاد الرافدين تبين بان هذه المعجزة اليونانية لم تكن كذلك إذ "من الخطأ الاعتقاد بان الفكر الفلسفي والعلمي في البحث عن العلاقات الثابتة قد بدا في اليونان"[١] لان ذلك يؤدي بنا إلى تحيز غير موضوعي للحضارة الاغريقية والغاء ما انتجته الحضارات الشرقية من فكر مبدع وخلاق مثل الحضارة البابلية على سبيل الذكر لا الحصر . التي كانت لها اسهامات فعالة في تقدم العلوم الطبيعية والانسانية على حد سواء[٢].

و "إذا اسلمنا مع (جون لويس) بان الفلسفة هي مبدأ لتوجيه الإنسان في سلوكه ازاء العالم المحيط به فان المجتمعات السابقة على المجتمع الاغريقي كانت هي الأخرى قد عرفت الفلسفة. ان (كليا بيتش) يحدثنا عن آراء فلسفية كانت قد ظهرت في الالف الثالثة وبداية الالف الثانية قبل الميلاد في كل من مصر وبابل"[٣] ولا احد من المهتمين بالبحث في الحضارات الشرقية وعلاقتها بحضارة اليونان يستطيع انكار أو تجاهل أصالة الحضارات الشرقية القديمة ودورها في ربط "جسور العلاقة بين (الحكمة اليونانية) و (الحكمة الشرقية) أو العراقية القديمة بشكل أدق" إذ عرفت هذه الحضارة انتشارا واسعا قبل وبعد فترة سيطرة الاسكندر المقدوني على الشرق وبابل وشاع الاعتقاد انذاك "بان الفلسفة اليونانية قد استمدت اصولها من الشرق" عبر احتكاك اليونان بمستعمراتهم في (ايونيا) بآسيا الصغرى[٤]. وقد تأثر العديد من فلاسفة ومفكري اليونان بالفكر الشرقي القديم ولاسيما البابلي القديم ومن بين هؤلاء الفيلسوف طاليس (٦٢٤-٥٤٦ ق.م) وهيراقليدس (٥٤٠-٤٧٥ ق.م) وفيثاغورس (٥٧٢-٤٩٧ ق.م) واكسينوفون (٥٧٠-٤٨٠ ق.م) وغيرهم ممن كانت لهم اسهامات جديرة بالتقدير في نقل خصائص حضارة وفكر الشرق القديم ومنها بابل[٥] وبذلك تكون الفلسفة مرتبطة ارتباطا عضويا بالحضارة التي هي نفسها تولد من الفلسفة "وانه من غير الممكن قيام حضارة أصيلة دون فلسفة" وهي "آراء تنطبق على الحضارات الأصيلة" ذلك ينطبق "على كل الحضارات السابقة للاغريق"[٦] حيث يقدم المرحوم طه باقر معنى للفلسفة بكونها "البحث في الظواهر الطبيعية وجواهر

ينظر للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع : حسام محي الدين الالوسي ، بواكير الفلسفة – قبل طاليس أو من الميثيولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان ، ط١ ، ١٩٨٦، ص٥-١٧.

(١) كرومي كيورك مرزينا ، المصدر السابق ، ص١٠٥.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) حبي ، يوسف ، بين النهرين ، المصدر السابق ، ص٧ .

(٤) جواد ، حسن فاضل ، المصدر السابق ، ص٤٦.

(٥) كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص١٢-٢٣.

(٦) الجابري ، علي حسين ، الحوار الفلسفي ، بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان ، بغداد ، ١٩٨٥، ص ١١-١٢.

الاشياء وهو ما يدخل في دائرة (العلوم) مع ذلك في هذه الزاوية وجدهم متابعين لمن سبقهم من الشرقيين"[١].

ان هذا المعنى يعود بنا إلى الاصول الاولى التي انبثق منها التفكير الفلسفي من الحضارات السابقة للاغريق فقد ارجع العراقيون القدماء أصل الكون إلى ظواهر طبيعية منحوها صفات إلهية فالعناصر الطبيعية الأربعة (الماء، الهواء، النار، التراب) عدوها الأساس الأول وجوهر الوجود لقد اقتبس الفيلسوف اليوناني طاليس هذه الافكار وعد أصل الموجودات يعود إلى هذه العناصر، حتى انه سمي "بابي الفلسفة اليونانية"[٢].

ان الفكر العراقي القديم والذي وصفه بعض الباحثين بانه فكر اسطوري لا يرتقي إلى مستوى التفكير الفلسفي الخلاق لدى الاغريق كان له دور ريادي في انبعاث الفلسفة اليونانية حتى ان الخبير كريمر في مجال المسماريات يؤيد هذا الراي حيث يقول ان "أول محاولة في تاريخ الفكر الانساني لوضع مفاهيم فلسفية تهدف إلى انقاذ الإنسان من متاهات الجهل باسرار الطبيعة وظواهرها... فالاسطورة – في المحصلة النهائية – لم تكن تخلو من الجوانب العقلية" وكذلك على حد قول (تيوفيل ميك) بانه "لم يسهم شعب في توسيع افاق المعرفة الانسانية – بالقدر الذي اسهم فيه الشعب السومري ومأثورات هذا الشعب كانت تتضمن البحث في أصل الكون ونشوئه وفلسفة الكائنات والخلق، وتلك هي موضوعات الفلسفة التي لم تخل منها حتى المراسيم المقدسة لمدينة اوروك"[٣].

ان فعل الفكر العراقي القديم وتأثيره في التفكير الفلسفي الاغريقي قد استمر حتى الحقبة الهلنستية عندما اخذت الفلسفة اليونانية تكتمل ملامحها النهائية وتظهر للوجود كفلسفة واعية وناضجة لعبت فيها "روح الشرق العميقة" دورا انبعاثيا مؤثرا في تشكلها وبروزها على نحو متطور[٤]. وقد مهدت مهدت الغزوات التي قادها الهيلينيون في الشرق إلى ظهور افكار وفلسفات جديدة تبحث في الفكر الاخلاقي الفلسفي وقد ترسخت الافكار والفلسفات بعد ظهور كيانات سياسية متعددة ومختلفة ساعد على الاندماج والتلاقح الفكري الحضاري بين الشرق والغرب خاصة بعد ان ظهرت مدرسة الاسكندرية التي افاد منها العراقيون والابيقوريون واصبحنا امام فلسفة جديدة مختلطة باصول وموروثات شرقية مع فلسفة يونانية هي الفلسفة الهلنستية[٥].

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٤.

(٢) كروومي ، كيورك مرزينا ، المصدر السابق ، ص١٠٨-١٠٤.

(٣) الجابري ، علي حسين ، المصدر السابق ، ص٢٨.

(٤) فرنر ، شارل ، الفلسفة اليونانية ، ترجمة : تيسير شيخ الأرض ، بيروت ، ١٩٦٨، ص١٧.

(٥) الجابري ، علي حسين ، المصدر السابق ، ص١٦.

"لقد مجد باحثو الاصول الشرقية الفلسفة اليونانية التي نشرها العراقيون الذين لم يعترفوا بالاطار الضيق الذي كان يطوق المدن اليونانية وعدوا انفسهم مواطنين عالميين واخوانا للبشر اجمعين" ومهدوا لبروز "فكرة جديدة عن (الحرية) التي تعود باصولها إلى الشرق وبلاد الرافدين الذي عرف هذه الافكار عن طريق ممارسة حرياتهم الشخصية والاقتصادية دون مانع أو قاهر، معلنين ان الحرية ليست حكرا على شخص دون اخر أو فئة دون اخرى"[١] "وقد ورد كلام من هذا النوع وتردد على مسامع فلاسفة يونان وعرف طريقه إلى جدران الاكاديميات اليونانية قبل سقراط وبعده يقول بوجود افكار شرقية عن العدالة وهي افكار لها دور كبير على الفكر الفلسفي لليونان وليس في ذلك ما يدعو إلى الدهشة"[٢].

وقصارى القول "ان التأثير الفلسفي الشرقي على الاغريق لم يعد حقيقة يتحدث عنها ابناء الشرق – في ضوء المنهج التحليلي والتاريخي المقارن وحسب بل هي حقيقة أدركها العديد من اليونانيين مثل هيرودوتس وافلاطون وارسطو وغيرهم من القدماء"[٣].

٥. في القانون :

إذا أردنا ان نقيس مدى تطور مجتمع من المجتمعات قديما وحديثا يستوجب منا ان نرجع هذا التطور الحاصل إلى ما يمتلكه هذا المجتمع أو ذاك من قواعد قانونية تنظم حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وان العراقة والاصالة والموروث الحضاري الكبير الذي تمتلكه بلاد الرافدين القديمة والذي يعود إلى حدود الالف السابع ق م منذ بداية ظهور المستوطنات والقرى الزراعية عندما كانت هذه الكيانات البدائية الاولى تعتمد في تنظيم حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (القبلية) على التقاليد والاعراف[٤] وبعدما تطورت الحياة العامة اتسعت هذه الكيانات البسيطة واصبحت على شكل (دول – مدن) ومع ازدياد حاجات الإنسان وتعقد مشكلاته وتعددها اصبح من الضروري ايجاد صيغ جديدة لتنظيم علاقات الافراد فيما بينهم وبين السلطة السياسية الحاكمة وهكذا نشأ القانون في خضم هذه التطورات المستمرة واستجابة لمتطلبات الإنسان ومشكلاته الحياتية من منتصف الالف الثالث ق م مع ما عرفته الحياة الصناعية والتجارية في الداخل والخارج من تطور متصاعد[٥] .

يقول كريمر ، في هذا الخصوص "ان واحدا من اكثر الخصائص المميزة لدولة المدينة السومرية خلال القسم الاكبر من الالف الثالث ق.م هو القانون المدون ابتداء من كتابة الوثائق القانونية كتلك

---

(١) فرنر ، شارل ، المصدر السابق ، ص٢٦-٢٧.

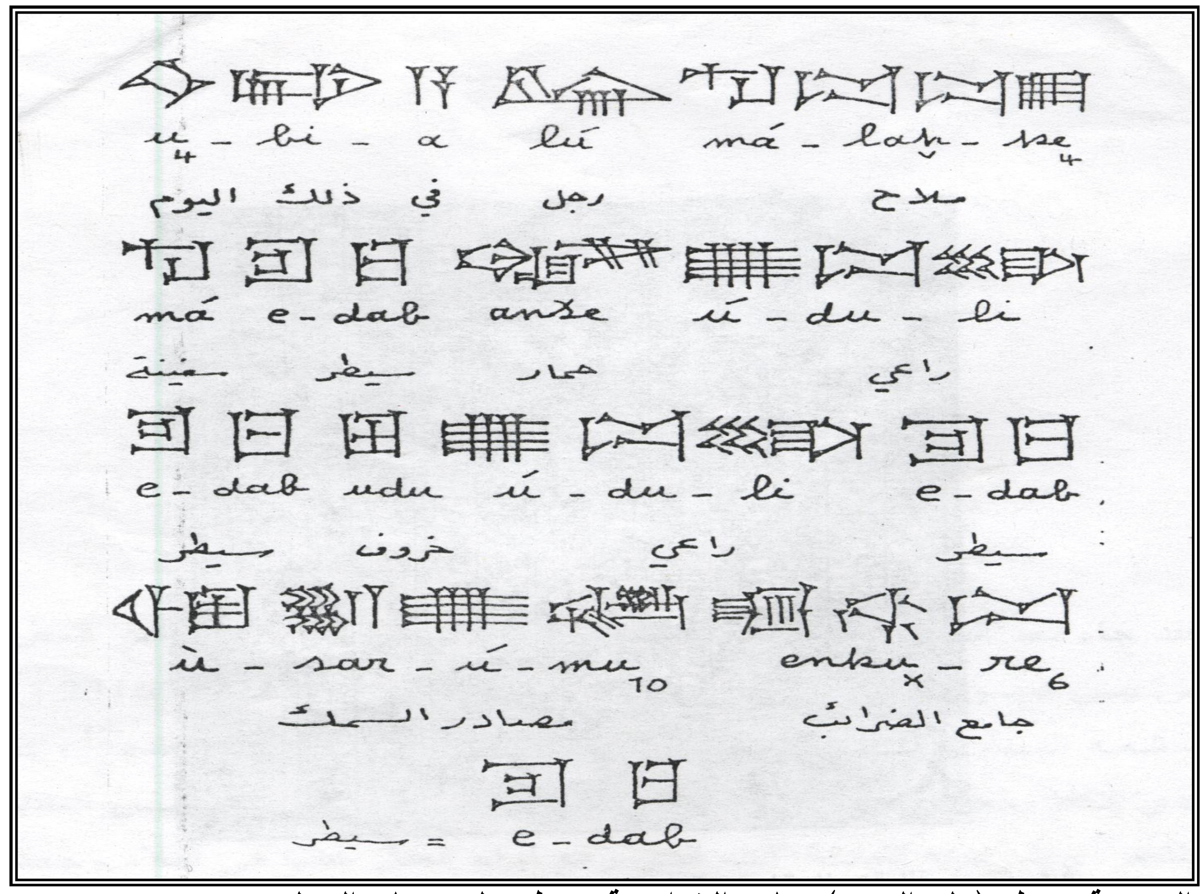
(٢) الالوسي ، حسام محي الدين ، المصدر السابق ، ص ١٦.

(٣) الجابري ، علي حسين ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥.

(٤) باقر ، طه ، "الشرائع والتنظيمات القانونية في حضارة وادي الرافدين" ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م٢٧، ١٩٧٦، ص١٠٣.

(٥) رشيد ، فوزي ، الشرائع العراقية القديمة ، ط٣ ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص١١.

التي تتعلق بالمبيعات والسندات وانتهاء باعلان الشرائع التي كانت تعد اعدادا خاصا"[١] إذن فالقانون في بلاد الرافدين قبل ان تتم كتابته على شكل مواد قانونية مدونة كان يعتمد على مجموعة من القواعد العرفية والتقاليد العامة التي تواترها الناس وتناقلوها عبر اجيال عديدة وهي بلا شك تمثل النواة الاولى لظهور القواعد القانونية المكتوبة . وتعتبر الاصلاحات التي قام بها ملك مدينة لكش "اورو كاجينا" في حدود (٢٣٥٥ق.م) اقدم اصلاح اجتماعي معروف وصلنا إلى حد الآن وقد احتوى الاصلاح هذا على مجموعة من الفقرات التي تعالج حالات الفساد التي اصابت الاقتصاد والمجتمع والادارة في مدينة لكش وهو "الذي اعاد العدل وارجع حرية المواطنين وازال الضرائب ، كما انه ازال المظالم والاستغلال مما كان يقع على الفقراء من جانب الاغنياء"[٢] ونورد هنا بعض النصوص الاصلاحية للملك اروكاجينا التي وردت بالخط المسماري مع الترجمة :



الحمير قد سيطر (على الحمير) وجامع الضرائب قد سيطر على مصائد السمك .

فقد جاء بعد الملك اروكاجينا ، ملوك اخرين اخذوا على عاتقهم نشر العدل والمساواة بين الناس بسن مجموعة من القوانين ، فالملك سرجون الاكدي (٢٣٧١-٢٣١٦ ق.م) يذكر بانه قد وهب شعبه

---

(١) الهاشمي ، رضا جواد ، "السمات العامة للتشريع في العراق القديم واتجاهه" ، بين النهرين ، عدد ٦٩- ٧٠، الموصل ١٩٩٠، ص١٢-١٣.

(٢) رشيد ، فوزي ، المصدر السابق ص١١-١٢.

المساواة والعدل وابعد الكراهية عن الناس والاذى عن بلده[١] ولقب نفسه بملك العدل الذي يتكلم بالحق وهي اشارة إلى اهتمامه بالعدل[٢] ، وقد مدح الناس الملك انليل – باني وتغنى الشعراء بشرائعه العادلة "انت الذي رفع لواء العدل عاليا في البلاد وجعلت المساواة تسطع كالذهب وعاقبت الظالمين" ، كما تغنى الملك لبت عشتار (١٩٣٤-١٩٢٤ ق.م) باعماله في هذا الخصوص حيث يقول "وطدت العدل في بلاد سومر واكد عاتيا على الكبراء ورحيما بالضعفاء واقمت الحق واعطيت الحرية للناس انا لبت عشتار الذي جعل العدل يزدهر وكان الناس يتوجهون إليه بالدعاء"[٣] كما جاءنا الملك اور– نمو (٢١١٣-٢٠٩٦ ق.م) مؤسس سلالة اور الثالثة بمجموعة من القوانين غايتها اصلاح المجتمع ويعتبر الملك حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) اشهر المشرعين في التاريخ على الاطلاق فهو يقول بانه وضع هذه القوانين من اجل نشر الحقوق في البلاد ولكي يستأصل شافة الشرير الفاسد وحتى لا يقهر القوي الضعيف[٤] لقد تجسدت عدالة مساواة حمورابي التي رام تطبيقها في المجتمع البابلي القديم في ظهور مجموعته القانونية التي كتبها على مسلة من الحجر حيث احتوت على ٢٨٢ مادة قانونية تتبعها مقدمة وخاتمة وقد تم العثور على هذه المسلّة في مدينة سوسة بين سنتي ١٩٠١-١٩٠٢[٥] وتجدر الاشارة إلى انه جاءتنا مدونات قانونية للملك اور – نمو كما تمت الاشارة سبقت قانون حمورابي قرابة ثلاثة قرون رغم انها كانت ناقصة وغير مكتملة حيث جاءتنا منها المقدمة وبعض من المواد القانونية واحكام تشبه إلى حد كبير قانون لبت عشتار خاصة فيما يتعلق بالدية والتعويض بدلا من القصاص[٦] هذا واستمرت القوانين في الظهور حتى خلال العصور التالية[٧] .

إذن يمكن القول بأن القانون[*] في العراق القديم ولد منذ فترة مبكرة جدا وهو بذلك سابق من حيث التكوين والنشأة عدة قوانين أخرى ظهرت في بلدان العالم القديم في فترات تاريخية لاحقة،

---

(١) شمار ، جورج بوييه ، المسؤولية الجزائية في الآداب الاشورية والبابلية ، ترجمة : سليم الصويص، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٢٧١.

(٢) علي فاضل عبد الواحد ، من الواح سومر إلى التوارة ، ط١ ، بغداد ١٩٨٩ ، ص٢١٦.

(٣) شمار ، جورج بوييه ، المصدر السابق ، ص٢٧١-٢٧٢ .

(٤) شمار ، جورج بوييه ، المصدر السابق ، ص٢٧٢ .

(٥) الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم ، ج٢ ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٢٠٧.

(٦) سليمان ، عامر ، القانون في العراق القديم ، ط١، موصل ، ١٩٧٧ ، ص١٩١-١٩٧.

(٧) شمار ، جورج بوييه ، المصدر السابق ، ص٢٧١-٢٧٢.

(*) تجدر الاشارة إلى ان كلمة قانون Kanon اليونانية مشتقة من لفظة kanna التي تعني قصبة القياس والتي اشتقت منها مجازا المقياس والقاعدة ترجع باصولها إلى التراث اللغوي العراقي القديم ، ينظر : طه ، باقر ، من تراثنا اللغوي ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص١٢١.

فالقوانين اليونانية مثلا ذات العلاقة بموضوعنا يرقى تاريخها إلى حدود القرن السادس ق.م في حين ظهر القانون الروماني القديم في حدود منتصف القرن الخامس والذي يعرف بالالواح الاثني عشر، هذا وظهرت قوانين رومانية أخرى جاء بها المشرع الروماني جستنيان (٥٢١-٥٦٥) صولون[١] في الوقت الذي تأخرت فيه حضارة وادي النيل بعدة قرون في هذا المجال حيث لم يصل الينا سوى أجزاء قليلة من القوانين في حدود القرن الثالث والرابع ق.م[٢] فهذه الاسبقية التاريخية للقوانين العراقية هي من السمات الاساسية التي تميزت بها هذا فضلا عن نضجها الفكري واللغوي مما رشحها لان تقوم بدور خطير ليس فقط في قوانين العالم القديم وانما أيضا في القوانين الحديثة والمعاصرة وخاصة فيما يتعلق بمبدأ القصاص ومبدأ التعويض وقانون العقوبات ومبدأ منع التعسف في استخدام الحق الشخصي ومبدأ القوة القاهرة وغيرها من المبادئ والأسس القانونية[٣] حيث يقول الباحث كريمر في هذا الصدد "ان الوثائق القانونية المدونة والشرائع وجدت في فترات متأخرة في كافة انحاء الشرق الادنى القديم وليس هناك ادنى شك في ان جميعها على ما قد يكون فيها من اختلافات في التفاصيل ترجع إلى النماذج السومرية الاولى بل من الممكن حتى بالنسبة لليونانيين والروم الا يكون لديهم قوانينهم المدونة لولا نزوع السومريين إلى حفظ سجل معاملاتهم القانونية"[٤].

إذن فتأثير القوانين العراقية القديمة على منطقة بحر ايجة وبلاد الاغريق يبدو واضحا من خلال العلاقات التي شهدتها المنطقتين خلال العصور التاريخية فقد كانت جزيرة كريت على دراية بالقوانين والعدالة والمساواة كما عرفت منطقة لاكونيا الواقعة جنوب بلاد اليونان بعضا من قوانين بلاد الرافدين فكانت في علاقة وطيدة بجزيرة كريت ، فاسبارطة في عهد مشرعها ليكرنموس في القرن ٩ ق.م أقامت علاقة مع جزيرة كريت حيث تشير الدلائل الاثارية البابلية التي تم العثور عليها في هذه المناطق إلى وجود اتصالات حضارية بين المنطقتين ويذهب الاعتقاد بأن هناك مخلفات مادية تشير إلى تأثير القوانين العراقية القديمة في مثيلاتها في بلاد اليونان[٥].

كان اليونانيون يعتمدون الاعراف والتقاليد قبل سنة ٦٢٤ ق.م عندما بدأت تظهر إلى الوجود شرائع مدونة اصدرها (دراكو) وقد كانت الضرورة والحاجة هي التي دفعت الاغريق لان يضعوا لهم قوانين مدونة على غرار الشعوب الاخرى[٦].

---

(١) باقر ، طه ، المقدمة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص١٤٣.

(2) Harris, G.R: The legacy of Egypt, Oxford , 1971, p. 241.

(٣) سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٢٠٤-٢٠٨.

(٤) زناتي ، محمود سلام ، النظم الاجتماعية في بلاد النهرين وعند العرب قبل الاسلام ، ١٩٨٦، ص٧٩.

(٥) كريمر ، السومريون ، المصدر السابق ، ص٤١٦.

(٦) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٦٧.

لقد عالجت بعض من مواد قانون حمورابي الطبقات الاجتماعية في المجتمع البابلي ووضعت له تقسيما، فكان لكل شخص مرتبط بمهنته التي ورثها عن ابيه ويلتقي أصحاب المهن الواحدة في مجموعة قائمة بذاتها وقد نجد مثل هذا التقسيم في المجتمع اليوناني في جزيرة كريت إلى ثلاث طبقات واطلق على الجماعة التي تشغل مهنة معينة بـ ديميوكوي (Demioergoi) وعرف التقسيم الطبقي الاجتماعي باسم الاناكس (Anax) النبلاء واعضاء السلالة الحاكمة والتي تلتقي مع كلمة الاويلم في قانون حمورابي[١].

كذلك جاء في التقليد الاغريقي القائل بان مشرع القوانين اليوناني صولون (solon) سافر خارج اثينا لفترة عشر سنوات تقليدا صحيحا فانه يمكن ان يصبح معتنقا تقاليد بلاد الرافدين في الخارج وهذا يفسر لنا لماذا يكون الغاء ديونه في اثينا في بداية القرن السادس ق م مشابهة جدا لممارسة بلاد الرافدين ورغم وجود حالات مشابهة في شرق البحر الابيض المتوسط لمثل هذا القرار فان الممارسة وبصورة اساسية ممارسة عراقية ومعروفة في العصر البرونزي المتوسط وظلت على قيد الحياة في العصور الاشورية الحديثة[٢].

كان الاغريق يعتقدون بان القانون مصدره الآلهة ، وكل ما هو صادر عن الآلهة واجب الاحترام والطاعة حيث كان أبولو كإله للقانون يصدر احكاما في قضايا القتل وهو اعتقاد كان سائدا لدى الشعوب القديمة[٣].

ان هذا الاعتقاد له ما يماثله في قوانين العراق القديم ، حيث ان الذين شرعوا القوانين من اور – نمو والى حمورابي كانوا يرجعون هذه القوانين إلى مصدره الإلهي واعتقدوا بان الآلهة هي التي تمنحهم الشرائع وارادة تطبيقها ، وهم في الحقيقة يمثلون الأداة التي بواسطتها تريد الآلهة تنظيم العلاقات الاجتماعية وترتيبها وتعميم الخير بينهم وقد اعتقد الملك حمورابي بان الإله شماش هو الذي أملى عليه قوانينه لبسط العدل والمساواة ونشرها بين الناس .

ان الكتاب البابليين قد تدربوا على استعمال قانون حمورابي كنص ثابت وفي نفس الوقت في كريت فان قانون (Gortyn) تم تسجيله على جدار صخري وانه مشابه سواء في الشكل أو المحتوى لقوانين حمورابي ، وبصورة خاصة موضوعات حول الزواج والممتلكات والتبني (Adaption) ولقضايا المحاكم والشهود والقسم امام الآلهة وفي كتابته على الصخر ليشاهده المجتمع فان ذلك يشير إلى تراث بلاد الرافدين مثلا القانون التالي يعد اقتباسا من قانون بابلي "إذا مات رجل تاركا اطفال واذا ترغب زوجته فانها يمكن ان تتزوج ثانية وتحمل ممتلكاتها معها واي

(١) المصدر نفسه .

(2) Dalley S. , and A. T. Reyes , op. cit. , p.104 .

(٣) احمد ، علي عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص ٣١٤– ٣٢٦.

شي كان زوجها الأول يمتلكه طبقا إلى ما هو مكتوب وبحضور ثلاثة شهود احرار وبالغين سن الرشد"[١] كما جاءت في طبقات المجتمع اليوناني طبقة سميت بـ (داميواركوي) وهي تجمع الفلاحين والعمال والاحرار والصناع ، وتقابل طبقة المشكينوم في قانون حمورابي لقد عرفت اسيا الصغرى منذ الالف الثاني ق م منطقة نفوذ ومجال حيوي بالنسبة للاشوريين وقد فتح الاشوريون ما يشبه المراكز او الغرف التجارية في هذه الحقبة ووضعوا على هذه المراكز هيئات ادارية تقوم بتنظيم المعاملات التجارية وتبادل البضائع وقد سميت باسم (الكاروم) وقد كان لهذه النشاطات الاقتصادية قوانين تجارية صارمة تنظم المعاملات التجارية بين مختلف الاطراف الاقتصادية ويعتقد بان مجموعة من هذه القوانين قد دخلت بلاد اليونان عن طريق اسيا الصغرى[٢].

ينسب بعض فقهاء القانون الدولي العام إلى ان القانون الدولي قد نشا عن اليونان وانهم هم الذين جاءوا بمبادئه وقواعده الاساسية، ذلك ان الكتاب الاغريق اشاروا في مناسبات عديدة إلى وجود قوانين الاغريق أو القوانين المشتركة للاغريق أو قوانين البشرية أو القوانين المشتركة للبشر.

"وتحت هذه العناوين نجد قدرا كبيرا من القواعد الدولية" الا ان الاغريق قد ميزوا بين قوانينهم وقوانين الاقوام والشعوب (البرابرة) الأخرى ووضعوا حدودا فاصلة بينها[٣] الا انه يبدو ان الحقيقة على غير ذلك فاستنادا إلى ما تقدم ذكره حول أصالة الحضارة العراقية القديمة وعلاقاتها غير المباشرة ببلاد اليونان خلال الفترات التاريخية التي تأتي قبل الغزو المقدوني للشرق وبابل حيث لعبت التجارة والحضارات الوسيطة والحملات العسكرية وتنقل العلماء وغير ذلك من الوسائل التي ربطت المنطقتين واستنادا كذلك إلى العلاقات المباشرة بين الشرق والغرب في الفترة الهلنستية "بعد غزو الشرق من قبل اليونانيين" يمكن القول بان القانون الدولي العام وكذلك الخاص قد استمد أصوله وأسسه ومبادئه من حضارات الشرق القديمة ولاسيما حضارة بلاد الرافدين، مع الاخذ بعين الاعتبار الاضافات والتطور الملحوظ الذي شهده هذا القانون على يد اليونان ثم فيها بعد الرومان ولعل من ابرز ذلك نصوص المعاهدات الدولية التي جاءتنا من العصر الاشوري الحديث (٩١١ – ٦١٢ ق.م) والتي رست قواعد واسس ابرام المعاهدات .

ان هنالك مجموعة من الافكار القضائية والقانونية إضافة إلى اساليب المحاكمات "ما يعرف اليوم بالاجراءات القضائية وكيفية تنفيذها" ، كل هذه المواضيع كانت قد عرفت طريقها إلى بلاد اليونان، في ايام الاسكندر المقدوني عن طريق اليهود الذين استمدوا هذه القضايا من شريعة

---

(1) Dalley , S. and A. T. Reyes , op. cit. P.104 .

(٢) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٦٩.

(٣) النعيمي ، محمد طلعت ، الاحكام العامة في قانون الأمم ، دراسة في كل من الفكر الغربي ، والاشتراكي والاسلامي ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ ، ص٤٤-٤٨.

حمورابي وكذلك القوانين المصرية[١]. جاء في كتابات احد الكتاب الفرنسيين ما يلي "لقد أثار اكتشاف الاثار المسمارية في بداية هذا القرن خلافات حماسية حول فائدة تاريخ القوانين الشرقية ضمن التاريخ العام للقانون وكان ليوبولد – (leopoldvengr) أول من دعا إلى ان يوسع مؤرخو القانون افقهم وتبعه في ذلك سان نيقولو (saint nicolo) غير ان عددا كبيرا من المؤلفين انتقده . فقد كان معظم المهتمين بدراسة مباشرة القوانين الرومانية ميالين إلى ان يتجاهلوا أو يذكروا مسبقا كل تأثير ولو بصورة غير مباشرة للقوانين المسمارية على القانون الروماني في عصر الامبراطورية السفلى ، غير ان هذا الموقف الانكاري ليس له ما يبرره فاذا كان من المستحيل في الوقت الحاضر التدليل عن طريق التسلسل غير المنقطع في النصوص على وجود تأثير للقوانين المسمارية على القانون الروماني ، فان ذلك يرجع فقط إلى اختفاء استخدام الصلصل كمادة للكتابة عليها في القرن الثاني قبل الميلاد ، إذ تصبح معلوماتنا فجأة غير كافية ، لكن ثمة قرائن لا يمكن اثبات عكسها في خارج الرأي الذي يعترف بتأثير القوانين المسمارية على القانون الروماني، فقوانين الشرق الادنى التي تتميز بالاستقرار والقدم والانتشار، ما كان من الممكن ان تختفي فجأة كما اختفت المادة المنقوشة التي حافظت عليها حتى انتقلت الينا، ثم ان هناك شواهد على استمرار هذه القوانين في الفقه الاسلامي"[٢].

إذن يتبين لنا بوضوح بان قوانين العراق القديم قد شملت تأثيراتها ليس فقط الفترات التاريخية لما قبل الغزو اليوناني وبعده ببضع سنوات في الفترة الهلنسية وانما كذلك امتدت تأثيرات هذه القوانين أيضا لتصيب القوانين الرومانية لاحقا والتي يعتبرها الغربيون المصدر الاساسي لقوانينهم الحديثة التي قامت عليها دساتيرهم وقوانينهم العامة والخاصة .

---

(١) الاحمد ، سامي سعيد ، حضارات ، المصدر السابق ، ص٦٨-٦٩.

(٢) الحفناوي ، عبد المجيد ، محمد ، تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية ، القاهرة ، د.ت ، ص٢٨٩.

الفصل السادس
تأثيرات الحضارة الهيلينية في حضارة بلاد الرافدين

تحدثنا في الفصل السابق عن أثر حضارة بلاد الرافدين في حضارة اليونان في العديد من العناصر الحضارية وقد حاولنا ابراز مكامن التأثير وأصوله بالتركيز على الفترة التاريخية المعروفة بالهلنستية التي التقت فيها حضارات الشرق القديم ومن بينها حضارة بلاد الرافدين بالحضارة الغربية والمتمثلة بحضارة الاغريق ولاشك ان هذا الاتصال الحضاري المباشر بين الشرق والغرب بعد الغزو الاسكندري قد حمل ملامح حضارية متميزة عن الفترات التاريخية السابقة وقد تعددت التعريفات بشان كلمة الهلنستية التي اطلقت في هذه الحقبة فمن قائل بان العصر الهلنستي، هو الاسم الذي اطلق على الفترة التي شهدت خلالها الثقافة الاغريقية انتشارا واسع النطاق في بلاد البحر المتوسط ، من وفاة الاسكندر حتى الفتح الروماني، وقد انتشرت هذه الثقافة بالتدريج من مصر وسوريا حتى روما واسبانيا... وأصبحت اللغة الاغريقية اللهجة الشائعة ووسيلة الثقافة وفي بعض النواحي فان هذه الفترة تعد من أهم الفترات في تاريخ الحضارة الغربية حيث امتد التأثير الاغريقي إلى الشرق البعيد وبالعكس انفتح الغرب الاغريقي امام التأثير الآتي من الشرق والشرق الاقصى[1] .

وذهب رأي آخر إلى القول بان مصطلح الهلنستية يطلق على الحقبة الزمنية التي تمتد بين (سنة ٣٢٣-٣٠ق.م) اي من بعد وفاة الاسكندر المقدوني وحتى تأسيس الامبراطورية الرومانية من طرف اوكتافيوس اغسطس[2] وقد سميت بالهلنستية تمييزا لها عن العصر الهيليني الكلاسيكي السابق ، والعصر الروماني اللاحق ، وقد اعتبر بعض الباحثين فترة حكم الاسكندر من سنة (٣٣٦-٣٢٣ ق.م) فترة انتقال من الكلاسيكية إلى الهلنستية في حين اعتبرت فترة حكم أغسطس من ٣٠-١٤ ق.م مرحلة انتقالية إلى العصر الروماني البحت[3] وهناك من يقول "انها ثقافة جديدة مركبة من عناصر يونانية وشرقية ومن قائل انها عبارة عن امتداد الثقافة اليونانية إلى الشرقيين، ومن قائل انها استمرار للنهج القديم الذي كانت تنتجه الحضارة الاغريقية القديمة وعدا هذا فهناك من يقول انها

---

(1) Brehier Emile , The Hellenistic and Roman age , Translated by wade Baskim, Chicago, 1965, p.23 .

(2) Fyfe , Theodore, Hellenistic Architecture , Cambridge, 1936 , P.1 .

(3) Biedeer , Margaret , The sculpture of the Hellenistic age , New York 1965 , p. 4 .

نفس تلك الحضارة منقحة بفضل ما أحاط بها من ظروف جديدة وما من ريب ان جميع هذه النظريات تحتوي على نصيب من الحقيقية ، ولكن ليس منها ما يمثل الحقيقة برمتها"[(١)] .

"وعندئذ يتجلى لنا ان الهلنستية ما هي الا عنوان مناسب للدلالة على حضارة تلك القرون الثلاثة التي كانت فيها الثقافة اليونانية تسطع باضوائها بمنأى من أرض الوطن الاصلية ، ولن يستطيع تعريف عام ان يعطي كل هذه المعاني"[(٢)] .

ان المحصلة النهائية لمجمل هذه التعريفات هو ان هذا النموذج الحضاري والتأثير المتبادل الذي حدث بين اليونانيين والشرقيين بالتقاء الحضارتين بشكل مباشر ما هو الا نتيجة منطقية وعلمية يخضع لها الإنسان كما تخضع لها الطبيعة والمجتمعات نريد القول بان "كل متاثر بغيره مؤثر في غيره وهذه الخاصية اثبتها العلم فعلا بعد ان اضاف اليها النسبية من حيث مدى التاثر والتاثير"[(٣)] ، فالمجتمعات مثلها مثل الاشياء الأخرى في الكون تتأثر ببعضها البعض فـ "الحركة التاريخية والسيارات الحضارية لا تعرف الحدود الجغرافية ولا تتوقف عندها سواء أكانت هذه الحدود قومية وقارية واذا كان هذا ينطبق على كل المناطق بوجه عام فانه ينطبق على المنطقة التي يوجد فيها المجتمع اليوناني بوجه خاص إذ لا يمكننا اطلاقا ان نفصل بين هذا المجتمع وبين القارتين الاسوية والافريقية"[(٤)] .

"فالاغريق لم تقتصر رسالتهم على تلقي تراث الحضارات الشرقية القديمة لينقلوه بدورهم إلى اوربا بل ما تلقوه واعادوا اخراجه في صورة جديدة مختلفة تتسم بطابع بيئتهم الخاصة"[(٥)].

١. التطبيقات السياسية والادارية (نظام الحكم والادارة) :

لقد دخل اليونانيون إلى بلاد الرافدين كغزاة عسكريون عام ٣٣١ ق.م على يد قائدهم الاسكندر المقدوني الذي حاول ان يجعل من بابل عاصمة لامبراطوريته العالمية التي يريد اقامتها من مختلف الأمم والشعوب ، وقد ذكرنا سابقا ان هذا القائد قد بدا بتطبيق سياسة أول مرة في بابل والتي كانت تتصف بالتسامح الديني وابداء احترامه للآلهة البابلية وطقوسها ، وقد عين الاسكندر على بابل احد القادة العسكريين الفرس وهو مازيوس ثم غادرها فيما بعد لمواصلة حملته في الشرق الاقصى، وحين عودته اليها سنة ٣١٠ ق.م لم يقم الاسكندر بتغيير جذري في حكم بلاد بابل. فقد كان الجيش

---

(١) تارن ، وليم ووثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤.

(٣) سيف الدولة ، عصمت ، نظرية الثورة العربية ، الاسس ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص١١٣.

(٤) يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، المصدر السابق ، ص٢٥.

(٥) احمد ، علي عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص١٧.

المقدوني وعلى رأسه القادة العسكريين الكبار وأعوان الاسكندر الاساسيين هم الماسكون بزمام السلطة في البلاد ، وقد مثلت بابل كما شاهدنا انفا مركز الدولة المقدونية في الشرق ففيها شرع الاسكندر بوضع خطط سياسية وعسكرية متعددة لامبراطوريته المرتقبة ، حيث تبين له بان بابل يمكن ان تكون المركز الذي من خلاله يتمكن من مراقبة مملكته المترامية الاطراف لكي يتسنى له حكمها وفق أساليبه الخاصة في إدارة الحكم ، الا ان كل هذه المشاريع قد قبرت بعد وفاته وقسمت هذه الامبراطورية إلى ثلاثة من اكبر قادته ، وكما مر بنا فان بلاد الرافدين كانت من بين ممتلكات الأسرة السلوقية التي أقامت فيها حكما دام عقود عديدة من الزمن وتجدر الاشارة إلى ان الاسكندر قد رام تطبيق اسلوب مغاير في الحكم في بلاد بابل لما هو موجود في بلاد اليونان في ذلك العصر ، فقد كانت هذه البلاد انذاك تشهد جدلا فكريا وسياسيا حادا بين مختلف تياراته واتجاهاته الفكرية وكثيرا ما تفاخر الهلينيون من قبل في محاوراتهم ونقاشاتهم التي كانوا يقيمونها في الساحات العامة في اثينا بانهم أحرار وديمقراطيون يبتغون الحرية والديمقراطية غاية وأسلوبا في الحياة. فكان مفكروا اليونان في ذلك التاريخ اول المفكرين الذين رفعوا لواء الحرية والديمقراطية ، وارادوه ان يكون نهجا عالميا لكل البشر ، وقد حاول الاسكندر ان يسير على هذا النهج عندما كان يهدف من غزوه للشرق ان يجعله اغريقيا شكلا وثقافة ولكنه في السنوات الأخيرة من حياته القصيرة اصبح شرقيا ، إلى الحد الذي أراد فيه ان يكون إلهاً ليتسنى له حكم كل البشر الخاضعين له على وفوق هذا الاسلوب الذي كان معمولا به في مصر القديمة وقد عمل على انجاح اهدافه هذه بان أرسل إلى اليونانيين يطلب منهم ان ينتخبوه مثل الآلهة الأخرى التي تعبد في اثينا ويكون عنصرا الهياً المكون للبانثيون الاغريقي يعبد كما تعبد الالهة الأخرى .

كان الاسكندر شغوفا بحبه إلى الهيلينيين والحضارة الهيلينية التي أراد نشرها في الشرق فحبه إلى كل شي اغريقي جعله يمتلك الرغبة في تقديم الافكار الاغريقية للحياة وفن العمارة الاغريقية والنحت والادب الاغريقي والمعرفة في اوساط الرعايا الشرقيين...وعلى الرغم من ان الاسكندر لم يستطع انشاء واقامة الشكل الاغريقي للحكومة الديمقراطية في الشرق الا انه حاول تامين وضمان حكامه في الاقاليم لكي يحكموا بطريقة عادلة[١].

وهذه الطريقة في الحكم هي الاسلوب السياسي الذي أراد ان يطبقه في بلاد بابل باعتبارها مركز الامبراطورية وقلبها النابض بيد ان هذا المشروع الحضاري لم يكتب له النجاح فآلت بعد موته البلاد إلى حكم القائد سلوقس .

---

(1) Gadd, K , M , op . cit. , p. 190 .

استلم سلوقس بلاد الرافدين وبابل سنة ٣١٢ ق.م بعد صراع عنيف نشب بينه وبين بعض القادة اليونانيين الذين أرادوا الاستحواذ على بابل ، وتمكن سلوقس من بسط سلطته وحكمه على الجزء الاسيوي الذي كان تحت نفوذ الاسكندر ، وكانت سياسة سلوقس في بابل تشبه إلى حد كبير سياسته في بقية الاقاليم التابعة له هذه السياسة التي ورثتها الأسرة السلوقية على مدى تاريخ حكمها حيث "كان حكم ملوك السلوقيين استبداديا مطلقا من الناحية النظرية ولكن الواقع الحقيقي ان حكمهم المطلق كان مقيدا بضرورة احترام الحقوق التي وهبوها هم انفسهم للمدن والمستقرات التي انشاؤها"[١] .

بمعنى اخر اعتمد الملوك السلوقيون في أسلوب حكمهم في المناطق التي سيطروا عليها على نمطين من طرق الحكم، النمط الأول هو ذلك الاسلوب القديم الذي كان معتمدا في اغلب اقطار الشرق الأدنى القديم وهو ان يكون الملك ومن معه في السلطة يتمتعون بسلطة مطلقة في حكم الامبراطورية دون ان يتعرضوا إلى اي من أنواع المساءلة أو الاعتراض على سياستهم اما الاسلوب الثاني فهو ان تقوم السلطة المركزية بمنح الحرية والاستقلال الذاتي للمقاطعات الخاضعة لحكمهم وتفسح لها المجال لانشاء مؤسسات دستورية بعيدة عن الضغط السلطوي للملك، لقد جمع الملوك السلوقيون هذين الاسلوبين في الحكم وطبقوا الواحد منهما إلى جانب الآخر، حيث كانت سلطة الملك "تسعى لزيادة هذا الاستقلال مستغلة حاجة السلوقيين للمال"[٢].

ولهذا طالب الملوك السلوقيون بالسلطة على ٣٠ مليون نسمة من قوميات متعددة، مشتتين في أراضي مساحتها مليون ميل مربع، وان القوة الموحدة لهذه الامبراطورية العظمى كانت عبادة الملك، وبالنسبة للشرقيين فان الملك هو نائب الآلهة والشخص الذي جاء بعد ملوك فارس ، وبالنسبة للاغريق فانه حفيد ابولو مؤسس وراعي الامبراطورية السلوقية وان السلوقيين اتخذوا القابا مثل (theos)(الاله) و (soter) (المخلص : المنقذ) و (Epiphanes) (التجلي الالهي) وان الامبراطورية مقسمة إلى الكثير من المناطق التي فيها السلطات المدنية والمالية والعسكرية كانت منفصلة بدقة وان الحكومة المحلية للسكان كانت بأيدي مسؤولي الملك أو مسؤولي الحكام المحليين وان الجاليات الاغريقية في تلك المناطق منحت دساتيرا ، وحكما ذاتيا ، وان الإدارة كانت تمول من ضريبة الاراضي والواجبات والاراضي والهدايا ومن المناطق المسيطرة عليها الملكية الكبيرة[٣] وعندما بنى السلوقيون مدينة سلوقية الجديدة على نهر دجلة حاولوا ايجاد مؤسسات دستورية في هذه المدينة فكان دستور مدينة سلوقية السياسي يقر عدة مجالس من

---

(١) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص١٤٥.

(٢) النيهوم ، الصادق واخرون ، مسيرة الحضارة ، بهجة المعرفة ، موسوعة علمية مصورة ، م١ ، طرابلس ، ١٩٨٢ ، ١٨٥.

(3) Caldwell , W. E. , op . cit. p. 301 .

بينها مجلس تسجيلي أو قضائي من نوع معين...وفي بعض الاحيان كانت سلوقية تعرض استقلالها بصورة علنية إلى مشاكل ذلك انها تحت حكم (epistates) (اي المسيطرون) وتحميها حامية، وان (strategos) (الستراتيجيين) لمنطقة (بابل) احيانا يشغلون منصب (Epistates) للمدينة[١].

ادى التفكير الفلسفي والوعي السياسي الذي عاشته بلاد اليونان بين القرنين الخامس وحتى الثالث ق.م إلى ترسيخ مفاهيم فلسفية ونظريات سياسية كان لها الأثر الكبير في ظهور المؤسسات الدستورية الحديثة، وعندما انتقل الهلينيون إلى الشرق اخذوا معهم هذه النظريات وأرادوا تطبيقها على البيئة الشرقية ، وقد مثلت الديمقراطية ، نموذجا من هذه المفاهيم، ذلك ان الديمقراطية في العصر الهلنستي تم الاعتراف بها بصورة شاملة على انها الدستور الصحيح للمدينة الاغريقية وعندما انتشرت مؤسسات المدينة الاغريقية في الاراضي (البربرية) فانه كان النوع الديمقراطي للدستور هو الذي كان باعتباره العرف السائد، وان المستقرات التي انشاها الملوك يبدو انها من المعلومات القليلة التي نمتلكها حول دساتيرها الداخلية على انها ديمقراطية . وان المدن (البربرية) اتخذت الدساتير الاغريقية ، كما اتخذت النوع الديمقراطي ، ونظريا فان الديمقراطية كانت منتصرة بصورة شاملة ومن الصعوبة بمكان ايضاح كم طول الفترة التي حافظت فيها الديمقراطية على روحها وواقعها[٢].

لقد عرفت بلاد الرافدين نوعا من الديمقراطية التي سماها الباحثون الغربيون بالديمقراطية البدائية (Primituie Democracy) ، منذ مدة مبكرة جدا عندما كان حاكم المدينة ينتخب من بين اعضاء مجلس المدينة – مجلس المسنين ومجلس الشباب او القادرين على حمل السلاح ، ومن ثم انتخاب الرجل العظيم ، اي الملك في حالات الطوارئ والازمات وهناك العديد من الادلة ان تثبت ذلك . الا ان هذه الديمقراطية لم تستمر طويلا اذ قضى عليها النظام الملكي المستبد ولم يبق من الديمقراطية سوى مجالس المدن التي اقتصرت مهامها على الشؤون القضائية وعرفت بلاد الرافدين الديمقراطية ثانية بعد الغزو اليوناني لبلادهم في القرن الرابع قبل الميلاد وعرفوا الى جانب ذلك عدة مفاهيم أخرى حاولوا ان يوجدوا لها مؤسسات مدنية يقرها القانون ويعتبر من الحقوق الاساسية للفرد في المجتمع تلك هي المواطنة التي جسدها اليونانيون في البلدان التي سيطروا عليها ، ورغم ان جميع المواطنين كقاعدة يبدو انهم حصلوا على حقوق متساوية ، وان المواطنة يمكن بحد ذاتها ان تكون مقتصرة على عدد محدود نسبيا للسكان المقيمين في جميع المدن الاغريقية فان المواطنة بالطبع تم تحديدها من ناحية المبدأ بالولادة (مسقط الرأس) وليس بمحل الاقامة ، وكان نسب المواطن الذي يتخذ من كلا الطرفين (الأب والام) مسالة مطلوبة بصورة طبيعية ... وان المواطنة تمنح بصورة مذكورة بواسطة

(1) Bevan E. R. , op . cit. p. 254 .

(2) Jones. A. H. M. D. D. LL. D. , The Greek City from Alexander to Justinian, oxford, 1933 , PP.107 – 108 .

قرار خاص للاجانب الذين هم يدعمون المدينة ماليا . وكذلك اصبح من الشائع بشكل متزايد للازواج أو المجموعات من المدن لجعل مواطنتهم يمكن تغييرها بصورة متبادلة[1] وان هذا النمط الجديد قد تم العمل به في مختلف انحاء الامبراطورية السلوقية وقد عرفت بلاد الرافدين هذه الافكار والمؤسسات التي أثرت أيما تأثير في شكل وأسلوب النظام السياسي للبلاد فالمواطنة في المجتمع البابلي إبان هذه الفترة تعد من الحقوق السياسية للفرد وقد اقرها القانون وحدد شروطها ومتطلباتها ، في شكل قرارات وقد حاول البابليون الامتثال والانسجام مع هذه الافكار الاغريقية وان هذه القرارات المهمة تم القيام بها من قبل جمعية (مجمع) المعبد في بابل ومن قبل مجلس (مجمع) المدينة في اوروك . غير ان العضوية في مجتمع المدينة لم تكن مقتصرة على اعضاء مجمع المعبد فقد كان هناك سكان اغريق كثيرون في بابل ، ورغم ان هؤلاء الاغريق لم يرتبطوا بالمعبد فانهم وبالتأكيد كان لهم حقوق المواطنة، وقد ظل المجمع في بابل مجمع معبد ولكن مجمع اوروك اصبح هيكلا (علمانيا) دنيويا (secular)[2].

ورغم ان بلاد بابل قد عرفت بعد وفاة الاسكندر فترة من اعقد فترات التاريخ التي مرت بها حيث شهدت السلطة فيها انتقالا من يد إلى يد وبشكل متسارع الا ان هذه الأسرة السلوقية وبعد ان استتبت لها الاوضاع حاولت ان تطبق سياسة ادارية تتلائم وطبيعة البلاد التاريخية والجغرافية ففي الإدارة ورغم انه لا توجد معلومات كافية بخصوص الموظفين الذين كانوا يشغلون مناصب ادارية في مختلف انحاء الامبراطورية الا انه يمكن القول وحسب الاعتقاد السائد انذاك بأن كل ولاية أو ستراببة كان يحكمها قائد عسكري يدعى (strategos) حيث كان يتمتع بسلطات وصلاحيات عسكرية واسعة، إذن فهذه الرتبة العسكرية الممنوحة للقادة السلوقيين في مختلف مقاطعات الامبراطورية ما هي الا صفة ممنوحة لمن تمكنه مؤهلاته من فرض الأمن والاستقرار في مناطق تقطن فيها قبائل جبلية وعناصر سكانية أخرى صعبة المراس كثيرا ما كانت تثير الفتن والقلاقل في وجه سلطان الدولة[3] وهنا يبدو لنا بأن الحكومة الداخلية للسلوقيين قد وضعت كليا التمييز بين الإدارة العسكرية للريف والادارة المدنية للمدن وتخومها[4] وكانت إدارة الامبراطورية السلوقية تحتوي على وزراء يشغلون مناصب متعددة في الدولة الا انه كان هناك وزير له صلاحيات مطلقة يسمى بوزير "للشؤون" و (Hoepiton pragmaton) يهيمن على مختلف دواليب الوزارات ، وفضلا عن ذلك هناك منصب وزاري اخر يسمى "المشرف على الايرادات والدخل العام (Hoepiton prosodon)" ويأتي هذا الوزير "على رأس

---

(1) Jones. A. H. M. D. D. LL. D. , op , cit, , P.160 .

(2) McEwan, Gilbert . J. P. "Priest and temple in Hellenistic Babylonian" , orientalistische Literatur zeitung , Berlin , 1984 , P 144 .

(٣) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص١٤٥.

(4) Ghotz Gustave, Ancient Greece at work, London, 1926 , P 335.

الإدارة المالية للامبراطورية" بيد ان تلك التسمية في بعض الاحيان تدل فيما يبدو على موظف صغير تابع فاما الوظيفة التي كانت تقابل لقبي مدير الشؤون الاقتصادية (oikonomos) ووزير المالية (dioiketes) فهي من الوظائف المتداخلة النشاطات، كما ان السلوقيين كانوا كثيرا ما يسيرون على اساليب الاسكندر في تولية حكام للاقاليم من الفرس ، إضافة إلى تطويرهم لنظام البريد الذي ورثوه عن الفرس الذين سبقوا وان ورثوه عن الاشوريين والبابليين فاصبح اكثر مرونة وفاعلية(١).

٢. الأوضاع الاقتصادية : المالية والنقدية

مثل الاقتصاد احد الأسباب المهمة التي دفعت الغرب اليوناني لغزو الشرق الاسيوي، وقد ذكرنا سابقا اهمية الدافع ودوره في اكتساح الجيوش اليونانية للشرق المعروف بثرائه وغناه فقد كانت بلاد الرافدين تمثل المنبع الذي لا ينضب للخزائن الفارسية خلال الاحتلال الاخميني وشاهدنا كيف ان الاسكندر المقدوني عند احتلاله بلاد فارس وجد كنوزا ضخمة في مدينة برسيبوليس عاصمة بلاد فارس ومدينة سوسا الواقعة جنوب غرب ايران ، ورأينا كيف كان اقتصاد هذه البلاد وأموالها الضخمة وكنوز معابدها العامرة وأرضها الزراعية الخصبة عبارة عن وقف مالي وعقاري موجه لخدمة المجتمع والماكنة الحربية الفارسية وتدعيم أرصدتها المالية في مدنها الرئيسة في ايران وقد استحوذ الاسكندر على كل هذه الثروة عندما أخضع كلا المنطقتين وقد استنزفت اقتصاديات العراق في كلا الفترتين وباوامر من القائد المقدوني أصبحت بلاد بابل عاصمة لمشاريعه الانشائية والتوسعية وقد تطلب ذلك كما هائلا من الاموال لتمويل مثل هذه المشاريع، فكانت أرض العراق مرة أخرى المحور الذي قام عليه شريان اقتصاد الغازي الجديد، وقد ورث السلوقيون ما اقامه الاسكندر وقادته بخصوص النظام الاقتصادي .

ورغم ما قيل عن الرخاء الاقتصادي الحاصل خلال مدة السيطرة الهلنستية الا انه من الصعوبة بمكان اعتبار وجود تبادل تجاري قائم على أساس المصالح المشتركة بين الشرق والغرب حسب ما تذكر المصادر التاريخية ذلك ، لان اقتصاديات الشرق ومقدراته كانت تحت الهيمنة الاجنبية، وحيث كان العراق جزءاً من هذه الهيمنة فان هذا الذي قيل عن تبادل لم يكن سوى تصدير المنتوجات والثروات الضخمة من الشرق إلى الغرب حيث المدن اليونانية والعالم الايجي الذي كان يشهد انقساما ونزاعا مستمرا وضعف اقتصاده بسبب تحول الطرق التجارية عنه(٢).

---

(١) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص١٤٥-١٤٦.

(٢) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٢ ، مج٢ ، المصدر السابق ، ص٤١.

كانت بلاد اليونان خلال هذه المدة تعيش اصعب فترات تاريخها فقد كانت احوال التجارة غير مستقرة خصوصا تجارة الحبوب في العالم الهلنستي الجديد...والتي أربكت بعمق الحياة الاقتصادية لليونان وأنها قادت بالنهاية إلى المضاربة المتوحشة...ورغم المساعدة التي منحت لليونان من قبل عديد من الدول والملوك وانتهاء ازمة تجارة الحبوب...الا ان الاحوال بقيت غير مستقرة..وان مدن معينة تعرضت إلى اوضاع سيئة جدا بسبب نقص الحبوب(١).

كانت اليونان في حالة عدم استقرار حيث الحروب والثورات والتناقضات الاجتماعية والاقتصادية اصبحت واضحة اكثر فاكثر ولكن المواطن الذي لا عمل له ولا مسكن في اليونان وجد الاغاثة في الاراضي الجديدة في الشرق وفي جيوش الملوك الذين جاءوا بعد ذلك(٢).

ومن هنا تبرز أهمية النشاط الاستعماري اليوناني الضخم في مدن الشرق وتطورها الاقتصادي مثل انطاكية وسلوقيا وبابل ودعمها لاقتصاد بلاد اليونان(٣) عن طريق الملوك البطالمة في مصر والسلوقيون في سوريا والعراق. فقد قسم السلوقيون أرض العراق إلى ثلاثة أقسام، أرض الملك وارض المعبد وارض المدينة ولانهم استحوذوا على ملكية اراضي المعبد باعتبارهم اعلى سلطة في هرم الدولة فانه في عهدهم لم توجد الا أرض الدولة وارض المدينة "فأرض الملك كان بعضها ملك يده وبعضها الآخر منحها لكبار ملاك الاراضي من الاهالي"(٤).

هكذا كان تقسيم الاراضي في العهود العراقية السابقة ، الارضي الملكية واراضي المعبد والاراضي المملوكة ملكية خاصة .

لقد استفاد السلوقيون من اقتصاد العراق وارضه ووارداته فقد "كانت اودية دجلة والفرات خصبة إلى حد لا يستطيع خيالنا ان يتصوره ... وكانت الأرض في ايام تلك الامبراطورية ترويها شبكة من القنوات تشرف عليها الدولة وتعني بأمرها وكانت وقتئذ ملكا للملك أو النبلاء من رجال حاشيته أو للمدن أو المعابد أو الافراد وكان الاقنان هم الذين يزرعونها في جميع هذه الاحوال وينتقلون معها إذا ما أورثت أو بيعت وكانت الحكومة تعد كل ما تحتويه الأرض من ثروة ملكا قوميا"(٥) وقد احتفظ التاج لنفسه وباستمرار بسيطرة واسعة على الأرض الملكية (The Royal land) ، فالملك السلوقي لم يتنازل ابدا عن المناجم والمقالع (مناطق منخفضة تستخرج منها الاحجار) وامتلك الكثير من اشجار الكروم (العنب) والنخيل والبساتين

---

(1) Rostovtzeff, M. op. cit, pp. 168-169.

(2) Rostovtzeff, M. op. cit, p 143.

(3) Rostovtzeff, M. op. cit, p.158.

(٤) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص١٤٧.

(٥) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٢ ، مج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٢.

وفوق كل هذا عديد الحقول من الحبوب)... ومساحات واسعة جدا من الاراضي التي تضم سلسلة كاملة من القرى التي يعمل فيها فلاحو الملك وهم فلاحين يتم استأجارهم[١].

ومما ساعد على تفعيل هذه الحركة الاقتصادية هو ازدهار التجارة وتطورها وحسن شبكة الطرق التجارية التي تربط أجزاء الامبراطورية السلوقية .

وقد لعبت هذه الطرق دورا أساسا في تفعيل الحركة الاقتصادية في مختلف انحاء الامبراطورية ففي القرن الثالث ق.م اختلف التطور التجاري لانطاكيا بسبب خسارتها ميناءها سلوقية لصالح البطلميين ولكن في القرن الثاني ق.م فانه قام بوظيفته الطبيعية على انه النقطة النهائية للمرور من بلاد الرافدين وافتتاح تجارة نشيطة مع بحر ايجة وكانت سلوقية على نهر دجلة مركز توزيع للتجارة بالنسبة لبابل عبر مياه الخليج العربي[٢] وكنتيجة لذلك أثرت هذه التجارة المدن التجارية العظمى للمملكة السلوقية سواء على امتداد طريق الفرات، خصوصا سلوقيا على نهر دجلة ومدن بلاد الرافدين الشمالية وانطاكية مع موانئها، ام على امتداد طريق غرب الجزيرة العربية "بعض مدن منطقة عبر الاردن (trans-jordan) دمشق وموانئ فلسطين وفنيقيا" وعلى طريق الحرير (silkroute) للصين ... وعلى الطرق البرية للتجارة الهندية فان السلوقيين كانوا السادة بلا منازع تلك المكانة حافظوا عليها حتى التقدم الفارثي الضخم وغزوهم لبابل وبلاد الرافدين[٣].

لقد شهد قطاع الصناعة إضافة إلى قطاعي الزراعة والتجارة السالف ذكرهما ، عناية وتطورا ملحوظا خلال الفترة الهلنستية في العراق ، رغم ان هذا القطاع ، وبالنظر إلى اقتصاديات بلدان العالم آنذاك يعد قطاعا مهمشا ودخله محدود إذا ما قورن بالزراعة والتجارة ، اللذان يعتبران أساسا للثراء والغنى في مقاييس ذلك الزمان ففي بلاد الشام الخاضعة للسيطرة السلوقية ، نجد ان سوريا الى جانب ثروتها في المحاصيل الزراعية كانت لها صناعة في الوقت نفسه الذي عرفت فيه بلاد بابل بالصناعات التذكارية وخصوصا انسجتها وكذلك الصناعات المزدهرة للمدن الفينيقية في صيدا وصور[٤]. وفي خصوص الصناعات الحرفية في بلاد الرافدين والمدن الهلنستية الأخرى التابعة للسلوقيين فقد بلغت وقتئذ درجة كبيرة من التخصص كان لها الأثر الواضح على تفعيل حركة الاقتصاد السلوقي[٥]. فاضافة إلى ذلك كانت أنواع الزيوت العطرية والعطور تنتج في بابل وبعضها في مدن سورية أخرى...ويمكن ان نقول في النهاية كلمات قليلة عن الفخاريات والاعمال الزخرفية

---

(1) Glotz , G. , op. cit., p.341.

(2) Cary. M, and M. A. D. Litt , op. cit., p.299.

(3) Rostovtzeff, M. vol. I , op. cit. P. 697.

(4)Rostovtzeff, M. vol. I , op. cit. P. 698.

(٥) ديوارنت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٢ ، مج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٢.

وصناعتها السائدة في بلاد الرافدين وأحيانا في أجزاء سوريا وأهميتها في التجارة والتبادل التجاري ، وقد استمرت هذه الصناعات حتى الفترة الفارثية والرومانية واصبح اكثر تطورا في نهاية القرن الأول ق.م[١] رغم انها قد خصص لها رأس مال قليل[٢].

وبالتوازي مع الظروف الاقتصادية التي كان عليها العراق ابان الحكم السلوقي والتي تمثلت في الزراعة والتجارة والصناعة كما وضحنا ذلك قبل قليل فان العنصر المالي هو الآخر يشكل احدى الدعائم الأساسية في تسهيل العمليات التجارية في الداخل والخارج. وقد اوجد السلوقيون لذلك نظما مالية في بلاد بابل كما في سائر الامبراطورية كانت بمثابة الاستحداثات الجديدة الأكثر تنظيما ودقة في العراق في هذه الفترة فقد وجدت المصارف واستعمالات النقد والصيارفة .

ان الذهب والفضة يشكلان الأساسين اللذين يقع عليهما المال آنذاك فقد كان غزيرا بعد ان استفاد الاسكندر من تدفق كنوز بلاد فارس، وبحصول ارتفاع ناتج في الأسعار وانخفاض في معدلات الفائدة وان الصفة العالمية للتجارة قادت إلى توسيع المصارف وادارة صفقاتها لتصبح كبيرة جدا في حجمها ان لم تكن اكثر تعقيدا من صفقات القرن الرابع ق.م[٣] فقد "كانت المصارف تسير وسائل الائتمان الفردي والعام"[٤] وفي مصر كما في العراق ، ومن خلال البرديات الباقية وسجلات المصارف التي تمتلكها الدولة ، يكشف تقريبا عن مجمل الممارسات المالية والودائع والصكوك الحوالات والقروض ووسائل الاعتماد . وان الكثير من المصارف الخاصة (الاهلية) في المدن الاغريقية لها ارتباطات دولية وتعمل في اعمال تجارية متنوعة بصورة واسعة ومن الوسائل المثيرة لحب الاستطلاع انه عندما تطورت هذه المهارة المالية، فان المالية العامة في المدن وصلت إلى انخفاض شديد، وانفقت مقادير كثيرة تتجاوز دخلها، واقترضت باستمرار شديد من المعابد أو من الصيارفة وتعهدت بايراداتها وممتلكات مواطنيها كضمان وكان اكثرها على حافة الافلاس وتستدعي دائما وباستمرار المواطنين الأثرياء والاصدقاء الاثرياء للحصول على مساعداتهم[٥].

ففي هذا العصر كان استلام المال على الودائع قد شهد دورا اكبر ، ومع الزيادة العامة في السفر فان ملائمة احتياطي النقد بالنسبة لتجارة المال ستصبح ضرورة تقريبا، فقد كان الجنود الاعتياديون المغامرون هم الذين يقومون بالايداع في المصارف ، وفي نفس الوقت أصبحت ممارسة شائعة

---

(1) Rostovtzeff, M. vol. II, op. cit., pp 699-700.

(2) Cary. M, and M. A. D. Litt , op. cit., p. 300.

(3) Caldwell , W. E. , op. cit. p. 309.

(٤) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٢ ، مج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٢.

(5) Caldwell , W. E. , op. cit., p. 309.

لاصحاب الأموال من سكان المدينة ان يقوموا بايداع المال عادة في فترة قصيرة من اجل استحقاق الفائدة[1] .

ينقلنا موضوع المال إلى موضوع آخر مرتبط به ارتباطا وثيقا هو موضوع النقد والعملات النقدية وقد شهد هذا الحقل خلال هذه المرحلة نظما نقدية اكثر تطورا عما سبقها، وتجدر الاشارة إلى ان بلاد الرافدين قد عرفت سك العملة خلال القرن السابع ق م في فترة حكم الملك الاشوري سرجون. الا ان استعمالاتها كانت محدودة وعلى نطاق ضيق وتسير جنبا إلى جنب مع أسلوب المقايضة الذي كان شائعا في بلدان العالم القديم[٢].

وقد سبق لبلاد اليونان ان عرفت المسكوكات واستمرت إلى عهد فيليب الثاني وحتى ابنه الاسكندر الذي سار على مشروع أبيه في غزو الشرق و في ضرب المسكوكات الذهبية واكمل عمل والده بالمساعدة على تأسيس نقد موحد وأوجد نظاما عالميا للنقود ذات معدنين "أول نظام عالمي" وذلك لتمويل حملاته العسكرية ، كذلك ضرب مسكوكة فئتها "اربعة دراخمات" وقد استمر التعامل بالمسكوكات الفضية التي اقامها الاسكندر الاكثر من ٢٠٠ عام بعد وفاته وهذا يبين لنا مدى أهميتها وانتشارها[٣]. ولكن كانت الفضة تستخدم بشكل اقرب ما يكون لاستخدام النقد لتقييم الاثمان وتحديد الاجر .

وخلال الفترة الهلنستية "حل التعامل بالنقد في ذلك الوقت محل المقايضة التي ظلت أربعة قرون وسيلة للتعامل لم تقض عليها نقود كروسس لكنها وقتئذ كادت تختفي اختفاء تاما وقد صدرت كل من مصر وسلوقية وغيرها من الحكومات نقودا بلغت من الاستقرار والتشابه حدا يكفي لتيسير التجارة الدولية"[٤].

وتجدر الاشارة إلى ان الاسكندر المقدوني ، عندما كان يخطط لاقامة امبراطوريته العالمية، شملت هذه الخطط برامج تنفيذية تتعلق بسك العملة وامكانية استعمالها في كافة انحاء الامبراطورية لتكون عملة موحدة تتداولها جميع الشعوب الخاضعة لسلطانه، وقد عرفت بلاد الرافدين هذا النوع من العملات النقدية منذ عهد الاسكندر وحتى فترة حكم سلوقس الاولى كستراب على بلاد بابل .

---

(1) Cary. M, and M. A. D. Litt , op. cit., p. 300.

(٢) رشيد فوزي ، سرجون الاكدي ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٦٦ .

(٣) القسوس ، نايف ، نشأة النقود وتطورها ، ط١ ، البنك العربي ، ١٩٩٨، ص٥٤.

(٤) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، مج٢ ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٢.

ان العملات الملكية السلوقية تغطي تسع فترات حكم من سلوقس الأول ويشمل ذلك ديمتريوس الأول ولدينا عملات جميع الملوك باستثناء انطبوخس الثاني وسلوقس الثالث وانطيوخس الخامس وجميعهم لم يحكم الا مدداً قصيرة[١].

ولدينا في هذا الخصوص عدد اجمالي ١٥٣ قطعة عملة نقدية تم تحديدها بصورة تقريبية على الاقل تمثل ٥٩ اصداراً ، ومن هذه الاصدارات نجد العملات الملكية السلوقية بلغت ٢٦ قطعة من ٢٠ اصدار ... وعملات معدنية سلوقية ٨٣ قطعة من ١٩ اصدار إضافة إلى عملات أخرى فارثية ورومانية وغيرها لا تدخل في اطار بحثنا[٢]. وقد جاءتنا سبع عملات من ثلاثة اصدارات من عهد انطيوخس الرابع ومن عهد انطيوخس الأول خمس عملات من ثلاث اصدارات وسلوقس الأول ثلاثة عملات من ثلاث اصدارات[٣]. (ينظر شكل ١٩) .

فقد تم العثور في هذه الفترة على عملات نقدية في بابل لها نوع مشابه للوجه الاساس للعملة، وتظهر على وجهها الآخر المرساة(anchor) ويبدو بوضوح لا يرافقها راس الحصان ، وفي هذا الخصوص يجب الاشارة بان النموذج الطيني لعملة نقدية توجد في سلوقيا وتحمل أنواعا واسم الاسكندر وكذلك رمز سلوقس . وان تخصيص العملات النقدية والتي تحمل اسم الاسكندر في الحكم الثاني لسلوقس وذلك يعني بعد عام ٣١١ ق.م والتي تتطلب افتراض ان في هذه الفترة كان سلوقس تنقصه السلطة الشخصية للايحاء في عملاته النقدية...ولقد تمت الاشارة بان السكان الاصليين في بابل قد رحبوا به كملك بمجرد دخولها عام ٣١١ ق م وعلى هذه الأسس فان العملة النقدية والنموذج الطيني قد تم تخصيصها إلى فترة الحكم الاولى ٢٠/٣٢١ إلى ١٤/٣١٥ ق.م وان تقليد العملات النقدية للاسكندر من قبل الملوك الذين جاءوا بعده حتى فترة متأخرة بصورة معتدلة هي حقيقة معترف بها لكن هذه الحالة تم تطبيقها في المناطق التي تشهد عدم استقرار الحكومة الاسمية أو الصفة المتخلفة للسكان تطلب ذلك ، وان هاتين الحالتين لم تكن سائدة في بابل[٤].

على اي حال لسنا بحاجة إلى ان نوضح العلاقة والفروقات بين طبيعة العملات النقدية التي تم العثور عليها في كلتا المنطقتين، بابل أو سلوقية بقدر ما يهمنا من هذا الموضوع هو ان نسلط الضوء على طبيعة العملات النقدية، ومدى تأثيراتها على حال ومستقبل بلاد الرافدين باعتبارها تشكل وحدة جغرافية واحدة خاضعة بشكل كامل للسيطرة السلوقية وهي عين الفترة التي نروم الكشف عن جوانب

(1) McDwell, R. H, "Preliminary Report upon the excavation at Tel Umar" , Iraq Leroy water man . Michigan press , 1931 , p 49 .

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) McDwell, Robert Harbold, Coins from seleucia on the Tigris , Michigan, 1935, PP.28-29.

مهمة من مميزاتها الحضارية فقد جاءتنا من هذه الفترة العديد من العملات النقدية المعدنية، وهي عملات تعود إلى فترات تاريخية بحسب حكم الملوك السلوقيون وبعض من هذه العملات النقدية مع الاشارة إلى الملوك الذين ظهرت في حكمهم مثل هذه العملات ، وتعد فترة حكم الملك سلوقس الأول من الفترات التي جاءتنا منها عملات نقدية تسمى دراخما (Drachmae)، واحدة من هذه الدراهم تحمل اسم سلوقس فقط في حين ان الدرهم الثاني يحمل اسما له لقب ملكي[١]. (ينظر شكل ٢٠) .

٣. في التركيب الاجتماعي والحياة الدينية :

كانت الدول الهلنستية التي قامت على انقاظ امبراطورية الاسكندر سواء منها السلوقية أو البطلمية أو غيرها بحاجة ماسة إلى "استخدام رجال من جميع الاجناس" في الجيش والمؤسسات ولما تطلب الوضع ذلك فقد عمدت هذه الدول إلى جلب العديد من الرجال من خارج آسيا ومعهم عوائلهم للاستقرار في بلدانهم الجديدة حيث كانت هذه الجاليات تتكون بشكل خاص من العنصر المقدوني والاغريقي وفي غضون حملة الاسكندر على اسيا واستقرار العديد من الجنود هناك واتخاذهم زوجات اسيويات ادى ذلك إلى ظهور "كثير من افراد الجيل الأول نفسه من سلالة الابناء (Epigonoi) ولدوا من أمهات اسيويات" وقد بقي هذا الاختلاط في الزواج مستمرا ومتوارثا جيلا بعد جيل وحيث ان النظم اليونانية في اسيا كانت ترى في نشوء هذه الاجيال ضرورة ملحة لبناء مؤسساتها العسكرية والمدنية فقد عملت على استقطاب هؤلاء للخدمة في هذه المؤسسات مع منحهم امتيازات وحقوقا كبيرين كلما ابدوا ولاءا واخلاصا متزايدين في ارضاء حكامهم[٢].

ذكرنا سابقا الاسكندر المقدوني عندما سيطر على الشرق خامرته فكرة عالمية وهي دمج الشرق بالغرب في بودقة واحدة يكون بمثابة المجتمع الواحد، الذي يلتقي حول مفاهيم مشتركة واحدة في اللغة والدين والثقافة والعادات والتقاليد وما إلى ذلك من العناصر التي تساعد على الانصهار الشامل والتام في مجتمع واحد .

وعن طريق هذه السياسة الاستيطانية التي عمل على ترسيخها الاسكندر المقدوني وفيما بعد الأسرة السلوقية تغلغلت أسر يونانية إلى البلاد وتملك القادة اليونانيون العقارات والاراضي الزراعية فرضوا هيمنتهم على مفاصل الحياة .

ان هذا الدمج بين الشرقيين والغربيين انتج بوضوح تقدما ضخما سواء في المستعمرات المقدونية ام في المدن المحلية وان وجود (الأقوام العاربة) والاغريق سواء (عاربة) اصبحوا هلنستيين ام اغريق

(1) Ibid.

(٢) تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، المصدر السابق ، ص١٧.

موجودين بالشرق كان حقيقة وان ابيفانس (epiphanes) سعى للانتفاع من ذلك لتعزيز وتوحيد امبرطوريته[١] . وخلال هذه الفترة أيضا "فان الفرص السياسية والتجارية والفنية قد اجتذبت سيلا جارفا من المهاجرين المغامرين والمستعمرين والكتبة والجند والتجار والاطباء والعلماء والسراري وكان المثالون والحفارون اليونان ينحتون التماثيل وينقشون النقود لملوك فنيقيا وبابل وغيرها"[٢].

وبذلك أصبحت بلاد بابل مؤلفة من اقوام مختلفة الاجناس والاعراف . وعلى هذا النحو يبدو لنا جليا بان المجتمع العراقي انذاك دخله خليط من الايرانيين والاغريق والمقدونيين ، ومن قبل وفد إلى البلاد خليط اخر من المصريين واليهود والحثيين وغيرهم . ممن غزوا البلاد واستقروا فيها لمدد محدودة واثروا فيها وتاثروا وعاشوا جنبا الى جنب مع السكان المحليين الذين كانوا يؤلفون الغالبية العظمى من السكان ، وقد حاول السلوقيون ان يحولوا هذه الفسيفساء السكانية إلى وحدة واحدة متماسكة في اللغة والاقتصاد والتفكير والمشاعر بان استحدثوا لها مؤسسات وادارة مشتركة يلتقون فيها لخدمة الدولة والمجتمع رغم ان "تركيب المجتمع لم يكن منسقا ولا حاسما فقد كان هناك تدفق ثابت من القادمين الجدد" الذين يريدون الاندماج في الدولة صاحبة المؤسسات الجديدة والنظام الجديد .

كان المجتمع البابلي ، انذاك مكونا من اشخاص لهم ارتباطات وظيفية بالدولة ومؤسساتها وكان المعبد والارض يمثلان المؤسستين الاساسيتين اللتين يلتجئ اليهما الفرد للقيام بدوره نحوها سواء أكان ذلك يتمثل خدمة هذه المعابد ودوائره أو ان يقوموا بدفع علاوات إلى المعابد ذات الاهمية الكبيرة هذا فضلا عن التزاماتهم الأخرى فيما يخص أماكن العبادة[٣]. اما إذا انتقلنا إلى الاوضاع الاجتماعية التي تعيشها بابل فان النشاط الاقتصادي للفترة قد جلب الازدهار للكثيرين وجعل البعض قادرا على بناء ثروات بعيدا وما ووراء احلام العصور المبكرة، وبعيدا عن مواكبة الأسعار فان الامور انخفضت بشدة ، وان تنافس العبيد والكثير من الفقراء وصلوا إلى مستوى معيشي واطيء (مستوى الكفاف) حتى اصبحت الاجور متدنية للغاية بحيث ان تأجير رجل حر اصبح ارخص من امتلاك عبد (عبيد) ولهذا تدهورت تجارة العبيد...ورغم ان الشخص الثري كان سخيا في الاجور التي يدفعها للعمال...ان الفرق بين الطبقات والعبء المتزايد للدين والفقر انتج تهديدا ثابتا للثروة الاجتماعية في الكثير من المدن الاغريقية[٤].

اما بالنسبة للجانب الديني فان الفترة الهلنستية مثلت اوجه التأثير المتبادل بين الشرق والغرب، فقد تأثر الدين والآلهة الاغريقية وطرق عبادتها وطقوسها بمثيلاتها في معتقدات العراقيين القدماء كما

---

(1) Rostovtzeff , M. op., cit. vol. II , p 704.

(٢) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، مج٢ ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٤.

(٣) جماعة من علماء الآثار السوفييت ، المصدر السابق ، ص٤٧٩.

(4) Caldwell , W. E. , op. cit., p.310.

اسلفنا الذكر وباعتبار ان هذه الفترة قد شهدت احتكاكا مباشرا بين الشعبين فقد قاد ذلك إلى تلاقح حضاري انعكس على حضارة بلاد الرافدين أيضا التي تأثرت هي الأخرى ببعض مفردات وعناصر الحضارة الهيلينية. ففي الفترة الهلنستية ورغم ان المعتقدات الدينية العراقية القديمة قد استمرت تشق طريقها الخاص بها الا انها شهدت بعض المؤثرات بمعتقدات الاغريق الدينية رغم ان هذه الاخيرة قد عرفت تغيرات أساسية منذ حوالي قرنين مضت ويعزى بعض الباحثين أسباب التغيرات هذه في الديانة الاغريقية والى ما جاءت به الفلسفة السفسطائية من افكار تشكيكية طالت جميع فروع المعرفة بما فيها المعتقدات الدينية[١].

اما الأسباب الكامنة وراء تأثر فئة معينة من المجتمع العراقي القديم ببعض المعتقدات الدينية الاغريقية ولاسيما في اسماء بعض الآلهة حيث "اخذت الآلهة الشرقية في بعض الاحيان أسماء الآلهة الاغريقية" فذلك يعود إلى جملة المعطيات والظروف السياسية التي ألمت بالبلاد ، فقد كان الملوك السلوقيون يعملون باستمرار على ايجاد مبررات ومرتكزات دينية لتبرير اعمالهم السياسية وترسيخ ادعاءاتهم في الحكم إلى الحد الذي ادعوا فيه بانهم ينحدرون من أصول الهية وقد تم لهم ذلك حين وجدوا ضالتهم في اله الحكمة والمعرفة ابولو[٢].

ولتوطيد مفاهيمهم السياسية هذه في الحكم أيضا فقد عمد الملوك السلوقيون إلى ايجاد مؤسسات دينية تتمثل في بناء وتشييد المعابد وصيانتها لكي يكون عملها اكثر فاعلية في التوسع والتأثير والانتشار في النسيج الاجتماعي، وقد تم العثور على مثل هذه المعابد ذات العلاقة في مدينة نينوى وكذلك وجد الاثاريون مستوطنا في مدينة نمرود يؤرخ في حدود ٢٤٠-١٤٠ ق م إذ يكشف لنا عن مدى تأثر القوم "بالمعتقدات الدينية للعصر وما صاحبها من التحام في مفرداتها المتشعبة"[٣].

وقد أدى هذا التشعب والاندماج إلى تطابق كبير في معتقدات كلا الحضارتين هذا فضلا عن التأثيرات الدينية الهلنستية والتشابه الكبير في بعض من ملامحه العامة لما وضعنا معالمها الأساسية عند حديثنا عن تأثير المعتقدات الدينية العراقية القديمة في مثيلتها الاغريقية خصوصا في مجال الطقوس والمراسيم والقرابين المتنوعة التي تعود إلى ما قبل الفترة الهلنستية وخلالها عندما تم اثبات وجودها في الفترة البابلية الحديثة مدة الاحتلال الفارسي وقام الملوك السلوقيون ببعض التغيرات فيما بعد عندما قدموا معتقدات الاسلاف (الاجداد) الملكيين على معتقدات القوم السابقين[٤].

---

(١) الصالحي ، واثق اسماعيل ، المعتقدات ، المصدر السابق ، ص٣١٨-٣١٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢٠-٣٢١.

(٣) الصالحي ، واثق اسماعيل ، المعتقدات ، المصدر السابق ، ٣٢٢-٣٢٣.

(4) McEdwan , G. , T. J. P. op . cit. , p.144 .

فقد تم العثور في احدى طبقات الاحتلال السلوقي على عدد لا باس به من الالهة التي تعود إلى الفترة الهلنستية ، وتظهر الآلهة وهي تلبس رداءا اغريقيا وتحمل طفلا على صدرها وشعرها مصفوف باسلوب حديث ، وهناك دمية لامراة عارية هي الأخرى تحمل خصائص ومميزات اغريقية حيث يتجلى لنا هنا التأثير الاغريقي بشكل واضح(١) .

كما يتجلى لنا هذا التأثير أيضا في عادة دفن الموتى ففي نفس هذه الطبقات عثر على مدافن تعود إلى القرنيين الخامس والرابع ق.م ، ان تتميز هذه المدافن بقبورها المقلوبة رغم وجود التوابيت الحوضية التي استخدمت فيها احيانا ، وقد استمر استخدام هذا النمط مع بعض التعديلات الطفيفة في طول التابوت لكي يكون ملائما في عملية الدفن التي يكون فيها الميت ممتدا، إلى جانب ذلك عثر على قبعة وتوابيت ذات اشكال جديدة تعود بأصولها إلى الحضارة الهيلينية(٢) ، ما يهمنا في هذا الخصوص هو تتبع التأثيرات التي خلفها لنا الهيلينيون في هذا المجال .

داب السلوقيون في الفترة الهلنستية على ان يدفنوا موتاهم في بيوت سكنى مهجورة وكانت قبورهم قد أخذت مظهرا هيلينيا الا ان تأثيراتهم لم تكن عميقة. كان بناء القبور تستخدم فيه مواد مثل احجار الاجر "المأخوذة من المباني المعدمة" وكذلك ملاط المجبس(٣) حيث كان الميت يدفن وهو في "وضع الجلوس القرفصائي... يبدوا لنا على اي حال ان الدفن القرفصائي كان عادة بابلية اما عادة الدفن الاستلقائي في الفترة السلوقية.. فهي عادة اغريقية ومصرية دخيلة"(٤).

٤. العمارة وانتشار الثقافة الهيلينية :

نتج عن غزو الاسكندر العسكري للشرق حدوث تغيرات جذرية مهمة في مجتمعات هذه البلدان، فالاسكندر كان يحلم بدمج الشرق بالغرب في بوتقة واحدة وجعله يدين بحضارة وثقافة مشتركة تلتقي فيه الحضارة الاغريقية مع الحضارات الشرقية ، وقد كانت خطواته الاولى في انجاح هذا المشروع هو تشجيعه الزواج بين الاغريق والسكان الاصليين ، فقد وفد على بلاد بابل إضافة إلى العسكريين الاغريق والمقدونيين من جيش الاسكندر فئات اجتماعية أخرى قدمت من بلاد اليونان واحتلت مواقع وظيفية في البلاد ويعد هؤلاء الجنود الموظفون عمالا أساسيين في انشاء إدارة حكومية جديدة إضافة إلى القادمين الجدد من اليونانيين الذين كانوا يتوافدون باستمرار على بلاد بابل ، وقد راى القادة

---

(١) رويتر ، اوسكار ، بابل المدينة الداخلية المركز ، ترجمة : نوال خورشيد سعيد وعلي يحيى منصور ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٤٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٧٤.

(٣) رويتر ، اوسكار ، المصدر السابق ، ص٤٥.

(٤) المصدر نفسه .

المقدونيون وعلى رأسهم الاسكندر انه إذا ما ارادوا تحقيق احلامهم في نشر الهيلنية في بلاد بابل وربوع الشرق الأخرى فلابد من بناء مستعمرات تكون "مراكز اشعاع حضارية اغريقية للمناطق المجاورة"[١] وقد بدأت نشاطات بناء المدن منذ عهد الاسكندر وتواصلت إلى عهد خلفائه من القادة السلوقيون فاسست هذه المدن على الطراز اليوناني فبنى الاسكندر عددا من المدن في مناطق متفرقة من امبراطوريته إذ تشير المصادر التاريخية إلى انه بنى حوالي سبعين حاضرة ، قد عرفت اغلب أقاليمها نموا وازدهارا كبيرين وبالتوازي مع ذلك بدا السكان ينتقلون إلى هذه الحواضر الجديدة ويقيمون فيها وبذلك تكون الحركات المعمارية تسير في خط واحد مع حركات انتقال واسعة للسكان[٢] وتجدر الاشارة إلى ان هذه المدن الجديدة كان من أهم مميزاتها الاندماج بين سكانها والتلاقح الحضاري فيما بينهم . فضلا عن مساهمتها في اثراء وتطور الحياة الجديدة للسكان ، فأصبحت كل مدينة عبارة عن وحدة حضارية مختلفة نوعيا كما عرفته مدن الشرق القديمة قبل الغزو الاغريقي لها ، فهي مدن تمت هلنستها "بجميع اوجهها ومقوماتها العلمية والاجتماعية والاقتصادية والادبية" وافض هذا الواقع الجديد إلى نوع آخر من (نظام المدينة) الذي كان سائدا في حضارة بلاد الرافدين والحضارة اليونانية من قبل[٣] ولذلك نجد الاسكندر أينما ذهب وحل كان يقوم ببناء المدن على الطراز الاغريقي لتكون اولا عبارة عن حامية وحصن عسكري ثم مراكز تنتشر من خلالها الثقافة الاغريقية ومن بين هذه المدن الاسكندرية الواقعة في حلق النيل التي لا تزال مدينة مزدهرة حتى الفترة الرومانية عندما كانت من بين المدن الرئيسة للعالم المتمدن مشهورة بمكتبتها ورجالها المثقفين[٤].

سار السلوقيون على نفس هذه السياسة وكان سلوقس الأول الملقب بنيكاتور مؤسس دولة السلوقيين في العراق قد بنى العديد من المدن على الطراز اليوناني تسعة منها اخذت اسم سلوقية وستة عشرة سميت بانطاكية وثلاث مدن باسم افامية أو ابامية نسبة إلى زوجته الفارسية اباما واسس خمس مدن أخرى حملت اسم اللاذقية نسبة إلى أمه لاوديسي (Laodice)[٥] كان هدف السلوقيين هو اغرقة بلاد الرافدين والشرق بارتكازهم على شبكة المدن والمستعمرات التي انتشرت عبر الاراضي السورية الشمالية مرورا ببلاد الرافدين وفارس وما وراءها ولذلك عمل ملوكهم اللاحقون من أمثال انطيوخس الأول والثاني وابيفانس على انجاح هذه السياسة[٦].

---

(١) الصالحي ، واثق اسماعيل ، "العمارة في العصر السلوقي" ، حضارة العراق ، ج٣ ، بغداد ١٩٨٥ ، ص١٨٨.

(٢) عبد الحق ، سليم عادل ، الفن الاغريقي وآثاره المشهورة في الشرق ، ابحاث مختصرة في فنون النحت والعمارة وتنظيم المدن عند الاغريق ، دمشق ، ١٩٥٠ ، ص١٧٣.

(٣) باقر ، طه ، المقدمة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص ٥٩٦.

(4) Gadd . K . M. op. cit., p.190 .

(٥) عبد الحق ، سليم عادل ، المصدر السابق ، ص١٧٣.

(٦) المصدر نفسه ، ص١٧٨.

ما يهمنا في هذا الخصوص هو الحركة المعمارية التي شرع السلوقيون بتنفيذها في بلاد الرافدين والاثار المعمارية الهلنستية التي تركوها شاخصة لعدة سنوات فالسلوقيون مثلهم مثل الاسكندر ورثوا حضارة هيلينية اعتقدوا في كونها يمكن ان تكون برنامجا للوحدة وان كثيرا من المدن تم تأسيسها... فسلوقية على نهر دجلة احتلت مكانة بابل كأكبر مدينة في بلاد الرافدين إذ يقال ان سكانها بلغ ٦٠٠٠٠٠ نسمة... وان الطريق الفارسي والنظام البريدي قد تمت المحافظة عليهما، فالطريق الملكي يجري من ساريس (sardis) إلى انطاكية ويعبر الفرات عن طريق جسر دورا (doura) حيث تطورت مدينة مزدهرة وسيستمر الطريق إلى سلوقية[١] وحتى الخليج العربي وبذلك تكون مدينة سلوقية في العراق تقع على ملتقى طرق تجارية مهمة مما جعلها تشهد حركة اقتصادية ومعمارية هائلة "فاستقطب هذا المركز الجديد الحركة التجارية بقوة"[٢] ، فبناء مدينة سلوقية بدأت مدينة بابل تفقد مكانتها شيئا فشيئا خصوصا بعد ان انتقلت اعداد غفيرة من سكان بابل للاستيطان في سلوقية[٣] ورغم ذلك فان الاسكندر والسلوقيين حافظوا على الاسماء القديمة للأشهر والمدن والمعابد في بابل بالضبط مثلما قام بذلك الملوك الاخمينيون ولم يقوموا باية محاولة لتغيير أسماء بابل وبوريسبا (Borsippa) ونيبور (Nippur) أو اوروك (Uruk) إلى أسماء مدن اغريقية (polis) ولكن تركها وشأنها مثلما كانت وان مكتبة كبيرة تضم نصوصا أدبية ودينية على الواح مسمارية قد تم ارجاعها إلى مدينة اوروك إذ توقع ان المساعي الاكاديمية التقليدية استمرت بدون الاشارة بانها فقدت حماسها[٤] لقد وفق السلوقيون أيما توفيق في اختيار موقع بناء سلوقية فقد كان موضعها مناسبا للغاية لاستقطاب التجارة والمبادلات التجارية بين أرض الجزيرة والخليج العربي، فهي تقع على دجلة وتبعد حوالي ٩٠ كلم إلى الشمال من بابل في موقع مدينة اوبيس القديمة (opis) التي تعود إلى العهد البابلي الحديث وتعرف بقاياها الان باسم (تل عمر) على الضفة الغربية لنهر دجلة[٥].

دجلة[٥].

أصبحت مدينة سلوقية بعد ان اتم بناؤها وما تميز به موقعها الجغرافي الواقع على الطرق التجارية الهامة تمثل أهم المدن الهلنستية التي احتضنت الاقليات الاغريقية المهاجرة فزادها بذلك اعتبارا ومكانة كبيرين لدى السلطات السلوقية التي احاطتها بأسوار ضخمة فضلا عن تحصيناتها العسكرية المعروفة بأبراجها العالية المربعة الشكل والتي لا تزال معالمها شاخصة بوضوح .

---

(1) Caldwell , W. E. , op cit. , p. 301 .

(٢) روثن ، مارغريت ، تاريخ بابل ، المصدر السابق ، ص١٧٤.

(٣) جماعة من علماء الآثار السوفييت ، المصدر السابق ، ص٤٨٨.

(4) Dalley S. and A.T. Reyes , op. cit , p.111-112 .

(٥) الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص١٨٨.

لقد كان السلوقيون يتبعون في بنائهم للمدن في الشرق والتي كانت سلوقية على دجلة واحدة منها الطريقة اليونانية فتجدهم اعتمدوا على أصول التخطيط المنظم والاصول اليونانية والمسمى بالتخطيط الهيبوديمي (Hippodomian) وهو على شكل رقعة الشطرنج بشوارعه المستقيمة والمتقاطعة مع بعضها بزوايا قائمة، ان هذا الصنف من التخطيط هو ايوني اغريقي المنشأ اخذ اسم صاحبه واشتهر به وهو من مدينة ميليتوس في اسيا الصغرى حيث ظهرت ميوله الابداعية في البناء وفق هذا الأسلوب عام ٤٧٩ ق م عندما اعاد بناء مدينته التي دمرها الفرس، ونظرا لأهمية وجدوى هذا التخطيط فقد تبناه الاسكندر والسلوقيون ومن بعدهما الرومان في بناء وتأسيس مدنهم نظرا لكونه "يلبي الاحتياجات العملية للمستعمرات والمدن الاغريقية ولان الاغريق كانوا محبين للنظام والانسجام والتناسق"[١] فالمدينة الهلنستية كانت قبل بنائها يتم تحضير وتخصيص الاراضي والمكان الذي سيتم عليها تأسيسها وتعتبر الاكورا (Agora) هي نواة ومركز حياتها وقلبها النابض في حين احتوت تقسيمات مربعة الشكل أو مستطيلة وهي عبارة عن وحدات تابعة لها مثل الاسواق التجارية ومراكز للتجمعات السياسية "وتميزت شوارعها بعرض واسع نسبيا وقسم منها رصف بالحصى الناعم وقسمت أراضيها المخصصة للسكن إلى وحدات سكنية متساوية ثم وزعت على المواطنين بطريقة ديمقراطية"[٢]. (ينظر شكل ٢١) .

واحتوت المدينة أيضا على ملحقات أخرى من البنايات مثل المسارح والملاعب، إذ تشير بعض النصوص المسمارية إلى ان الملك انطيوخس الرابع بنى خلال فترة حكمه المسرح لما كان له من أهمية اجتماعية كبيرة في حياة الجاليات الاغريقية المقيمة في بابل[٣] فالمسرح بحسب بعض المصادر كان موجودا حتى قبل السلوقيون واحتمالية وجوده منذ ايام الاسكندر المقدوني هي احتمالية قائمة وعلى هذا اعاد السلوقيون بناءه وترك لمدة زمنية ثم اعيد تشييده مرة أخرى على شكل نصف دائري وساحة ذات أعمدة[٤].

وتأكيدا لهذا التوجه فان البروفسور لنزن يقر بان المسرح البابلي تم بناؤه في الفترة الهلنستية على انقاض بيوت السكن البابلية القديمة فالمسرح القديم تمت اعادة بنائه لعدة مرات بيد ان المسرح الاقدم كان يحتوي على منصة قسمت بالنصف بشكل دائري حول أعمدة منتصبة امام دعامات قائمة شيدت طبقاتها السفلى من الطابوق المحروق غير ان الجزء العلوي من المسرح شيد من الطابوق غير

---

(١) الصالحي ، واثق اسماعيل، "المدينة منذ العصر السلوقي حتى ظهور الإسلام" ، حضارة العراق ، ج٣، ١٩٨٥ ص٣٥٠-٣٥١.

(٢) الصالحي ، واثق اسماعيل ، المدينة المصدر السابق ، ص٣٥١.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٩٢-١٩٣.

(٤) محمد علي ، محمد سعيد ، "المسرح الاغريقي" ، سومر ، ج١+٢ ، مج ٣٥ ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص٩٤-٩٥ .

المحروق الملقي على الانقاض...ونرى أن (Koldewey) كولدواي على حق عندما قال أن هذه الانقاض هي من مخلفات أعمال الاسكندر البنائية وانها جلبت من ناحية معبد اتيمينانكي (Etemenanki) .

وقد بقي هذا المسرح على حاله في الفترة الهلنستية ، الا انه بمرور الزمن تحول إلى اطلال حتى الفترة الفارثية عندما اعيد بناؤه من جديد ، وتجدر الاشارة إلى ان المسرح اليوناني في بابل يعتبر واحد من بين تلك المسارح اليونانية التي تم تشييدها في بلاد بابل الا اننا لم نتوصل إلى اكتشافها أو معرفتها وتبقى هذه الاعمال من الانجازات الحضارية المهمة التي خلفها لنا اليونانيون[١]. (ينظر شكل ٢٢) .

وقد تميزت المسارح الهلنستية في كل من سلوقية على دجلة ودورا يوبوس في منطقة الصالحية في سوريا باتساعها واحتوائها على بعض المعابد لكي تتسع لأكبر عدد ممكن من المشاهدين وان حديثنا عن العمارة اليونانية ومدى تأثيرها في العمارة الشرقية ينقلنا أيضا إلى طابع العمارة البابلية ، على اعتبار ان هذه الفترة قد شهدت تداخل وتمازج في فن العمارة ، فأن بعض خصائص العمارة البابلية أبقيت على حالها وتم الاحتفاظ بها ويظهر ذلك من خلال بناء بعض المعابد وفق الطراز البابلي المعروف بمخططه فهو "يشتمل على غرفة واحدة مستعرضة يدخل اليها من أحد الجوانب الطويلة وعلى جانبيها غرف اضافية وخلوة تقع في الجدار الخلفي المقابل للمدخل ويفتح المعبد على ساحة وسطية تضم معابد أو مزارات أخرى وابرز مثال على المعابد حسب المخطط البابلي هو معبد انو – انتم في الوركاء الذي يؤرخ الحدود عام ١٧٠ ق.م ودخل هذا التخطيط في معبد في سلوقية على دجلة يؤرخ في حدود عام ١٤٠ ق.م"[٢].

فالشكل العام للعمارة البابلية تتميز بكونها يتم فيها استعمال الطوب اللبن في عمليات البناء سواء أكان في ذلك المباني والمؤسسات الدينية أو المدنية أو الهياكل البنائية الأخرى الشاهقة كالزقورات والابراج المدرجة وغيرها[٣].

اما إذا اعدنا إلى مميزات العمارة في العصر السلوقي فانها تظهر من خلال ما عثر عليه المنقبون في هذه المدينة من معابد تميزت بكونها مكشوفة ومحاطة بممرات من جوانبها الاربعة ومن الممكن ان تكون هذه البنايات قد احيطت بأعمدة، وتم العثور أيضا على شارع به اعمدة

(1) Lenzen. H.J. The Greek Theater in Babylon, sumer, vol. XV. 1959 p.39.

(٢) الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص١٩٣-١٩٤.

(٣) مصطفى ، صالح لمعي ، عمارة الحضارات القديمة ، المصرية ما بين النهرين ، اليونانية ، الرومانية "، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٤٦.

(Porticoedstreet) ومن اشهر المعابد التي تعود إلى هذه الفترة معبد شحيرو ومرن (الهلنستي) في مدينة الحضر[١] . (ينظر الشكلين ٢٣ ، ٢٤) .

اما بالنسبة إلى المنازل الاغريقية فانه تم بناء العديد من القصور والبيوت السكنية في هذه الفترة من حكم السلوقيين. فالقصر الذي تم العثور عليه في مدينة نيبور من طرف الدكتور بيترز (Peters) عام ١٨٨٩ يؤكد حالات تشابه معينة للأشكال المايسينية وهذا ما جعل بعض الباحثين..يصف البناية على انها مايسينية خاصة إذا ما قورنت في تفاصيلها مع القصر في مدينة تيرينس وهذا النمط في بناء المنازل الاغريقية كان شائعا في العصور الهلنستية (ينظر شكل ٢٥)[٢] وقد جاءنا العديد من المخططات عن القصور الهلنستية التي تميزت بعمارة هلنستية ذات مواد بناء محلية استخدم فيها اللبن في تشييد الجدران تم تغطيتها بطبقة من الملاط ويعتبر القصر في مدينة نفر من القصور التي عرفت بتأثير العمارة الهلنستية ، فهذا القصر يحتوي "على ساحة وسطية مكشوفة ومحاطة بأعمدة دورية (Doric) وساحة أخرى مكشوفة أيضا وحولهما قاعات وغرف القصر... اما القصر الكبير في سلوقية فقد احتوى على عدة وحدات بنائية متشابهة تألفت الواحدة منها من غرف تحيط بساحة مكشوفة"[٣] (ينظر شكل ٢٦) ، وقاعات (Megaron) مفتوحة من الجانب الجنوبي يوصل اليها من خلال سقفية تحتوي على عمودين في مدخلها ومخططات القصرين في نفر وسلوقية تعكس اندماج أو توحيد فكرتين معماريتين ، بابلية وهلنستية فالقاعة (Megarom) اغريقية والساحة المكشوفة بابلية"[٤]. (ينظر شكل ٢٧) .

ان هذا التداخل في العمارة البابلية والهيلينية هي سمة هذا العصر وتواصلت حتى الفترة الفارثية التي احتوت تأثيرات هلنستية وبابلية مشتركة ويظهر ذلك خصوصا في طابع الأعمدة والتيجان والاواوين الاشورية التي أثرت هي الأخرى بشكل ملموس على الطابع للدواوين الهلنستية والفارثية[٥] وعلى أية حال فان حالات التشابه تبقى موجودة وان العمل الهلنستي كان سليلا مباشرا لعمل عصور ما قبل التاريخ وهذا الاستمرار لا يزال اكثر وضوحا في حالة المنازل[٦].

---

(١) الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص١٩٥.

(2) Rider , Bertha Carr , Ancient Greek houses , Their history and development from the Neolithic period to the Hellenistic age , Chicago , 1964, PP.239-240 .

(٣) الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص١٩٥.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) هايتس لينتسن ، فالتر اندريه ، اشور المدينة الهلنستية ، ترجمة : عبد الرزاق كامل حسن ، بغداد ، ١٩٩٧ ، ص٢٠-٢٢.

(6) Rider , B. C. , op . cit., p. 240 .

ان اكتشاف هذه المنازل الهلنستية من القرن الثاني ق.م يعطينا تصورا على اهمية هذا الاكتشاف الذي يقودنا إلى تصور عام للتاريخ ويمدنا بانطباع حول تطور المنازل وهنا لدينا دليل تذكاري لاستمرارية نوع من البناء تم اعتباره سابقا منقرضا منذ فترة طويلة في البناء المعماري للمنازل[١] اما البيوت السكنية "فقد كانت تتركز حول فناء مكشوف أو في بعض الاحيان حول فنائين مستطيلين مكشوفين وقد استمرت السكنى خلال هذا العصر في بيوت شيدت حسب التخطيط البابلي القديم في مدن العراق القديمة"[٢].

وفي شمال بلاد الرافدين انشا السلوقيون عديد القرى السكنية في عديد المدن مثل مدينة كالح (النمرود) التي تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة ويعود تاريخها إلى حدود القرن الثالث ق.م حيث حدد الاثاريون تاريخ بداية السكن في هذه المدينة إلى فترة بين ٢٥٠-٢٤٠ ق.م وتوقفت عن الاستيطان فيها في حدود ١٤٠ ق.م ، ومن مميزات بيوت السكن في هذه المدينة هي انها صغيرة وتخطيطها غير منتظم والبيت مؤلف من غرف للسكن محاط "بساحة وسطية صغيرة مكشوفة احتوت على أفران فخارية (تنانير) لخبز الرغيف"[٣] هذا وشهدت هذه الفترة تغيرات وتطورات ملحوظة هامة في العمارة "نتيجة لمحاولة فهم البناء العراقي وعناصر العمارة الاغريقية ودمجها مع العناصر المحلية" حيث يظهر هذا التطور خصوصا في دراسة القصر في مدينة سلوقية على دجلة[٤] .

ان امتزاج الثقافات الذي انجزه الدافع لنشر الهلنستية يؤشر نقطة انقلاب بارزة في تاريخ الحضارة لانه من هذا الامتزاج ظهرت حضارة اروبا ولذلك فان العمليات التي كان فيها الامتزاج مؤثرا هي عمليات تستحق اهتماما شديدا فهذه التأثيرات تم نقلها بطرق متعددة[٥].

لقد امتد هذا التداخل بين العمارة العراقية والعمارة الهيلينية ليشمل أيضا بعض النقوشات والزخارف الفنية العالية التطور والمعمولة من الجص وعثر في مدينة بابل على مجموعة من الكسر هي من مخلفات المسرح الاغريقي في بابل تثبت ذلك ونفس هذه الزخارف عثر عليها في القصر في سلوقية وبطبقاته الثلاث وتم عمل واجهات الأبنية في مدينة اشور بأسلوب تقليدي سابق عندما اندمج الاسلوب البابلي حول استعمال الضوء مع عناصر العمارة الاغريقية[٦] جنبا إلى جنب مع بعض

---

(1) Rider , B. C. , op . cit., p.246-247.

(٢) الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص١٩٦.

(٣) الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص١٩٧-٢٠٠.

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٠٣.

(5) Hadas , Moses , Hellenistic culture , “fusion and Diffusion” , London , 1959 , p3 .

(٦) الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص٢٠٧-٢٠٨.

الانماط الاشورية المميزة فان لدينا عددا من السلع الجديدة والاعمال الأدبية الزخرفية المشتقة بشكل واضح من الخزف الهلنستي[١]. (ينظر شكل ٢٨) .

يمكن القول عموما بان العمارة العراقية في هذه الفترة قد شهدت تغييرات واندماجا واضح المعالم مع العمارة الهيلينية التي اتى بها الاغريق إلى البلاد كما كان لدور المدن التي تم تأسيسها أهمية بالغة في الحياة العامة لبلاد الرافدين ، حيث كان الهيلينيون يهدفون من وراء هذه المدن إلى نشر ثقافتهم وأفكارهم لكي يجعلوا الشرق يدين بنمط جديد في اسلوب حياته ورؤيته للمستقبل. فالبناء المؤسساتي للمدن الهلنستية يظهر من خلال المدينة التي كانت تمتلك دستورا اغريقيا منتظما وتقام فيها مهرجانات اغريقية ، وتتمتع بحقوقها الثقافية وممتلكاتها الخاصة بها[٢] أيضا ، فالمدن البابلية اعتبرت نفسها مدينة(polis) بمعنى اغريقي وان مصطلحات "بابلي" "واوروكي" (Urukean) استعملت بمعنى اغريقي بشكل أو باخر وان الحكام السلوقيين لم يقوموا باي تمييز تفاضلي بين المدن البابلية الأقدم والمدن الاغريقية التي تم تأسيسها بعد الغزو المقدوني لبلاد الرافدين[٣] ، واستنادا إلى ذلك انتشرت الثقافة الاغريقية أفقيا فاللغة الاغريقية مثلا كانت مستعملة من قبل الطبقة الحاكمة في المدن الكبرى وكانت مستعملة من قبل الموظفين في كافة انحاء البلاد ولكنها انتجت فقط سطحا اغريقيا تحته ظل السكان المحليون متاثرين تاثرا نسبيا[٤] واهتم الملوك السلوقيون بالثقافة ورعاية العلماء والشعراء والباحثين وقد برز في بلاط السلوقيين مفكرون وشعراء كبار على رأسهم يأتي الشاعر الشهير اراتوس (٣١٥-٢٣٩ق.م)[٥] فاللغة والثقافة اليونانيتين شهدتا توسعا وانتشارا كبيرين في آسيا الصغرى وبلاد الشام وبابل وتجاوزت بذلك نهري دجلة والفرات لتصل إلى الهند وبكتريا، ذلك ان الدم والروح اليونانيتين لم يكونا في اي عصر من العصور اشد حماسة وشجاعة من ذلك العصر فقد حققت "الأدب والفنون اليونانية نصرا مؤزرا" وواسع النطاق في المناطق التي خضعت تحت نفوذهم[٦].

ورغم الانشقاقات السياسية والتفكك السريع للغاية والمشكلات الداخلية والتدهور الاقتصادي المتنامي فان الحقيقة تبقى قائمة وهي ان جزر الثقافة الاغريقية في الشرق لم تفقد صفتها الاغريقية ابدا وان الثقافة الاغريقية لم تطمس نهائيا في محيطاتها الشرقية ، وقد ظهرت بهذا الخصوص جهود الملوك للمحافظة على الهوية الاغريقية في ممالكهم وهي جهود لا طائل منها وليست فقط دول المدن الاغريقية في آسيا ومصر ولكن كذلك المنظمات التعاونية الصغيرة أظهرت نجاحا ملحوظا رغم ضغط

---

(1) Oates , David , Studies in the ancient history of northern Iraq , London , 1968 p , 4 .

(2) Rostovtzeff , M , Vol. II , op cit. , p . 840 .

(3) McEwan, G. . J. P. OLZ , op. cit. , p.145 .

(4) O'Leary , D. D, Delay . Haw Greek science passed to the Arabs , London , p.7 .

(٥) دواني ، جلانفيل ، انطاكية القديمة ، ترجمة : ابراهيم نصعي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص٧٠.

(٦) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، ج٢ ، مج٢ ، المصدر السابق، ص٨ .

بيئتها الشرقية وان الممالك الهلنستية في الوقت الذي ظلت فيه على قيد الحياة فانها استمرت في الامتداد ونشر الهلنستية في عناصرها الشرقية بدون ان تعاني نفسها من الفكك من هذه العناصر[١]. وفي محاولة لنشر الثقافة الهيلينية فان القانون الاغريقي اصبح معمولا به وان الآلهة الاغريقية قد تمت عبادتها والفلسفة والعلم تمت دراستهما وتم انشاء المسارح والملاعب على الطريقة الاغريقية وفي ذلك الوقت فان حب الاستطلاع الاغريقي قاد إلى انبعاث الاهتمام بالأدبيات المسمارية القديمة وفي الكهانة والفلك الكلديين[٢] شملت التأثيرات الاغريقية أيضا عناصر حضارية أخرى شكلت أركان أساسية للثقافة الهيلينية في بلاد بابل والشرق في الدراما والمسرح والفلسفة وغيرها من العناصر الحضارية .

فالدراما لم تكن شائعة بصورة شاملة ، فكل مدينة كان لها مسرحها الخاص بها ، كما كانت الفرق المتجولة "الفنانين الديونيسوسيين نسبة إلى الالهة ديونيسوس" كانت هذه الفرق تنتقل من مكان لاخر لأداء المسرحيات المفضلة التي كتبها كتاب الدراما العظام ... وان المسرحيات التراجيدية (الماساوية) كتبت ولكن مثلها مثل المسرحيات في القرن الرابع ق.م كان لها نتيجة قليلة وبذلك اختفت كليا واما المسرحيات الكوميدية حصلت على دافع جديد من ميناندر الاثيني بعد عام ٣٠٠ ق.م[٣].

وقد امتدت تأثيرات هذه المسرحيات ليس فقط إلى المجتمع البابلي الشرقي وانما أيضا كان لها الأثر الشديد على الرومان فيما بعد[٤] .

ان للمسرح في حياة الإنسان أهمية كبيرة واثرا عميقا في حياة المجتمع ودوره الفعال في التوجيه والترفيه والنقد وقد تفطن الاغريق لهذه المميزات حتى ان المؤرخين ارجعوا أصول المسرح ونشوئه إلى اليونان نظرا "بما انفردت به العقلية الاغريقية" من عبقرية[٥]. الا ان الحقيقة التاريخية تؤكد بان الاغريق هم الذين اخذوا أصول المسرح من الشرق ولاسيما عناصره الاساسية والمتمثلة بالأسطورة من بلاد الرافدين وقد كان في مقدمة هذه الأساطير، قصة تموز وعشتار كما تمت الاشارة إلى ذلك من قبل وقد اخذ اليونان هذه الأساطير وحوروها وفق منظورهم الخاص وأصبحت الأسس التي قام عليها مسرحهم فيما بعد وعليه "تكمن الاصول الاولى للمسرح اليوناني في الاحتفالات الدينية التي تقام في المناطق المختلفة في بلاد اليونان التي كانت تدور حول عقيدة الإله ديونيسوس(Dionysos) (وهو اسم آخر للإله باخوس Bakkhos) الذي كان إلها للحصاد والثمار والكروم وان كان هذا قد اشتهر

---

(١) المصدر نفسه ، ص٨.

(2) Rostovtzeff, M. Vol. II, op. cit. P.1097.

(3) Caldwell , W. E. , op . cit. , pp.301 .

(4) Caldwell , W. E. , op . cit, pp.312-313 .

(٥) صبحي ، احمد محمود ، في فلسفة الحضارة ، الحضارة الاغريقية ، جامعة الاسكندرية ، ص١٢٧.

بصفته إلها للخمر..."[1] كلذلك فان نشوء المسرح اليوناني ارتبط بتلك القصص المؤثرة التي انتجها الفكر والتصور الرافديني الا ان عدم تطور المسرح في بلاد الرافدين ومواكبته المسرح اليوناني بالصيغة المعروفة لعناصر المسرح، فذلك يعود إلى عدة عوامل موضوعية وتاريخية .

(١) يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، اليونان ، المصدر السابق ، ص١٧٩.

اما التأثيرات التي أحدثتها الافكار الفلسفية الاغريقية في الأفكار الشرقية ومنها البابلية خلال الفترة الهلنستية فهي أيضا واضحة المعالم من خلال المدارس الفلسفية الاغريقية التي انتشرت بالطول والعرض في بلاد بابل والشرق ، فقد كانت هذه المدارس تحمل أفكارا جديدة ذات مفاهيم محددة للعقل الذي اصبح يعي ويدرك جيدا الحدود والفروقات الدقيقة بين الاشياء وهو عكس التفكير الفلسفي الأسطوري أو ما قبل العلمي الذي كان سائدا في مختلف أنحاء بلدان العالم القديم .

فقد نشأت العديد من المدارس الفلسفية في حين تدهورت المدارس القديمة بصورة طبيعية...ومن بين المدارس الجديدة، المدرسة القورنانية (cyrenaics) كانت تعلم ان السعادة هي السرور الحسي ، وان مؤسسي هذه المدرسة هم المؤسسون الحقيقيون للقول المأثور "اليوم دعنا ناكل، نشرب ونكون سعداء لاننا ميتون غدا" وان المدرسة الشكية (skeptics) في أثينا أنكرت امكانية المعرفة ولم تنجز اي شيء اكثر من الهجوم على الخرافة وكان ابرز فيلسوف في هذه المدرسة هو كارنيدس...وان المدارس الثلاثة الأكثر أهمية كانت الابيقورية (epicurean) والكلبية (cynic) والرواقية (stoic) وهذه المدارس سيطرت على الفكر الفلسفي هي نهاية العصر القديم (Antiquity) وما بعد ذلك[1].

إذا ما حاولنا تقييم سياسة السلوقيين تجاه الممالك الهلنستية الشرقية يمكن القول بأن الوحدة التي تكلمت عنها على أية حال ومثلما أوضحنا آنفا كانت وحدة هذه الممالك جزئية ومحدودة وانها لم تخترق بعمق الواقع المحلي فالملوك الهلنستيون لم ينجحوا في تحويل ممتلكاتهم إلى دول وطنية تمتلك لغة واحدة وبناء اجتماعيا واقتصاديا ووسيلة التفكير وان مشاعر العداء بين الشرق والغرب التي واجهت الاسكندر بعد غزوه للامبراطورية الفارسية قد تشددت تلك المشاعر ولكنها لم تصل ذروتها بجهود الملوك الذين جاءوا بعده وانها اتخذت ناحية مختلفة نوعا ما ولكنها ظلت في عادتها حادة مثلما كانت في عصر الاسكندر[٢].

ان "هذه الوحدات الاغريقية لم تفلح إلى اي حد محسوس في نشر الثقافة الاغريقية وربط أجزاء هذه الامبراطورية بعضها ببعض ولم يكن من شأن اخضاع هؤلاء الاهالي لحكم أجنبي استغلالي"[٣] .

وان جميع المحاولات الرامية إلى نشر الهيلينية في أوساط الشرقيين قد باءت بالفشل، فالامبراطورية السلوقية كانت مترامية الاطراف وغير مرتبطة ومتنوعة جدا بحيث لا يمكن توحيدها

---

(1) Caldwell , W. E. , op . cit. , pp. 318-319.

(2) Rostovtzeff , M. Vol . II , op . cit , p. 1098 .

(٣) نصحي ، ابراهيم ، تاريخ الرومان منذ اقدم العصور حتى عام ١٣٣ ق.م ، ج١، بيروت ، د.ت ، ص٢٩٧ .

بنجاح في بناء دائمي[١] "الا انها لم تستطع ان تتغلغل في أعماق العقلية الشرقية فقد كان على السطح شعب اغريقي وحضارة اغريقية وتحت السطح خليط من شعوب وحضارات شرقية"[٢].

٥. الفن الاغريقي وآثاره في بلاد الرافدين :

ان البناء المعماري والفن في العصر الهلنستي كانت علمانية (دنيوية) بصورة أساسية وقد تمت الاشارة من قبل للتخطيط والبناء الدقيق للمدينة الهلنستية وان المواقع قد تم اختيارها بدقة للسوق والمسرح والملعب ومكان اللعب الجمناستك والحمامات والمعابد وبخطة مشابهة لرقعة الشطرنج . كما ذكرنا ذلك سابقا وعلى ثلاثة جوانب من السوق هناك (stoae) وهي أعمدة طويلة للغرف ، وان المسارح والملاعب قد تم اعدادها بمقاعد حجرية ، وان معابد القصر واشهرها معبد ابولو (apollo) في ديديما (Didyma) قرب ميليتوس كانت كبيرة ومزخرفة قد تم تفضيلها على الاعمدة الدورية (Doric) القديمة والايونية أيضا... ، اما الجدران فقد تمت زخرفتها بالصور بالفن الجداري (stucco) ومرسومة (مصوغة) على المادة اللاصقة (plaster) ورصيف الساحة (pavement) شمل فسيفساء مفصلة وجميلة[٣].

ان من مميزات القرن الرابع هو انه انتج لونا خاصا من الفن لم يكن حكرا على منطقة أو مقاطعة واحدة بل انه كان مزيجا من الفن الاغريقي والفن الاسيوي "حتى يقوم بواجبه ويصبح بعد قليل من الزمن أساس الفن الهلنستي العالمي" فهذا العصر عرف بالفن الواقعي ومفاهيم جديدة مبتكرة في النحت والنظريات الفنية وانتشر في مختلف انحاء العالم الهلنستي[٤].

"لقد كان تقدم الفن الاغريقي خارقا بسرعته ولابد من الاعتراف بان العبقرية الاغريقية كانت رائعة وان كان هذا لا يمنع من ان الفن الاغريقي قد تأثر بالفن الاشوري والمصري"[٥] ولهذا فان مئات الاعمال الفنية من مواقع اغريقية توضح مدى واسع من المادة التي تم العثور عليها في التنقيبات لدراسات أنماط التجارة... وان المسالة الأكثر أهمية هي ان الكثير من الاشياء المستوردة التي تم العثور عليها في الحفريات في اليونان هي أمثلة فريدة من نوعها للأنواع التي لم يتم العثور عليها بين الأشياء التي عرفت فعليا في الشرق الادنى[٦].

---

(1) Caldwell , W. E. , op . cit. , pp. 301-302.

(٢) صبحي ، احمد محمود ، المصدر السابق ، ص١٨٢.

(3) Caldwell, W. E. , op. cit., p. 311.

(٤) عبد الحق ، سليم عادل ، المصدر السابق ، ص١٣٣.

(٥) بهنسي ، عفيف ، الفن عبر التاريخ ، الفن الحديث العالمي ، د.ت ، ص٥١.

(6) Joannes F. et Charpin . D, La circulatian des biens , Des personnes et des idees dans le procheorient ancien , Paris , 1992 , p327 .

ان تأثير الأساليب والطرز اليونانية القديمة نجده في شكل المباني والاعمال الفنية التي جاءتنا من المدن التي أسسها الاغريق في بلاد الرافدين ومن ضمنها مدينة سلوقية على دجلة[١].

وقد تم العثور على لوحات فنية تعود إلى هذه الفترة ومن ابرز هذه اللوحات واحدة تجسد الآلهة (ترعتا) والآلهة (هادس) ومعهما حارس العالم السفلي المتمثل في الكلب والحيوان الخرافي المكون من ثلاثة رؤوس وجسم واحد وذنب في شكل افعى ، وقد طغى على هذه اللوحة الأسلوب الفني الهيليني مع امتزاجه بطابع شرقي .

وتبدو النزعة الواقعية أيضا في الفن الهلنستي أيضا من خلال المنحوتات والرسومات التي تجلت فيها ابداعات الفنان وعنايته بالعناصر الطبيعية والأبعاد (المنظور) مع بعض التفاصيل والمعرفة بتشريح العضلات والعقل[٢] "وقد ازدهر هذا الطراز من الفن في الاقاليم التي تأثرت بالهلنستية ولقد نشأت ثقافة وفنون هلنستية في الاسكندرية وسلوقية وانطاكية وفي فرغاموس وردوتس"[٣].

ورغم ان الفن الاغريقي يبدو خاليا من الاسرار، فهو ليس كما هو حال الفنون في الأمم الشرقية التي تأثرت بالمفاهيم الميتافيزيقية وخاصة منها الدينية، فقد كان الاغريق يتميزون بالابتكار وتحويل ما استوعبوه وأخذوه عن الشرق إلى صيغ جديدة اخرى[٤] ولذلك جاءت ابداعاتهم هذه مليئة برغبة ملحة في تجسيد الاشياء كما تراها العين[٥] .

وفي مجال النحت فقد بز ثلاثة نحاتين اغريق عظام وهم (سكوباس) و (براكزيل) و ليزيب وقد فاقت ابداعاتهم في النحت كل من سبقهم من النحاتين[٦] ويعد ليزيب اعظمهم على الاطلاق فقد تأثر هذا الرجل بالفن الشرقي تأثرا واضحا حيث يظهر ذلك من خلال اعماله الفنية ، فقد اطلع على تراث الشرق من خلال رحلاته المتعددة التي قام بها من بلاد بابل[٧].

وقد جاءتنا مجموعة من الدمى التي تعود إلى الفترة الهلنستية وتعكس لنا مدى تداخل اسلوب النحت لدى كل من الفنان العراقي القديم والفنان الاغريقي "ففي سلوقية عثر على نوعين من الدمى

---

(١) جودي ، محمد حسين ، تاريخ الفن العراقي القديم ، ج١ ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص٢٢٠-٢٢١.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٢٦-٢٢٧.

(٣) علام ، نعمت اسماعيل ، فنون الشرق الأوسط ، من الغزو الاغريقي حتى الفتح الاسلامي ، مصر ، د.ت ، ص١٨.

(٤) عبد الحق ، سليم عادل ، المصدر السابق ، ص ص ٣-٧.

(٥) المصدر نفسه ، ص١٩٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص١٣٣.

(٧) عبد الحق ، سليم عادل ، المصدر السابق ، ص١٦٥.

النوع الأول انجز وهو يحمل تأثيرا واضحا للأسلوب الاغريقي في حين يمتاز النوع الثاني بصفات شرقية"(١).

كما عثر المنقبون في مدينة الوركاء عددا من الدمى في الطبقات الفرثية تمثل الآلهة افروديت وهي عارية تمسك بيد أو بكلتا اليدين أو تشبك يديها اسفل ثدييها أو تمسها على الجانبين(٢) وتشير هذه النماذج من الدمى إلى اصلها الشرقي الا انها لا تخلو من التأثير الاغريقي الواضح(٣) وسميت هذه الدمى بافروديت الشرق(٤) التي جعلها الفنان اروع مثال للجمال الجسماني ومنح جسمها حركة واقفة من خلال التواءة بسيطة في جسمها، وامتازت اعضاء جسمها بتعبيرات تعكس احساس وشعور الفنان بالدقة والجمال، كما تعكس أيضا ميول الذوق العام إلى الطبيعة ومحاكاة الواقع والعاطفة الرقيقة وهي من الميزات التي تميز بها النحت الهلنستي، رغم ما تحمله هذه الدمى من مسحة شرقية الا ان التأثير الاغريقي يبدو اكثر وضوحا في الدمى الأخرى التي تمثل المرأة وهي مضطجعة في صورة عارية ونصف عارية ، كما يتجلى لنا هذا التأثير اكثر وضوحا في الدمى الانثوية المرتدية ملابس اغريقية تتألف من قطعتين ، الاولى في شكل رداء يصل إلى القدمين أو الركبتين وبه طيات عمودية صنعت بشكل دقيق عبر حزوز منتظمة وغائرة اما القطعة الثاني فهي عبارة عن رداء يغطى الظهر وجزء من الامام وهي طيات مائلة عملت شكل مائل تعكس براعة الفنان وابداعه(٥).

"لكن هناك إلى جانب هذه القطع وبأعداد كثيرة أنواع بابلية قديمة صبغت باشكال اغريقية وقد صنعت اما في بابل نفسها أو في احد اقاليم البلاد"(٦).

كما يتجلى لنا الفن الهلنستي في أنواع أخرى من الدمى الخاصة بالإله هرقل، التي عرفها الباحثون بدمى هرقل المرهق أو المأساوي. حيث يظهر متعبا مرهقا ، كل جسمه المملوء عضلات يميل على جانبه الايسر وكذلك رأسه يميل إلى اليسار أيضا، وخاصة هذه الدمى هي انها نحتت بأسلوب اغريقي واضح يعود إلى العصر الهلنستي ، كما نلمس التأثير الاغريقي الواضح من خلال هذه الدمى التي تمثل افراد يحملون آلات موسيقية(٧) فقد تم العثور على مجموعة من هذه الدمى في مدن عديدة في بلاد الرافدين ، في بابل ، الوركاء ، كيش وسلوقية ، حيث امرأة واقفة تحمل امام كتفها

---

(1) Vouingen , Wilhdmina , Gigurines , from Seleucia on the Tigris , Oxford , 1939, P. 18.

(2) Downey , Susan , The stone and plaster sailpture excavation at Dura – Europe's California , 1977 , P. 154 .

(3) Ibid.

(4) Higgins , R. N, Greek terracottas , London , 1967 , PP.115-116 .

(٥) موسى، مريم، عمران ، دمى هلنستية من بابل في ضوء تنقيبات التل الشرقي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة مقدمة إلى كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١، ص١٢٩.

(٦) رويتر ، اوسكار ، المصدر السابق ، ص٤٦.

(٧) موسى ، مريم عمران ، المصدر السابق ، ص١٣٠.

الة الجنك[1] (harp) وتجدر الاشارة إلى ان هذه الآلات الوترية ومن ضمنها الجنك، نجد أصولها في تراث بلاد الرافدين من اقدم العصور وقد كان لهذه الآلات دور بارز في اثراء وتطور الموسيقى لدى الاغريق في العصر الهلنستي[2] ، فقد طور الاغريق هذه الآلات الموسيقية وطرق استعمالها واخرجوا للعالم نظريات موسيقية مستحدثة اضافت الشي الكثير لعلم الموسيقى وتطوره ومن أهم هذه الآلات، نجد الالات الوترية ومن ضمنها الجنك ، الكنارة ، العود (lute) وآلات القرع والايقاع ، ومنها : الدف المستدير ، والنقارية (kettel – drum) (ينظر شكل ٢٩) والكوبة وهي من آلات العزف على المزمار المزدوج (Hour – glass – shapeddrum) فضلا عن الآلات الهوائية الأخرى مثل المزمار المزدوج (Double-pipe) والمصفار (Panispipe) وقربة الزمر (Bagpipe) وقد استخدم العراق القديم في العصر الهلنستي هذه الآلات الموسيقية[3]. (ينظر شكل ٣٠) .

---

(١) رشيد ، صبحي انور ، تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٠٩-٢١٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٢٣-٢٣٦.

الاستنتاجات

في ضوء هذه الرسالة يمكن الخروج بعدة استنتاجات :

١. أن مقولة "التاريخ يعيد نفسه" تبدو مقولة اكثر وضوحا من أي وقت مضى فالتاريخ يؤكد بأن الغزو اليوناني لبلاد الرافدين ما هو إلا حلقة أولى ضمن حلقات الغزو الغربي المستمر على بلاد الرافدين حتى الوقت الراهن .

٢. ان الصراع بين الشرق والغرب صراع حضاري تجسدت فيه كافة أبعاده الحضارية الفكرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والمعمارية فأما الفكرية فقد بدأت بالمفكرين والفلاسفة اليونان ورغبتهم في غزو الشرق واستعباده وعلى المستوى السياسي ، رام اليونانيون وبإصرار حكم الشرق وبلاد الرافدين بواسطة أشخاص عسكريين من أصل يوناني وجعل السكان يدينون بنظام حكم يوناني غربي واستمرار الهيمنة العسكرية المباشرة عليهم وعلى دواليب الحكم والادارة ومن خلال هذه المؤسسة العسكرية يستطيع الغزاة الاستمرار الهيمنة والتنفذ ونهب خيرات البلاد وهو ما ينقلنا إلى الجانب الاقتصادي الذي مثل أهم أهدافهم الأساسية كما وجعلهم وضع السكان الاجتماعي والثقافي متأغرقا يدين بالعادات والثقافة اليونانية ، هذا ويشمل الصراع أيضا المعتقدات الدينية والمعمارية وغيرها من العناصر الحضارية الذي أخذت طابعا هلنستيا كما أطلق عليه المؤرخون .

٣. أن أطماع الغرب الاستعماري في الشرق الغني مثلت ظاهرة متواصلة عبر التاريخ يمكن اعتبار بداية صفحاتها مع مجيء الغزو اليوناني ، وقد رأينا كيف استحوذ الاسكندر المقدوني على كنوز ضخمة كانت مودعة في خزائن معابد الفراعنة والبابليين ومدينة برسيبوليس الفارسية ووظفها في صالح رعاياه من اليونانيين وقادته وجيشه الجرار.

٤. أن احتلال الاسكندر لبلاد بابل والشرق قد مثل ضرورة ملحة لبلاد اليونان التي كانت ظروفها الداخلية تشهد أزمات حادة ومتواصلة ، دفعت حكامهم لان يجدوا لهم "مجالا حيويا" يدفعون السكان للهجرة إليه والاستفادة من ثرواته والهيمنة على اقتصادياته، وان الأسباب التي دفعت اليونانيين إلى الهجرة السلمية خارج أوطانهم خلال القرن السابع والسادس ق.م هي نفس الأسباب التي دفعتهم إلى تجريد حملة عسكرية ضد الشرق في القرن الثالث ق.م ، فالهجرات الاولى أخذت طابعا مدنيا سلميا أما الهجرات الثانية فكانت ذات طابع عسكري احتلالي .

٥. أن منطقة بلاد الرافدين كانت بالنسبة للغرب ولا زالت تمثل هدفا مباشرا ، فكما تسنى للاسكندر بسط نفوذه على الشرق كله من خلال احتلاله بابل ومحاولته جعلها مركزا

لامبراطوريته ، فان منطقة بلاد الرافدين تشهد اليوم نفس الظروف باعتبارها منطقة حيوية يحاول الاستعمار الجديد استغلالها وجعلها منطلقا للهيمنة على العالم .

٦. لقد اقتسم قادة الاسكندر الثلاثة الكبار ممتلكاته والامبراطورية التي شيدها وكانت بابل من حصة القائد سلوقس الذي أسس امبراطورية واسعة الارجاء سميت باسمه واتخذ من بابل وانطاكية فيما بعد عاصمة لحكمه ودخل الغزاة في منازعات وحروب طاحنة كانت ويلاتها مدمرة على بلاد بابل والشرق .

وقد أدت هذه الأوضاع إلى انهاء التواجد اليوناني في العراق ليقع البلد مرة أخرى في يد غزاة جدد ولكن هذه المرة من الشرق ، عندما احتل الفارثيون العراق واصبح جزءا أساسا من دولتهم واستمر إلى عهد خلفائهم الساسانيين إلى ان تم تحرير العراق نهائيا والى الابد من السيطرة الفارسية على يد العرب المسلمين في معركة القادسية وعاد العراق جزءا لا يتجزأ من أمة العرب والاسلام .

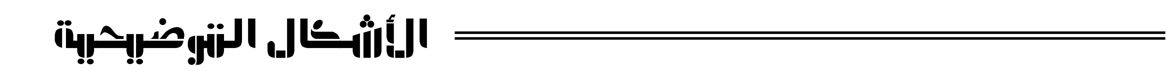
٧. ان مما لا شك فيه ان بلاد الرافدين وعلى مر تاريخها كانت محط أنظار المحتلين الغزاة سواء أكانوا شرقيين أم غربيين.

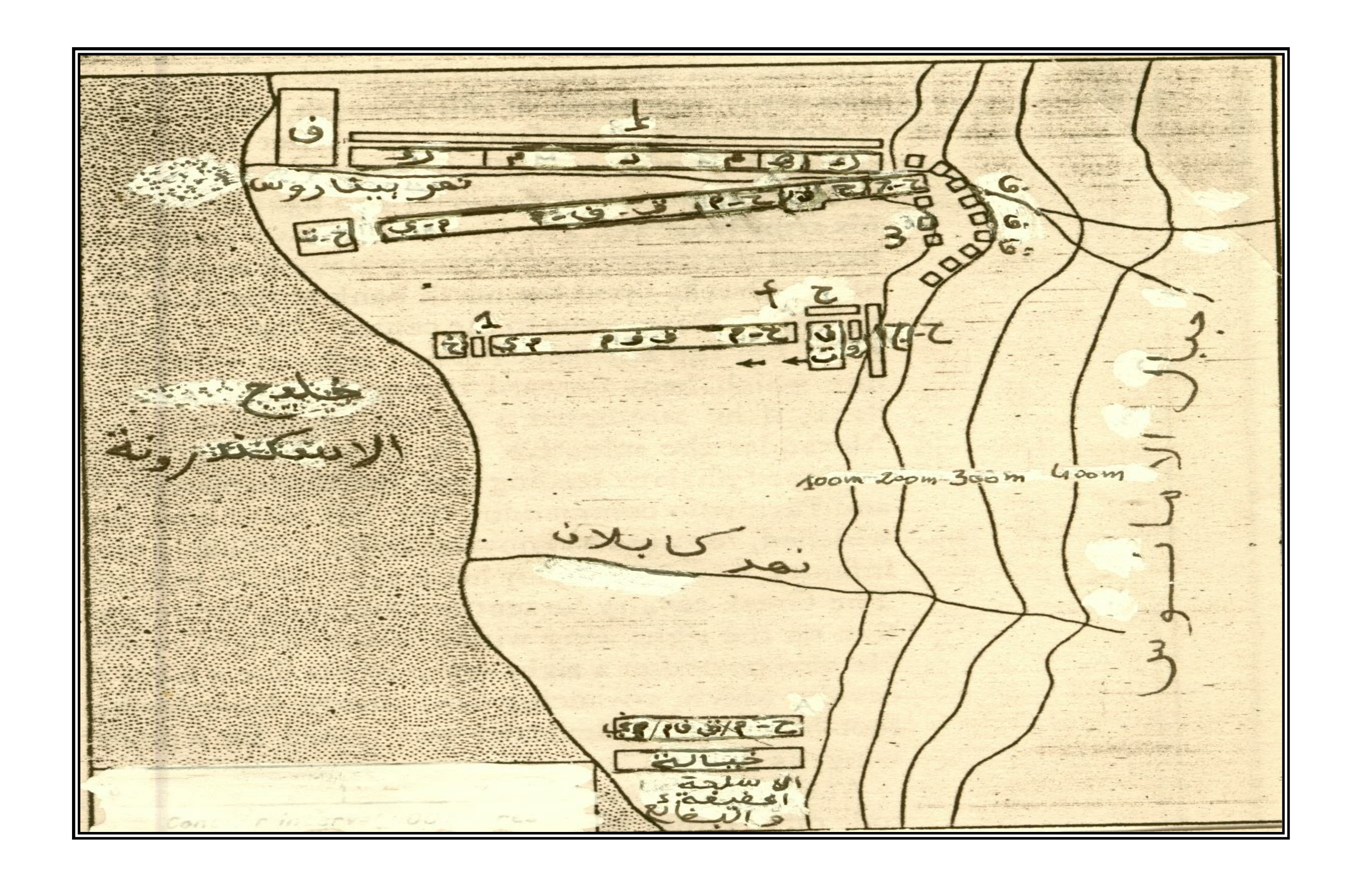
٨. لقد نتج عن هذه الفترة الهلنستية جملة من الخصائص الحضارية تميزت بطابع جديد عن الفترات السابقة، فلئن كانت التأثيرات الحضارية غير المباشرة للعراق القديم على منطقة بحر ايجة قبل الغزو ، تبدو غير شاملة وغير مكتملة في جوانب عديدة منها فان هذه التأثيرات بدت لنا اكثر وضوحا وعمقا وشمولية بعد مجيء اليونانيين واستقرارهم في البلاد، فلقد تأثر اليونانيون خلال هذه الفترة واخذوا من حضارة البلاد الأصلية اكثر مما اثروا هم فيها وجلبوا معهم من عناصر الحضارة الهيلينية ومما تجدر ملاحظته في هذا الخصوص هو ان المحتل اليوناني بدلا من ان يؤثر في الواقع الجديد الذي استحوذ عليه نجده قد اصبح أسير هذا الواقع ، وأسير حضارة عريقة هي حضارة بلاد الرافدين التي كان يعتبرها والى عهد قريب "حضارة البرابرة" اعدائهم الطبيعيين كما توهم ذلك فلاسفتهم .

٩. ان حضارة بلاد الرافدين أثرت في الحضارة الهيلينية ايما تأثير سواء أكان ذلك في العلوم البحتة أم في العلوم الانسانية وقد اخذ اليونانيون من نبع هذه الحضارة في شتى مجالاتها، وقد امتدت هذه التأثيرات لتصيب حضارة روما وأوربا الحديثة فيما بعد .

١٠. استنادا إلى القانون الكلي القائل في الكل الشامل في الطبيعة والانسان كل شي متأثر بغيره مؤثر في غيره وعليه يمكن القول بان الحضارة الهيلينية هي الأخرى تركت بصماتها في حضارة بلاد الرافدين وكان حضورها وفعلها في المجتمع العراقي آنذاك فاعلين بلا شك ، فالاحتكاك المباشر بين اليونانيين والعراقيين القدماء جعل الجنسين يتأثران ببعضهما البعض ويتفاعلان وان كانت التأثيرات الحضارية الهيلينية لا ترتقي إلى مستوى الفعل الحضاري

المؤثر والعميق مثلما تركته فيهم حضارة السكان الأصليين الا انه من الثابت قد خلفوا لنا اثارهم الحضارية في ميادين عدة مثل نظام الحكم والادارة والاقتصاد والمال والمجتمع والحياة الدينية والثقافية والفنية وغيرها.


الأشكال التوضيحية



١: النبالة الكريتيون والتراقيون .
م.ي : مشاة يونانيون
ق ـ ف ـ م : قوات الفالنكس المقدونية
ح ـ م : الحرس الملكي من حاملي الدروع
أ: الاسكندر
ح : حاملو الرماح والسيوف
ف ـ ر : الفرسان الرفقاء .
٢: النبالون
ح ـ ج : حرس جناح من الاجريانيين ، خيالة ، النبالون .
٣: ٣٠٠ خيال من الرفقاء .

ف : فرسان من الفرس .
إ : احتياط مشاة .
ك : كرداكيون (مقاتلين)
م : مرتزقة .
د: دارا
هـ : فرسان هركانيون وميديون
ق ـ ف ـ ف : قوة الفالنك الفارسية
خ : خيالة يونانيين
ت : فرسان تيساليون

شكل (١)
مخطط يوضح تموقع كل من قوات الاسكندر وقوات دارا في ميدان معركة ايسوس

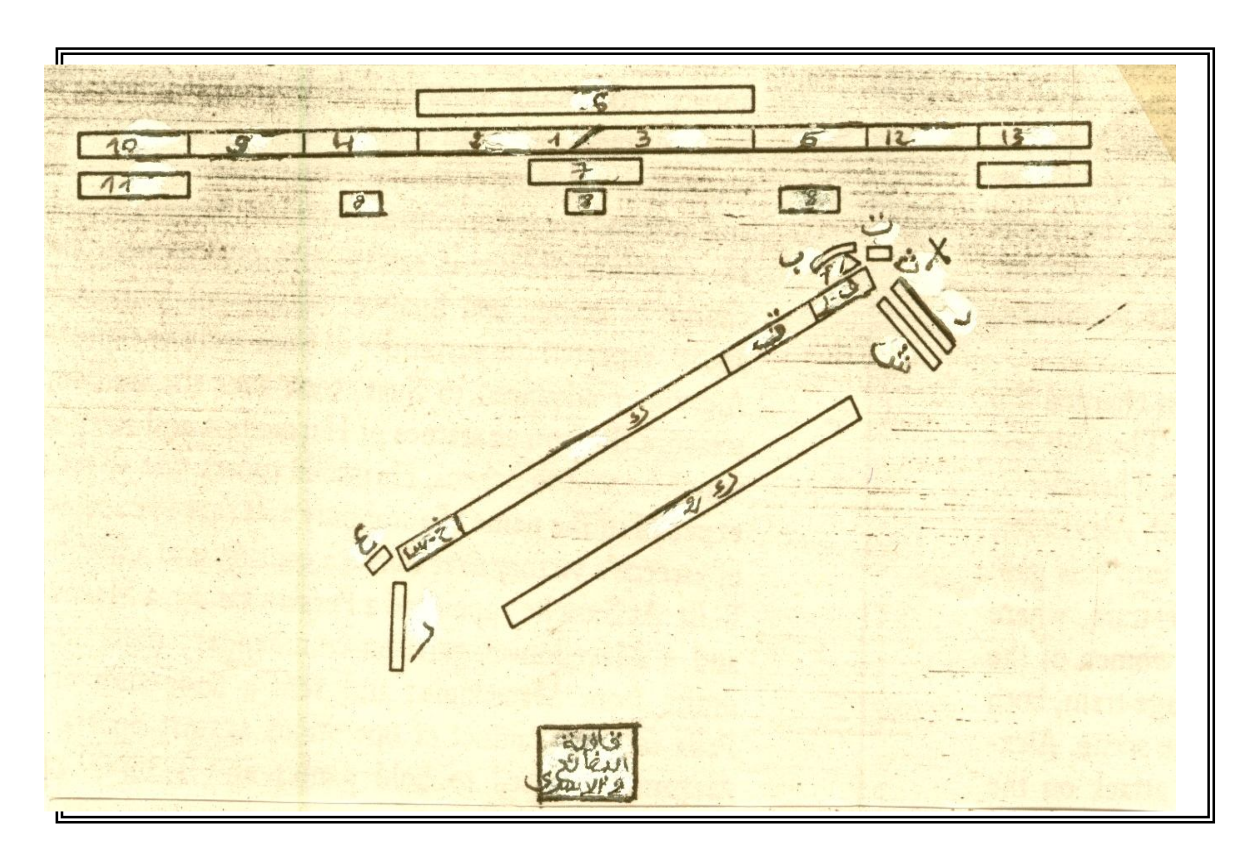
المصدر : Hammond N.G.L , Op.cit ., P.609 .



شكل (٢)

يبدو الاسكندر (الى جهة اليسار) يهجم على دارا في معركة ايسوس ، فسيسفاء هلنستية متأخرة من بومباي ، مأخوذة من صورة شهيرة رسمها فيلوك سينوس (٣٠٠ق.م) ، من المتحف الوطني في مدينة نابلي الايطالية .

المصدر : فهمي محمود ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ .



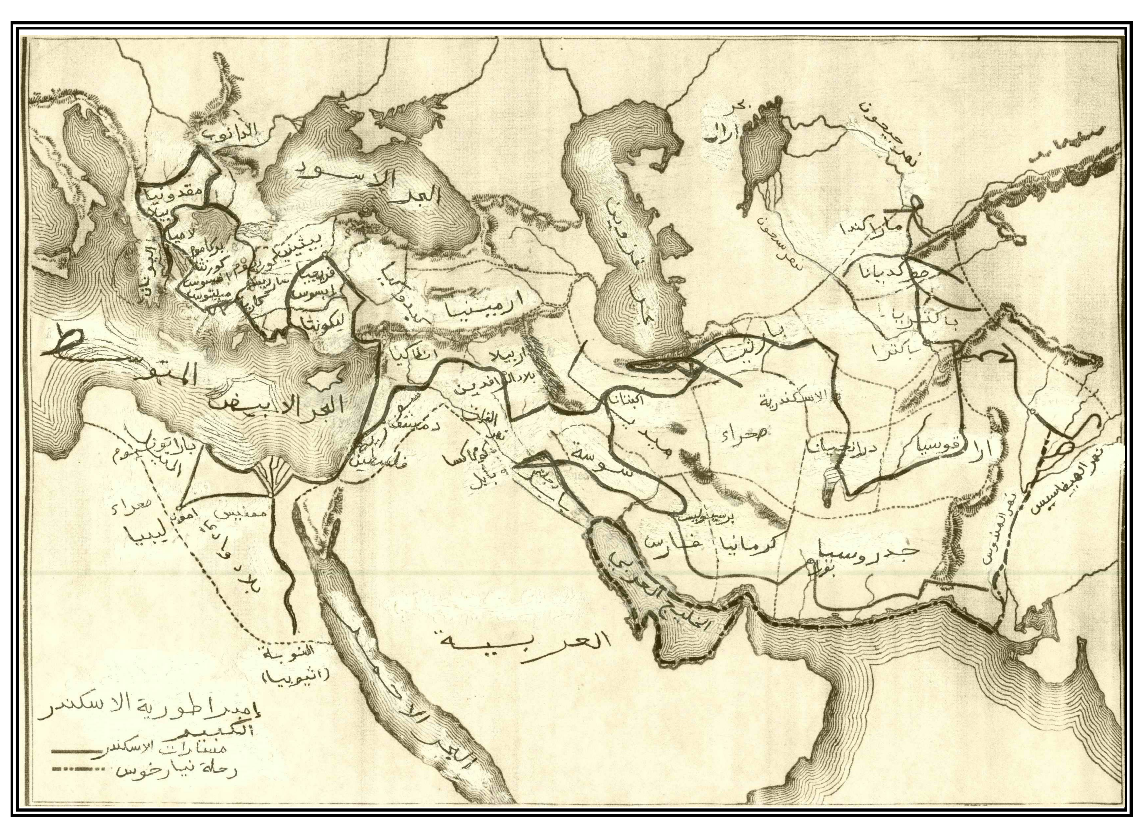
١: الملك دارا
٢-٣ : افضل المشاة والنبالة .
٤-٥ : الخيالة الثانوية .
٦ : المشاة الثانوية والمرتزقة الاغريق
٧: الخيالة الفارسية والهندية .
٨: العربات السكيثية .
٩- ١٠ - ١١ : الخيالة بقيادة مازيوس
١٢ : الخيالة والمشاة الفارسية
١٣: الخيالة البكتيرية ، السكيثية ، والباكتيرية
أ : الاسكندر و (قوات) الاجيما .
ب : الاجريانيون

ف - ر : الفرسان الرفقاء
ت : الخيالة المرتزقة الاغريق
ث : حاملي الرماح المقدونية
د: الخيالة الابانيون
ش : الاجريانيون وحاملي الاقواس والمرتزقة الاغريق (محاربين قدماء).
ق : الحرس الملكي من حاملي الدروع
ك : كتائب الفالنكس
ك٢: كتائب الخط الثاني
خ - س : خيالة اسكيثيون
ر: الخيالة الاغريقية والروديسية
ع: الخيالة المرتزقة الاغريق .

- في هذه المرحلة من المعركة فان الجيش الفارسي لا يزال يتقدم نحو جبهته الشرقية والجيش المقدوني كان يتحرك نحو جبهته الامامية وعندما بداء الجيشان بالالتحام فان مجموعات الخيالة عدد ١٣ و ١٤ بدأت بالحركة الاولى عن طريق (ت ، د) التي تؤشر النقطة حيث اشترك ١٢ + ث ضد بعضهما البعض .

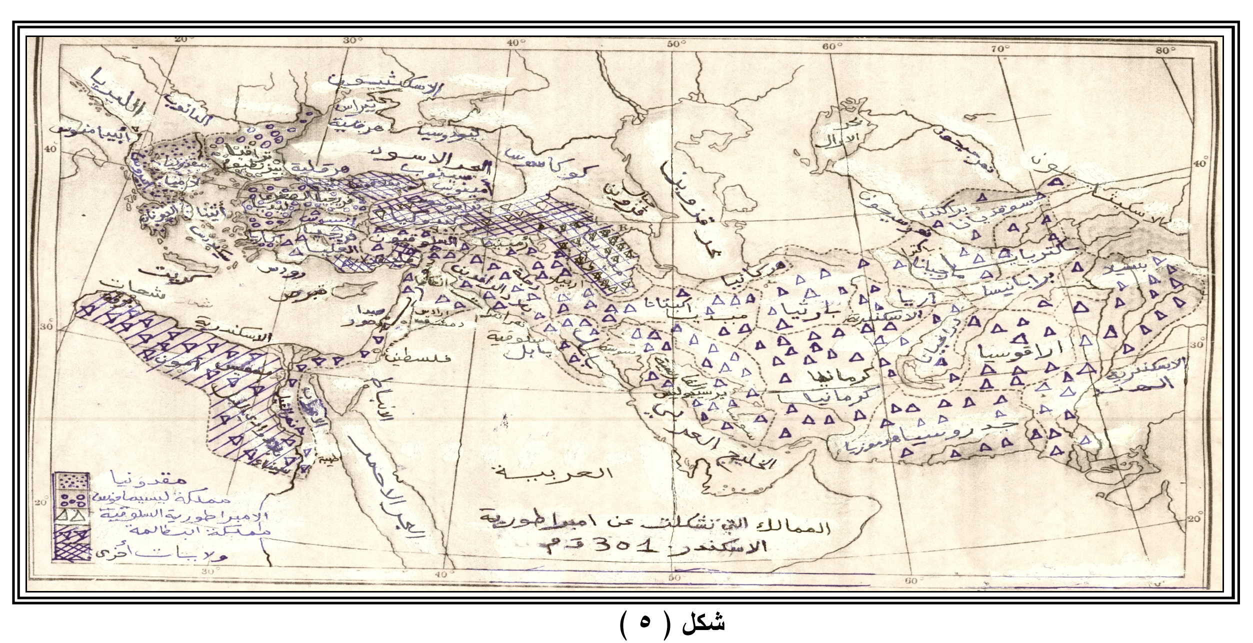
شكل (٣)
مخطط يبين تموقع كل من قوات الاسكندر وقوات دارا اثناء معركة كوكميلة .

المصدر : Hammond N.G.L , Op.cit ., P.616 .



شكل (٤)

توضح هذه الخريطة الطريق البري الذي اتبعه الاسكندر اثناء حملته العسكرية على الشرق وكذلك الطريق البحري الذي اتبعه قائده الملاح نيارخوس .



شكل (٥)

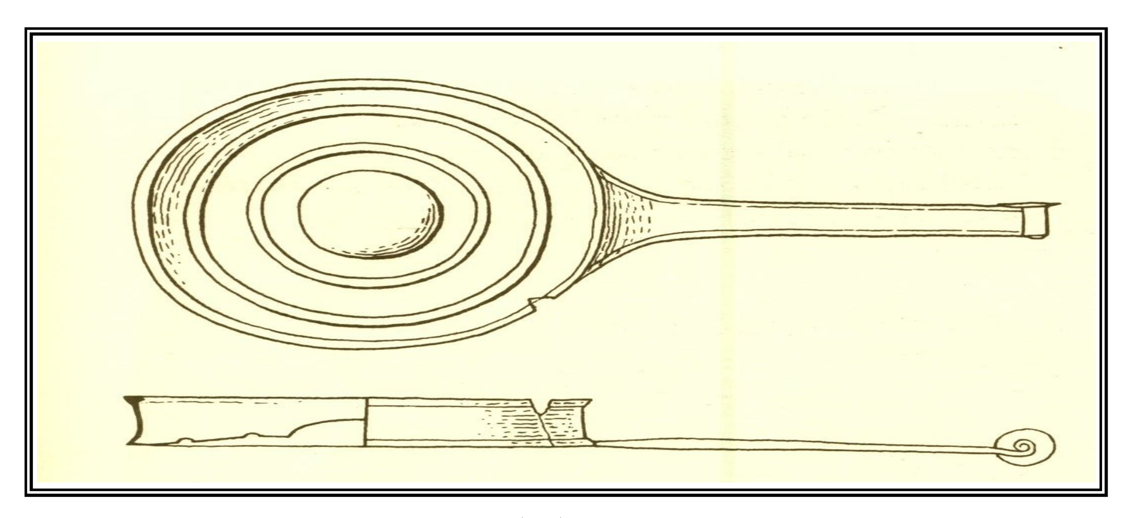
امبراطورية الاسكندر بعد التقسيم .

المصدر : Botsford , G . W . op.cit ., P. 280 - 295 .



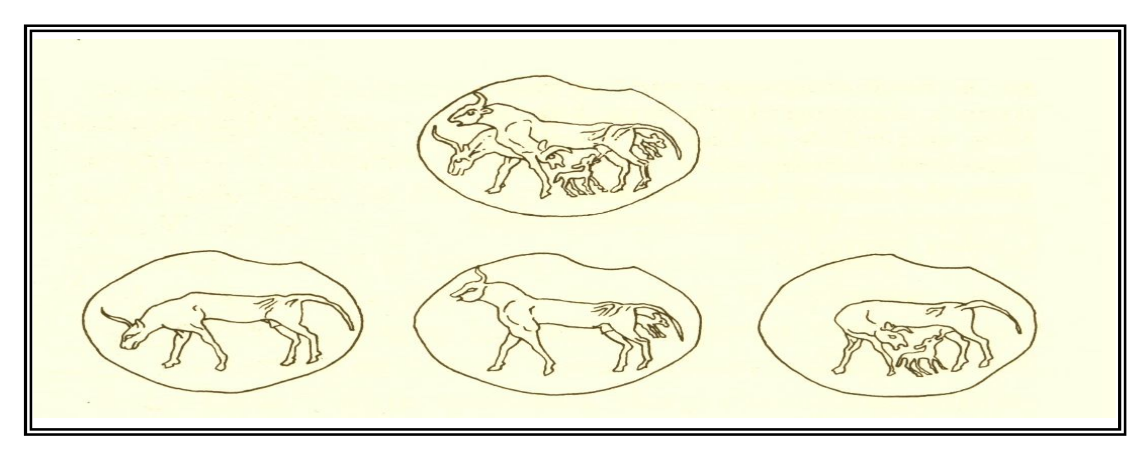
شكل (٦)

موضوعات من بلاد الرافدين على اختام منبسطة



شكل (٧)

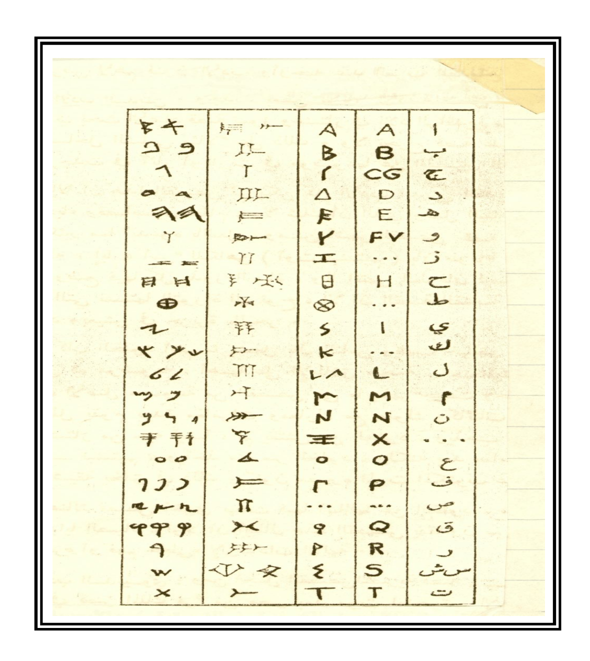
انية برونزية من نوع belly – button (وهو ختم رصاصي بابوي كان يستعمله الاغريق والملوك الجرمانيون القدماء) من قبر في اشور طولها ٠.٥٢ متر ، وهناك اواني مشابهة جاءت من طروادة .



شكل (٨)

ختم باسلوب مينوي وجد في تل . براك في شمال شرق سوريا

المصدر : Dalley , Stephanie and Reyes , A.T , Op.cit , PP. 109 – 87 - 89 .



شكل (٩)

لوحة تمثل الابجدية الفينيقية والابجديات المشتقة عنها .

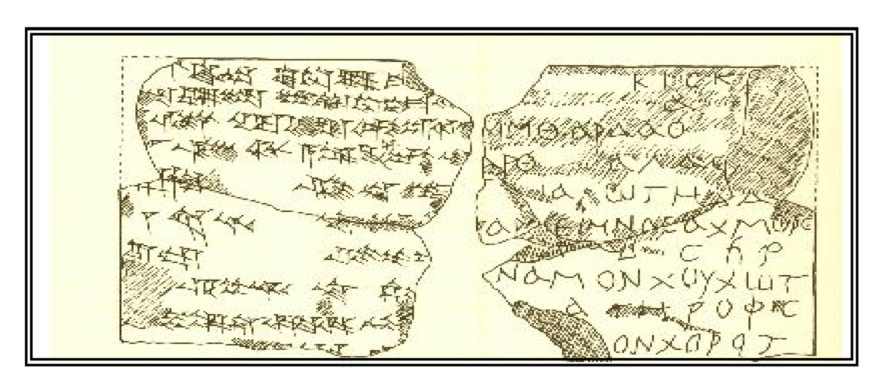
المصدر : السباعي ، محمود واخرون ، تاريخ العرب السياسي والحضاري في العصرين القديم والوسيط ، ج١ ، ١٩٧٨ ، ص ١٤٤ .



شكل (١٠)

ختم اسطواني يعود الى طبيب سومري يدعى اور لوكال اونا عليه صور لبعض الادوات الجراحية التي كانت تستعمل في العهد البابلي القديم ومن المحتمل انه يعود الى سلالة اور الثالثة .

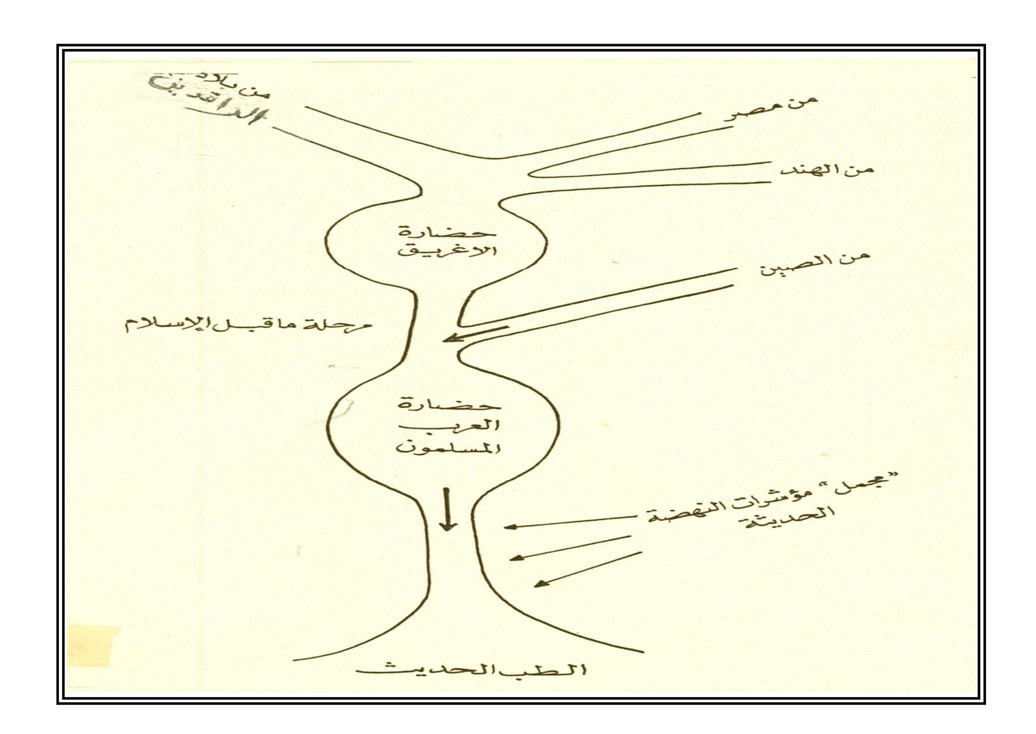
المصدر : كييرا ادوارد ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ .



شكل (١١)

لوح اغريقي بابلي يعطي تعويذة بابلية ضد الارواح الشريرة وحروف صوتية بالغريقية .

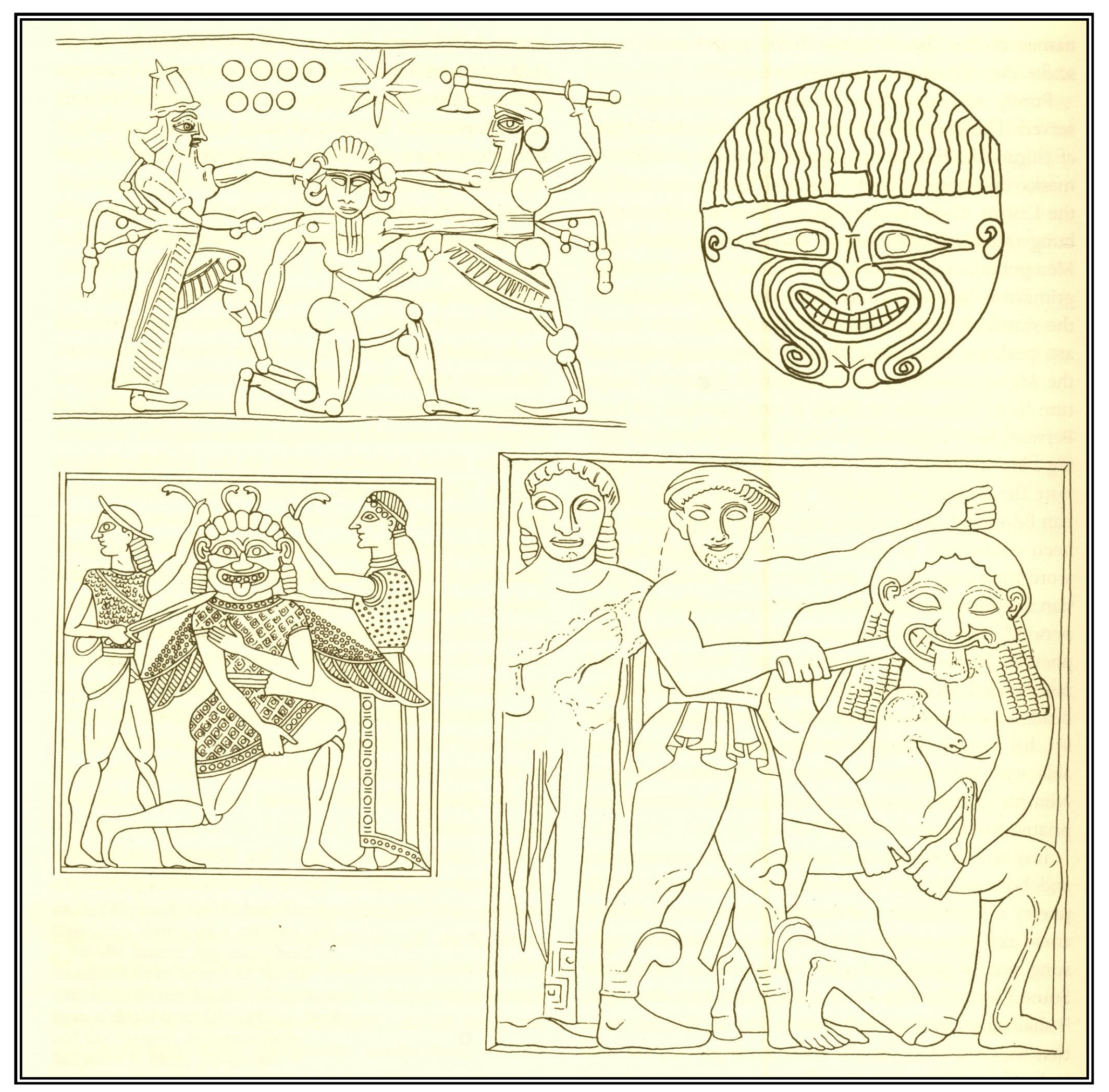
المصدر : Dalley , Stephanie and Reyes , A.T , Op.cit , P. 112 .



شكل (١٢)

ممرات الحضارة كما تصورها المؤرخ (رالف ميجور)

المصدر : الاحميدان ، يوسف عبد الله ، مرحلة ما قبل الاسلام ، ج٢ ، ص٢٨ .



شكل (١٣)

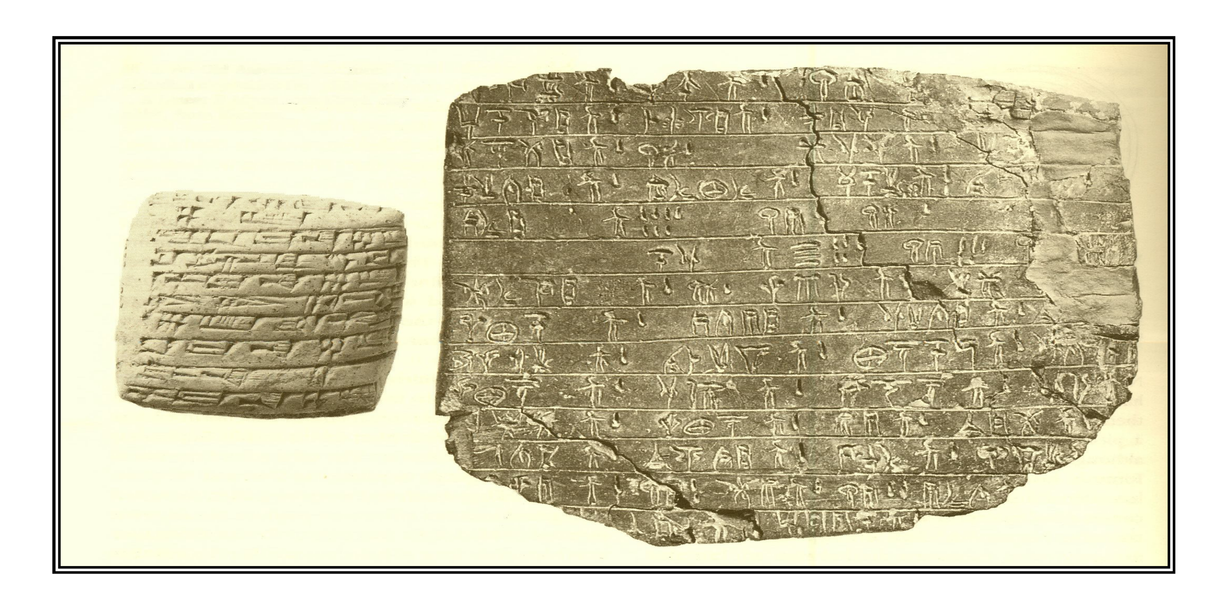
أ. كلكامش وانكيدو يذبحان خمبابا ويظهر ذلك على ختم اسطواني

ب. رأس خمبابا من الصخر من العصر البرونزي المتوسط من معبد تل الرماح

ج. مجموعة برونزية للزخرفة من اولومبيا .

د. بيروسوس وكركون ، نحت من سيلينونت في صقلية (٥٧٥ – ٥٥٠ق.م) .

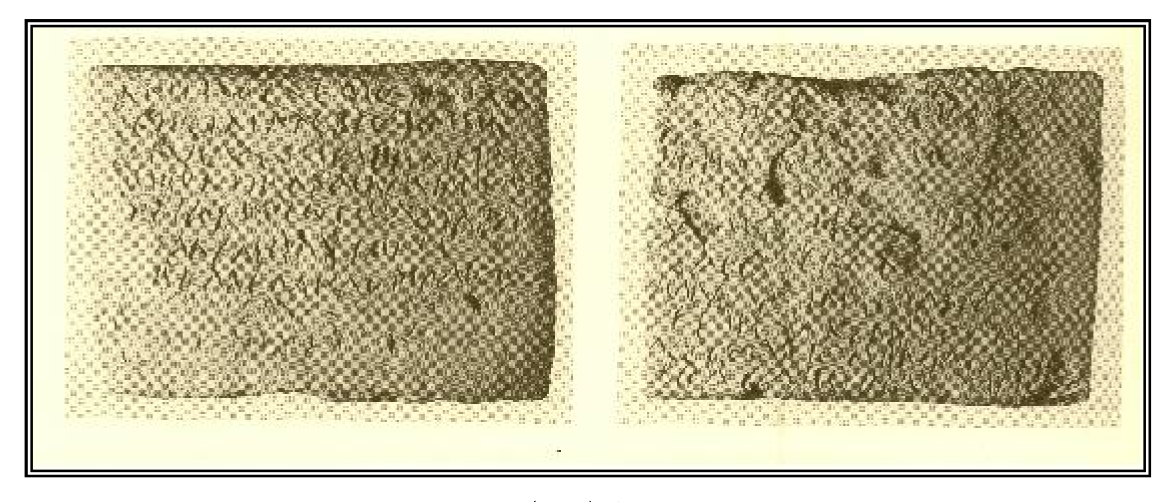
المصدر : Dalley , Stephanie and Reyes , A.T , Op.cit , P. 102.



شكل (١٤)

أ . لوح طيني اكدي بالخط المسماري الاشوري القديم من كول . تبة Kultepe .

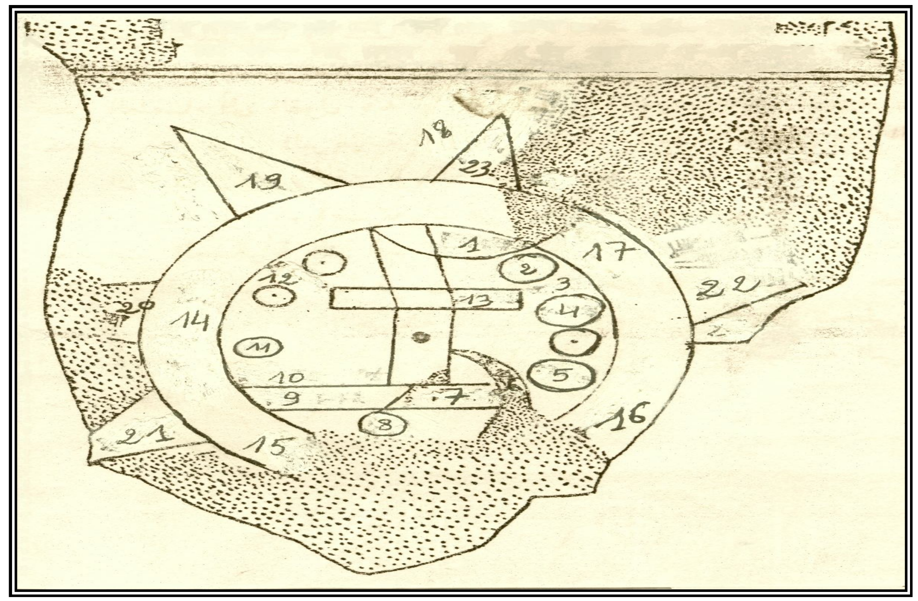
ب. لوح طيني اغريقي مايسينس لخط (A) و (B) من كنوسوس Knossos .



شكل (١٥)

لوح تم النقش على جانبيه بالاغريقية ويعطي حروف صوتية لنص مسماري .

المصدر : Dalley , Stephanie and Reyes , A.T , Op.cit , PP. 88-112 .



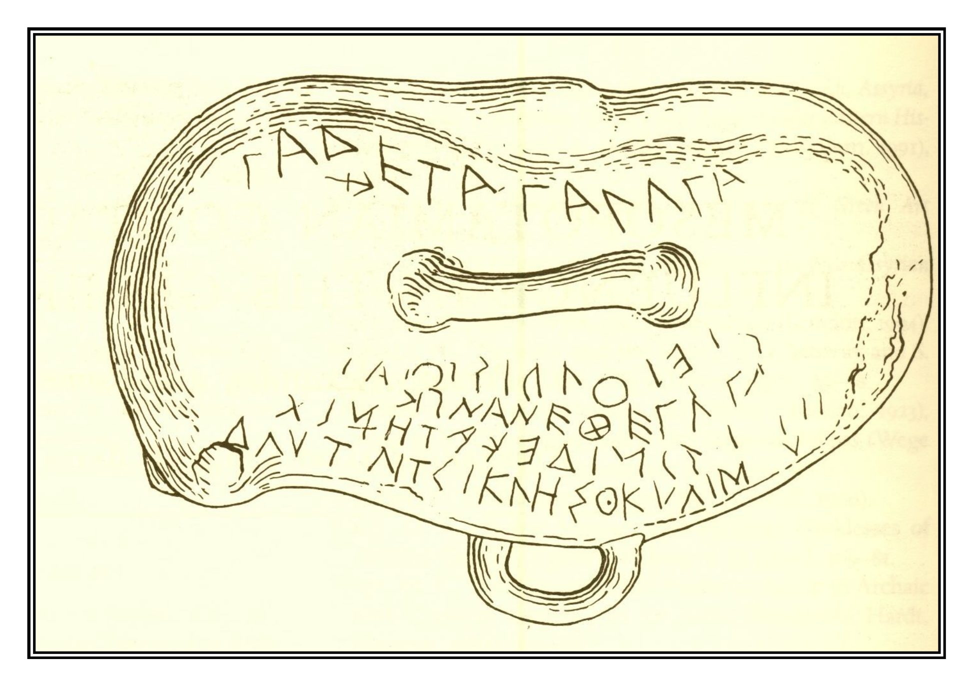
١: جبل
٢: مدينة
٣: اورارتو
٤: اشور
٥: دير
٦: (غير مقروء)
٧: طريق
٨: سوسه
٩: قناة
١٠: بيت ياكين
١١: مدينة
١٢: حابان
١٣: بابل

١٤ : } البحر المالح
:١٥
:١٦
: ١٧
١٨: منطقة (ثلاثة مجاميع حيث لا تشاهد الشمس)
١٩ : منطقة ستة مجاميع بين
٢٠ : غير مقروء
٢١ : غير مقروء
٢٢ : نمطقة ثلاثة مجاميع بين
٢٣ : سور عظيم

شكل (١٦)

خارطة بابلية للعالم من الطين رموزها بالخط المسماري الاكدي عثر عليها في مدينة سبار تل ابي حبة القريب من المسيب جنوب بغداد وهناك جزء منها اكتشف حديثا وهو (الصور العظيم) تمت اضافته ثم تصويرها من الاصل الذي يعود الى حوالي ٧٠٠ ق.م .

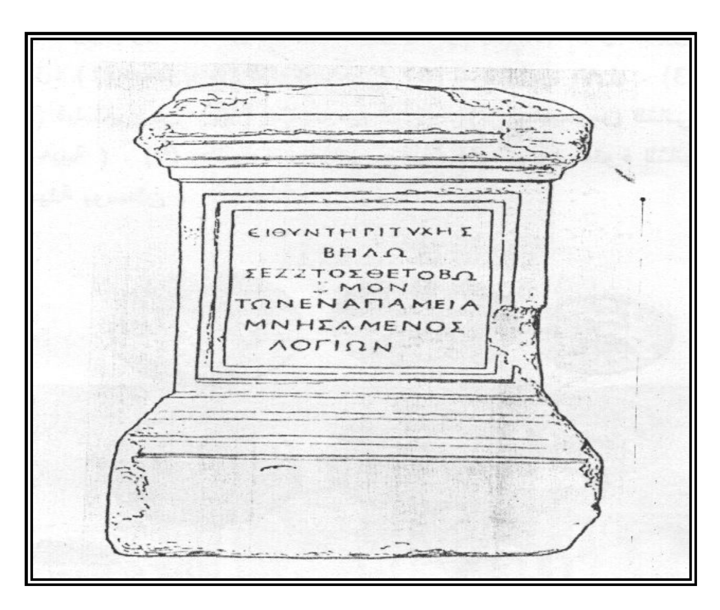
المصدر : Dalley , Stephanie , Op.cit ., P. 177 .



شكل (١٧)

عظم مفصل السلاميات من البرونز مخصص لابولو في ديديما وجدج في سوسة : ارتفاع ٠.٢٣ متر ، والوزن حوالي ٢٠٠ باوند .

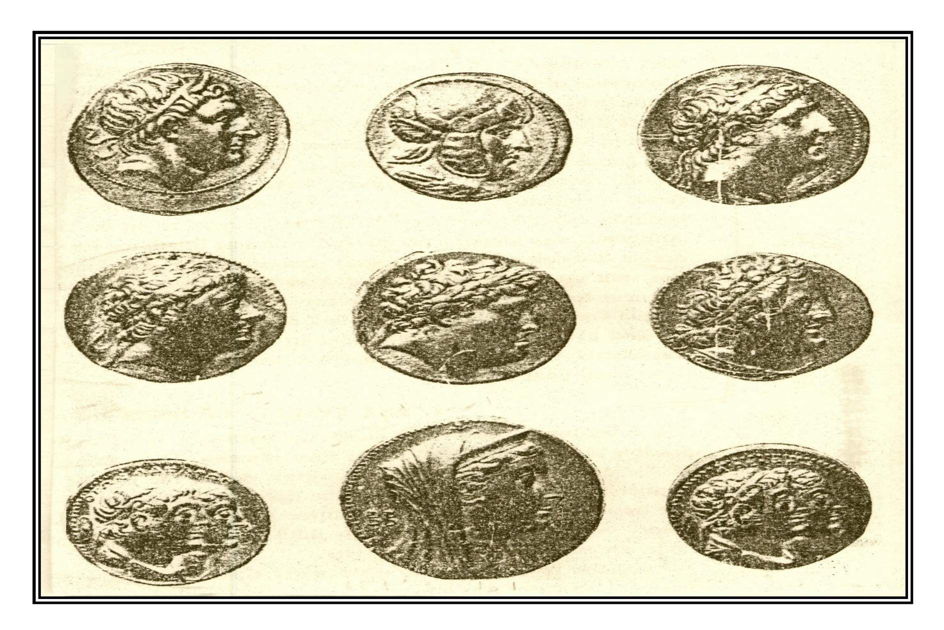
المصدر : Dalley , Stephanie and Reyes , A.T , Op.cit , P. 108 .



شكل (١٨)

مذبح مكرس الى بعل في اباميا وجد في فيزون بفرنسا منقوش عليه بالاغريقية والللاتينية .

المصدر : Dalley , Stephanie and Reyes , A.T , Op.cit , P. 52 .



شكل (١٩)

قطع نقدية فضية تضم صور بارزة لبعض الحكام الذين جاءوا بعد الاسكندر الكبير ، من اليسار الى اليمين ومن الاعلى الى الاسفل: (١) ديمتريوس فيلوكريتس . (٢) سلوقس الاول . (٣) انطيوخس الاول . (٤) انطيوخس الثاني. (٥) فيليتايروس . (٦) بطليموس الاول . (٧) بطليموس الثاني ، فيلاديلفوس وارسنوة الثانية (قطعة بقدية ذهبية). (٩) بطليموس الثاني ، فيلاديلفوس وارسنوة الثانية (قطعة نقدية ذهبية) . في متحف الفنون الجميلة بوسطن .



ج ب أ

شكل (٢٠)

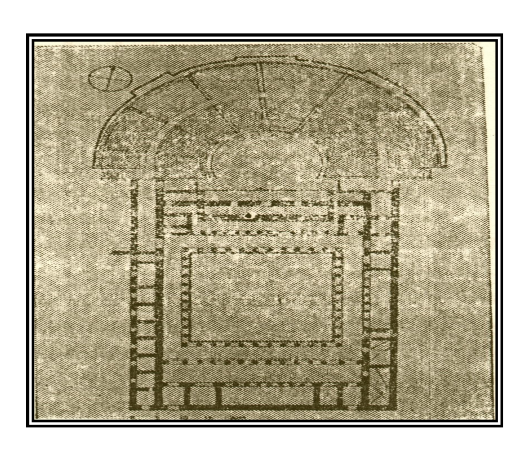
(أ . ب . ج) عملات نقدية تعود الى الفترة السلوقية .

المصدر : Bury , J.B and Others , Op.cit ., PP. 10 – 11 .



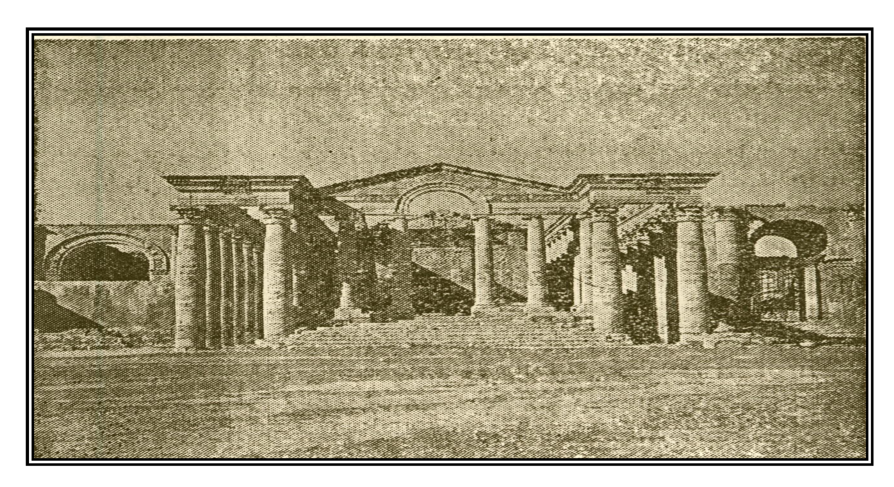
شكل (٢١)

تخطيط مدينة دورا يوروبس (الصالحية) يوضح التخطيط الهيبوديمي .



شكل (٢٢)

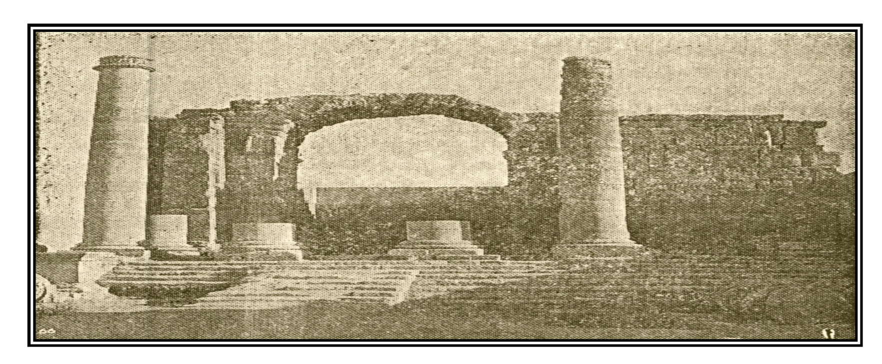
المسرح البابلي .



شكل (٢٣)

معبد مرن الهلنستي

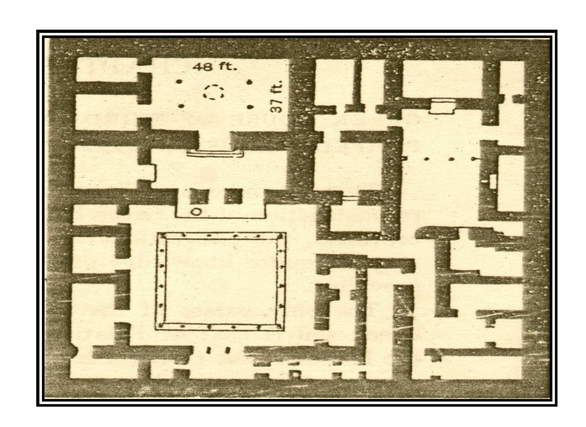
المصدر : الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص ص ٣٥٢ ، ١٩٣ ، ٢٣٦ .



شكل (٢٤)

واجهة معبد شحيرو في مدينة الحضر الذي يعود تاريخه الى الفترة الهلنستية .

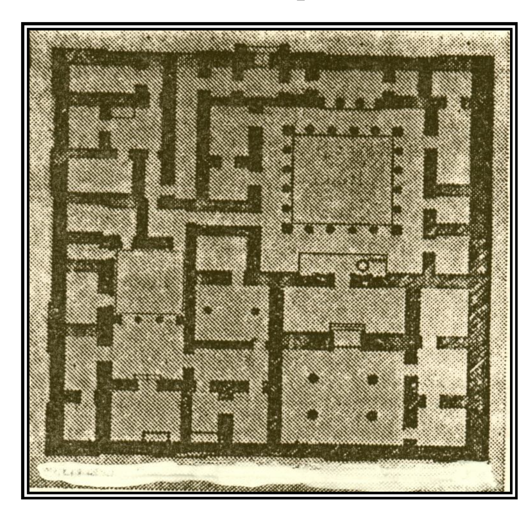
المصدر : الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .



شكل (٢٥)

هذا القصر في مدينة نيبور حيث يعكس النمط الهلنستي في بناء المنازل الاغريقية .

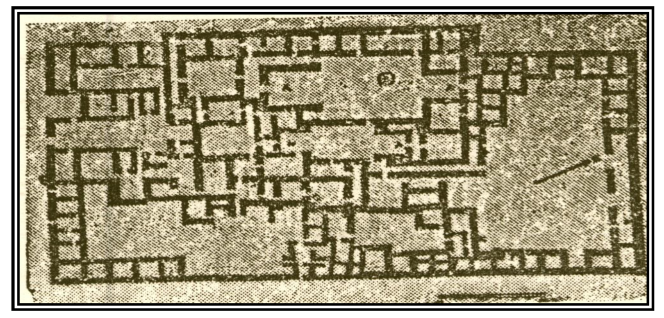
المصدر : **Rider , Bertha , Carr , Op.cit , P.240.**



شكل (٢٦)

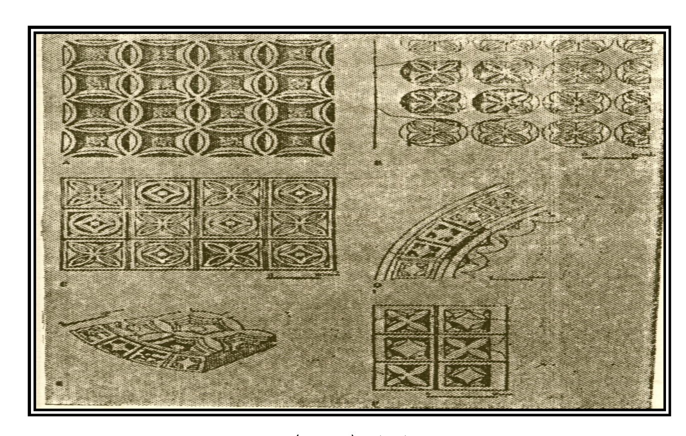
هذا القصر من مدينة نفر وهو الاخر يمثل الطراز الهلنستي

المصدر : الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص٩٥ .



شكل (٢٧)

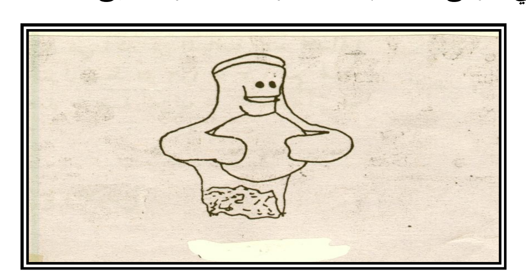
مخطط القصر في سلوقية (وجد في الطبقة الثانية)



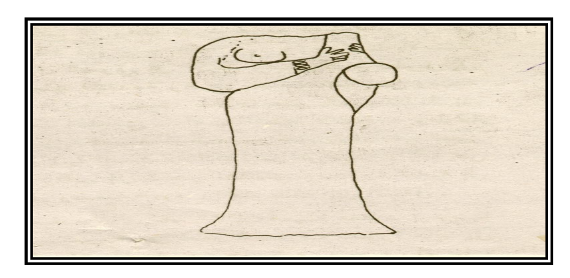
شكل (٢٨)

يبين هذا الشكل الانماط الزخرفية الجصية في مدينة سلوقية على دجلة

المصدر : الصالحي ، واثق اسماعيل ، العمارة ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٤ ، ٢٠٩ .



شكل (٢٩)



شكل (٣٠)

المصدر : رشيد ، صبحي انور ، المصدر السابق ، ص ص ٢١٣ ، ٢٢٦ .

المصادر

أولا : المصادر العربية :

١. ابراهيم ، جابر خليل ، منطقة الموصل في فترة الاحتلال الاجنبي : الاخميني والسلوقي والفرثي ، موسوعة الموصل الحضارية ، مج١ ، ط١ ، جامعة الموصل ، ١٩٩١ .

٢. ابراهيم ، نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الادنى القديم ، حضارة العراق القديم ، ج٢، ط١ ، الاسكندرية ، ١٩٦١ .

٣. ابن ابي اصبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : نزار رضا ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٤. الاحمد ، سامي سعيد ، العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٨ .

٥. ــــ ، حضارات الوطن العربي كخلفية للمدنية اليونانية ، بغداد ، ١٩٨٠ .

٦. ــــ ، المدخل إلى تاريخ العالم القديم ، ج١ ، ق١ ، العراق القديم ، العراق حتى العصر الاكدي ، بغداد ،١٩٧٩ .

٧. ــــ ، المعتقدات في العراق القديم ، بغداد ، ١٩٨٨ .

٨. الاحمد ، عبد الرحيم طه ، تكريت من العهد الاشوري إلى الاحتلال العثماني ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٨ .

٩. احمد ، علي عبد اللطيف ، التاريخ اليوناني (في العصر الهلادي) ، ج١، بيروت ، ١٩٧٦ .

١٠. الاعظمي ، علي ظريف ، تاريخ الدولة اليونانية في العراق ، بغداد ، ١٩٢٠ .

١١. الالوسي ، حسام محي الدين ، بواكير الفلسفة قبل طاليس او من الميثيولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان ، ط٢، ١٩٨٦ .

١٢. اوتس ، جون ، بابل تاريخ مصور ، ترجمة : سمير عبد الرحيم الجلبي ، بغداد ، ١٩٩٠ .

١٣. ايفانز ، ج ، هيرودوت ، ترجمة : امين سلامة ، د.م ، د.ت .

١٤. ايمار ، اندريه ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، ترجمة : فريد ، م ، داغر ، وفؤاد ج ، ابو ريحان ، بيروت ، ١٩٦٤ .

١٥. بارنز ، هادي المر ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ترجمة : محمد عبد الرحمن برج ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

١٦. باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج٢ ، ط١ ، بغداد ، ١٩٥٦ .

١٧. ـ ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ط١ ، بغداد، ١٩٧٣ .
١٨. ـ ، ملحمة كلكامش ، ١٩٧٥ .
١٩. ـ ، من تراثنا اللغوي ، بغداد ، ١٩٨٠ .
٢٠. ـ ، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٠ .
٢١. ـ ، تاريخ ايران القديم ، بغداد ، ١٩٧٩ .
٢٢. بترى ، أ ، مدخل إلى تاريخ الاغريق وادبهم واثارهم ، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، جامعة الموصل ، ١٩٧٧ .
٢٣. بترو ، جون ، الديانة عند البابليين ، ترجمة : وليد الجادر ، ١٩٧٠ .
٢٤. البدري ، عبد اللطيف ، الطب في العراق القديم ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٠ .
٢٥. برستد ، جيمس هنري ، انتصار الحضارة ، تاريخ الشرق الادنى ، ١٩٦٦ .
٢٦. برن ، اندرو روبيرت ، تاريخ اليونان ، ترجمة : توفيق حسين ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩.
٢٧. بهنسي ، عفيف ، الفن عبر التاريخ ، الفن الحديث العالمي ، د-ت .
٢٨. بيقن ، ادون ، مجلة ارض النهرين ، ترجمة : انستاس ماري الكرملي ، بغداد ، ١٩٦١.
٢٩. تارن ، وليم ثروب ، الاسكندر الاكبر ، ترجمة : زكي علي ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
٣٠. تارن ، وليم وثروب ، الحضارة الهلنستية ، ترجمة : عبد العزيز جاويد ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
٣١. توينبي ، ارنولد ، تاريخ البشرية ، ج١ ، ترجمة : نيقولا زيادة ، بيروت ، ١٩٨١ .
٣٢. توينبي ، ارنولد ، تاريخ الحضارة الهيلينية ، ترجمة : رمزي عبده جرجس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
٣٣. الجابري ، علي حسين ، الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان، بغداد ، ١٩٨٥ .
٣٤. جان ، توشان واخرون ، تاريخ الفكر السياسي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨١ .
٣٥. جلال ، مظهر ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، بيروت ، ١٩٦٧ .
٣٦. جماعة من علماء الاثار السوفييت ، العراق القديم ، دراسة تحليلية لاحواله الاقتصادية والاجتماعية ، ط٢ ، ترجمة : سليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٦ .
٣٧. جواد ، حسن فاضل ، حكمة الكلدانيين ، نضج الحضارة وفكرها ، ق٢ ، ط١ ، بغداد،٢٠٠١ .
٣٨. جودي ، محمد حسين ، تاريخ الفن العراقي القديم ، ج١ ، بغداد ، ١٩٧٤ .
٣٩. الحفناوي ، عبد المجيد محمد ، تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية ، القاهرة ، د-ت .

٤٠. الدباغ ، تقي ، الفكر الديني القديم ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٨ .

٤١. دواني ، جالانقيل ، انطاكية القديمة ، ترجمة : ابراهيم نصعي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٤٢. ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ، حياة اليونان ، مج٢ ، ج٢ ، ترجمة : محمد بدران ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٤٣. ــــ ، قصة الحضارة ، الشرق الادنى ، مج١، ج٢ ، ترجمة : محمد بدران ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٤٤. الراوي ، فاروق ناصر ، العلوم والمعارف ، حضارة العراق ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٥.

٤٥. رستم ، اسد ، تاريخ اليونان (من فيليبيوس المقدوني إلى الفتح الروماني) ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٤٦. رشيد ، صبحي انور ، تاريخ الالات الموسيقية في العراق القديم ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٤٧. رشيد فوزي ، سرجون الاكدي ، بغداد ، ١٩٩٠ .

٤٨. ـ ، الشرائع العراقية القديمة ، ط٣ ، بغداد ، ١٩٨٧ .

٤٩. رو ، جورج ، العراق القديم ، ترجمة : حسين علوان حسين ، بغداد ، ١٩٨٤ .

٥٠. روثن ، مارغريت ، تاريخ بابل ، ط١ ، ترجمة : زينة عازار وميشال ابي فاضل ، ط١، بيروت ، ١٩٧٥ .

٥١. ــ ، علوم البابليين ، ترجمة : يوسف حبي ، بغداد ، ١٩٨٠ .

٥٢. ريتشكارد ، جيمس ، اساطير بابلية ، ترجمة : سلمان التكريتي ، النجف الاشرف ، ١٩٧٢ .

٥٣. زناتي ، محمود سلامة ، النظم الاجتماعية في بلاد النهرين وعند العرب قبل الاسلام ، ١٩٨٦ .

٥٤. سارتون ، جورج ، تاريخ العلم "العلم القديم في العصر الذهبي لليونان" ، ج٣ ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٥٥. ــ ، تاريخ العلم ، "العلم القديم في العصر الذهبي لليونان" ، ج٣ ، ترجمة : لفيف من العلماء ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٥٦. ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٧٩ .

٥٧. سرقس ، بحرجي ديمتري ، تاريخ اليونان ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٦ .

٥٨. سعيد ، مؤيد ، العراق خلال عصور الاحتلال الاخميني ، السلوقي ، الفارثي ، الساساني، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ .

٥٩. سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم ، ج١ ، موصل ، ١٩٩٢ .

٦٠. ــ ، العراق في التاريخ القديم ، ج٢ ، الموصل ، ١٩٩٣ .
٦١. ــ ، القانون في العراق القديم ، ط١ ، الموصل ، ١٩٧٧ .
٦٢. ــ ، والفتيان احمد مالك ، محاضرات في التاريخ القديم ، بغداد ، د.ت .
٦٣. ــ ، وعلي فاضل عبد الواحد ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، جامعة الموصل ، ١٩٧٩ .
٦٤. السيد ، مظفر الدين ، التاريخ الجغرافي للقران الكريم ، ترجمة : عبد الشافي غنيم عبد القادر ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
٦٥. سيف الدولة ، عصمت ، نظرية الثورة العربية ، الاسس ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٩ .
٦٦. شمار ، جورج بوييه ، المسؤولية الجزائية في الاداب الاشورية والبابلية ، ترجمة : سليم الصويص ، بغداد ، ١٩٨١ .
٦٧. الشيخ ، حسين ، اليونان ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ .
٦٨. الشيخلي ، عبد القادر عبد الجبار ، المدخل في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ١٩٩٠.
٦٩. صالح ، محمد صبري ، المسرح العراقي القديم ، بغداد ، ١٩٨٥ .
٧٠. صبحي ، احمد محمود ، في فلسفة الحضارة ، الحضارة الاغريقية ، كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، د–ت .
٧١. طراد ، نجيب ابراهيم ، تاريخ الدولة المقدونية والممالك التي انفصلت عنها ، بيروت، ١٨٨٦ .
٧٢. الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم ، ج٢ ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٦.
٧٣. العابد ، مفيد رائد ، دراسات في تاريخ الاغريق ، دمشق ، ١٩٨٠.
٧٤. علام ، نعمت اسماعيل ، فنون الشرق الاوسط من الغزو الاغريقي حتى فتح الاسلامي، مصر ، د–ت .
٧٥. عبد الحق ، سليم عادل ، الفن الاغريقي واثاره المشهورة في الشرق ، ١٩٥٠ .
٧٦. عبو ، عادل نجم ، ومحمد ، عبد المنعم رشاد ، اليونان والرومان ، دراسة في التاريخ والحضارة ، الموصل ، ١٩٩٣ .
٧٧. العسلي ، بسام ، الاسكندر الاكبر المقدوني (٣٥٦–٣٢٣ق.م) ط١ ، ١٩٨٠ .
٧٨. عكاشة علي واخرون ، اليونان والرومان ، ط١ ، اربد ، ١٩٩١ .
٧٩. العلي ، صالح احمد ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ .
٨٠. عياد ، محمود كامل ، تاريخ اليونان ، ج١ ، دمشق ، ١٩٦٩ .
٨١. غانم ، محمد صالح ، الفكر السياسي القديم والوسيط ، بغداد ، د.ت .

٨٢. غزالة ، هديب ، الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ق.م) ، ط١ ، دمشق ، ٢٠٠١ .

٨٣. علي ، فاضل عبد الواحد ، من الواح سومر إلى التوراة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٩ .

٨٤. فرنر ، شارل ، الفلسفة اليونانية ، ترجمة : تيسير شيخ الأرض ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٨٥. فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٨٦. فضيل ، عبد خليل وابراهيم عبد الجبار المشهداني ، الفكر الجغرافي ، جامعة بغداد ، د-ت .

٨٧. فهمي ، محمود ، تاريخ اليونان ، ط١ ، ١٩١٠ .

٨٨. القسوس ، نايف ، نشاة النقود وتطورها ، البنك العربي ، ط١ ، ١٩٩٨ .

٨٩. كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ط١ ، بيروت ،١٩٧٧ .

٩٠. كريشن ، فرينز ، عجائب الدنيا في عمارة بابل ، ط١ ، تعريب : صبحي انور رشيد ، بغداد ، ١٩٧٦ .

٩١. كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد اشور ، ترجمة وتعليق : سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٩٢. كييرا ، ادوارد ، كتبوا على الطين ، ترجمة وتعليق محمود حسين الامين ، ١٩٦٢ .

٩٣. لامب ، هارولد ، الاسكندر المقدوني ، ترجمة : عبد الجبار المطلبي ومحمد ناصر الصانع ، بغداد ، ١٩٦٥ .

٩٤. لانجار ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج١ ، ترجمة : محمد مصطفى زيادة ، القاهرة، د.ت .

٩٥. لطفي ، عبد الوهاب يحيى ، اليونان ، مقدمة في التاريخ الحضاري ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٩٦. لوبون ، غوستاف ، حضارة بابل واشور ، ط١ ، ترجمة : محمود خيرت المحامي ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٩٧. لوكاس ، كرستوفر ، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، الموسوعة الصغيرة ، ترجمة : يوسف عبد المسيح ثروة ، عدد ٦١ ، بغداد ، ١٩٨٠ .

٩٨. محمد ، عبد القادر محمد ، الساميون في العصور القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٩٩. مصطفى ، صالح لمعي ، عمارة الحضارات القديمة ، المصرية ، ما بين النهرين ، اليونانية ، الرومانية ، بيروت ، ١٩٧٩ .

١٠٠. الناصري ، سيد احمد علي ، الاغريق تاريخهم وحضارتهم (من عصر البرونز حتى امبراطورية الاسكندر) ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

١٠١. نصحي ، ابراهيم ، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة ، مصر ، ١٩٥٩ .

١٠٢. النعيمي ، راجحة ، الاعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين ، بغداد ،١٩٧١ .

١٠٣. النعيمي ، محمد طلعت ، الاحكام العامة في قانون الامم ، دراسة في كل من الفكر الغربي ، والاشتراكي والاسلامي ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ .
١٠٤. النيهوم ، الصادق واخرون ، مسيرة الحضارة ، بهجت المعرفة ، موسوعة علمية مصورة ، مج١ ، المجموعة الثانية ، طرابلس ، ١٩٨٢ .
١٠٥. الهاشمي ، تغريد جعفر ، وعكلا حسن حسين ، الانسان ، تجليات الازمنة ، تاريخ وحضارة ... بلاد الرافدين / الجزيرة السورية ، ط١ ، دمشق ، ٢٠٠١ .
١٠٦. هايتس ، لينسن فالتر اندريه ، اشور المدينة الهلنستية ، ترجمة : عبد الرزاق كامل حسن ، بغداد ، ١٩٩٧ .

ثانيا : الدوريات

١٠٧. الاحمد ، سامي سعيد ، "كتابة التاريخ عند الاشوريين في العصر السرجوني (٧٤٧-٦١٢ ق.م) ، سومر ، عدد١-٢ ، بغداد ، ١٩٦٩ .
١٠٨. ـــ ، "المستعمرة الاشورية في اسيا الصغرى" ، سومر ، ١٩٧٧ .
١٠٩. ـــ ، الاستشراق ، بغداد ، ١٩٩١ .
١١٠. اريان ، "ايام الاسكندر الكبير في العراق" ، ترجمة : فؤاد جميل ، سومر ، مج١-٢ ، ج١-٢ ، بغداد ، ١٩٦٥ .
١١١. اسعد ، سالم ، "التكوين في ميثيولوجيا الشعوب القديمة" ، بين النهرين ، مج٦ ، عدد٢٤ ، الدار الوطنية للنشر ، الموصل ، ١٩٧٨ .
١١٢. اسماعيل ، خالد سالم ، "حساب المرتبة العددية في رياضيات العراق القديم" ، مجلة اداب الرافدين ، عدد ٣٢ ، ١٩٩٩ .
١١٣. الاعسم ، باسم ، "اثر الاسطورة في النشاط التمثيلي عند العراقيين القدماء" ، افاق عربية ، عدد ٥-٦ ، ١٩٩٩ .
١١٤. باقر ، طه ، "لمحات من تراث حضارة وادي الرافدين في الحضارة اليونانية" ، بين النهرين ، عدد ٢٩ ، الموصل ، ١٩٨٠ .
١١٥. ـــ ، "الشرائع والتنظيمات القانونية ، في حضارة وادي الرافدين" ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٢٧ ، ١٩٧٦ .
١١٦. الجادر ، وليد ، "من مراكز المعرفة في العراق القديم (مدينة سبار)" ، بين النهرين ، عدد ٦٧ ، بغداد ، ١٩٨٩ .
١١٧. حبة ، فرج ، "الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم" ، سومر ، مج٢٥ ، ج١-٢ ، بغداد ، ١٩٦٩ .
١١٨. حبي ، يوسف ، "اسطورة التنين السومرية وامتدادها عبر العصور" ، مجلة التراث الشعبي ، عدد٥ ، بغداد ، ١٩٩٧ .
١١٩. ـــ ، "اسطورة التنين واثرها في الحضارات العالمية" ، سومر ، ج١-٢ ، عدد ٥٨ ، ١٩٨٥ .
١٢٠. ـــ ، "اصالة حضارة وادي الرافدين واثرها في الحضارات العالمية" ، افاق عربية ، عدد ٧-٩ ، بغداد ، ١٩٨١ .
١٢١. ـــ ، "الفكر والعلم بدء في وادي الرافدين" ، بين النهرين ، العددان ٣٧-٣٨ ، الموصل ، ١٩٨٢ .

١٢٢. الدباغ ، تقي ، "تاثير حضارات الوطن العربي في الحضارة اليونانية في العصر الهيليني في الدين" ، بين النهرين ، عدد ٦٨ ، ١٩٨٩ .

١٢٣. الراضي ، ابتهاج عمر طاهر ، "التاثير العراقي القديم في الاساطير اليونانية –الروماني" ، مجلة التراث الشعبي ، عدد ٨-٩ ، بغداد ، ١٩٧٥ .

١٢٤. زينفون ، "زينفون وحملة العشرة الاف اغريقي" ، ترجمة : فؤاد جميل ، سومر ، ١٩٦٤.

١٢٥. س ، هـ ، ج ، "دور الثقافة الجماهيرية" ، مجلة الطليعة الادبية ،عدد ٥-٧ ١٩٧٦.

١٢٦. الصالحي ، واثق اسماعيل ، "الاله نبو في الحضر" ، سومر ، مج٤١ ، ج١-٢ ، بغداد، ١٩٨٥ .

١٢٧. ــــ ، "العمارة في العصر السلوقي" ، حضارة العراق ، ج٣ ، بغداد ، ١٩٨٥ .

١٢٨. ــــ ، "المدينة منذ العصر السلوقي حتى ظهور الاسلام" ، حضارة العراق ، ج٣ ، بغداد ، ١٩٨٥ .

١٢٩. ــــ ، "المعتقدات الدينية في فترة الاحتلال الاخميلي والسلوقي والفرثي" ، موسوعة الموصل الحضارية ، مج ١ ، ط١ ، جامعة الموصل .

١٣٠. عبد الله ، محسن احمد ، "علم الفلك في العراق القديم واثرها على الحضارة الاغريقية" ، افاق عربية ، عدد ٥ ، بغداد ، ٢٠٠١ .

١٣١. عبد الله الشمس ، ماجد ، اعياد الربيع في العراق القديم و (اصل النوروز) ، بغداد ٢٠٠٠ .

١٣٢. عبو ، عادل نجم ، "علوم العراق القديم واثرها على الحضارة الاغريقية" ، اداب الرافدين، الموصل ، ١٩٩٤ .

١٣٣. علي ، فاضل عبد الواحد ، "تموز واعياد الخصب عند السومريين" ، افاق عربية ، عدد ٧-٨ ، ١٩٩٩ .

١٣٤. ــــ ، "مجلة الاقلام" ، عدد٦ ، جمهورية العراق ، ١٩٩٩ .

١٣٥. علي ، محمد سعيد محمد ، "المسرح الاغريقي" ،سومر ، مج٣٥ ، ج١-٢ .

١٣٦. كرومي ، كيورك مرزينا ، "ملامح في الفكر العراقي القديم" ، اداب الرافدين ، عدد٩، جامعة الموصل ، ١٩٧٨ .

١٣٧. لابات ، رينيه ، "الطب البابلي والاشوري" ، ترجمة : وليد الجادر ، سومر ، ٢٤ ، ج١، بغداد ، ١٩٨٦ .

١٣٨. الواسطي ، سلمان داؤد ، "ملحمة كلكامش العراقية ودورها الرائد في ادب الملاحم العالمي" ، مجلة اداب المستنصرية ، مج٨ ، عدد٨ ، ١٩٨٤ .

١٣٩. ليفي ، مارتن ، "النحاس والبرونز في بلاد ما بين النهرين" ، ترجمة : خليل كمال ، مجلة النفط والتنمية ، مج٦ ، عدد ٦–٨ ، ١٩٨١ .

١٤٠. مهدي ، محمد علي ، "الملاحم والاساطير في العراق القديم" ، افاق عربية ، عدد١٢ ، ١٩٨٦ .

١٤١. الهاشمي ، رضا جواد ، "السمات العامة للتشريع في العراق القديم واتجاهه" ، بين النهرين ، عدد ٦٩–٧٠ ، الموصل ، ١٩٩٠ .

ثالثا : الرسائل والاطاريح الجامعية

١٤٢. حمود ، حسين ظاهر ، التجارة في العصر البابلي القديم ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩٥ .

١٤٣. الزرقي ، محسن احمد ، اصالة العلوم البحتة التطبيقية في بلاد وادي الرافدين وتأثيرها على بلاد اليونان ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامة الموصل ، ١٩٩٧.

١٤٤. الطائي ، ابتهال ، اصالة الحضارة العراقية القديمة واثرها في الحضارات الاخرى في مجال العلوم الانسانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩٦ .

١٤٥. موسى ، مريم عمران ، دمى هلنستية من بابل في ضوء تنقيبات التل الشرقي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ .

Books :

1. Astour , Micheel C. Helleno semitica , Leiden , 1965 .
2. Bar-Kochva , Belalel , The Seleuide Army , London , 1976 .
3. Betten , Francis , S. The Ancient World , Part one , from The earliest times to 800 AD , Newyork .
4. Beavan , Edwyan , Robert , The House of Seleucus . VoL I London, 1966
5. Biedeer , Margret , The Sculpture of The Hellenistic Age , Newyork . 1965 .
6. Boardman and others , The Oxford History of the Classical Word , Oxford , 1989 .
7. Bostford , Gorge , Willis , A History of the Ancient World , Newyork, 1921 .
8. Brehier Emile , The Hellenistic and Roman Age , Translated by Wade Baskin , Chicago , 1965 .
9. Bury , J. B , A History of Greece to the Death of Alexander The Great, London , 1959 .
10. Cal Dweel, Wallage, Event, The Ancient World, vol. I. Newyork, 1959.
11. Cary, M, And Litt, M, A.D, A History of the Greek Word , from 323 to 146 B.C, London , 1951 .
12. Dalley, Stephanie, The Legacy of Mesopotamia, Oxford, 1998.
13. Dalley, Stephanie and A.T Reyes, Mesopotamian contact and influence in the Greek world to the persion conquest, the legacy of Mesopotamia Oxford, 1998.
14. Diamond, A , S , LLD , The History And Origin of Language , London , 1959 .
15. Dampier, William , Gegil , A History of Science , Cambridge , 1966 .

16. Downey , Susan , The Stone and Platersculpture Excavation at Duva-eupos , California , 1977 .

17. Dringer , D , Writing , London , 1962 .

18. Furon , Raymond , Liran , Perse et Afghanistan , Paris , 1951 .

19. Fyfe , Theodore , Hellenistic Architecture , Cambridge , 1936 .

20. Ghotz , Gustave , Ancient Greece At Work , London, 1926 .

21. Graves , Robert , The Greek Myths , vol. 2 , London, 1967 .

22. Haddas , Moses , Hellenistic Culture “Fusion and Diffusion” , London , 1959 .

23. Hamniond , A.S , LL , D , The History and Origin of Language , London , 1959 .

24. Harris , G.R , The Legacy of Egypt , Oxford , 1971 .

25. Hayood , Richard , Mansfield , Ancient Greece and the Near East , Newyork , 1921 .

26. Hggins , R.N , Greek Terracottas , London , 1976 .

27. Hilpercht , H.V , The Babylonian Expedition of The University of Pennsylvania Series , A , Cuneiform texts , vol. X , Business Documents of Murashu sons of Nipur (Darius II , 424 – 404 B.C) .

28. Hoggarth , D.g , The Ancient east , Londone , 1945 .

29. Joaneset Charpin, D. La Circulation Des Biens Des Presonnes et des idees dans le Proche Oarient , Paris , 1992 .

30. Jones , A , H , M.D , DLL , D , The Greek City From Alexander to Justinian , Oxford , 1933 .

31. Macqueen , James , G , Babylon, 1964 .

32. McDwell , Report , Harbold , coins From Seleucid on The Tigris , Michigan , 1935 .

33. More , F , J , A History of Chemistry , USA , 1939 .

34. O’leary , D.D , Deley , How Greek Science passed to the ARABS , London .

35. Oates , David , Studies in the Ancient history of northern, London, 1968 .

36. PinGree, Daivid, “The Legacies in Astronomy and Clestial Omens” , The Legacy of Mesopotamia, Oxford , 1998 .

37. Pritchard , James , Ancient Near Eastern Texts USA , 1969 .

38. Rider , Berth acarr , Ancient Greek Houses , Their History and Development from the Neolithic Period to the Hellenistic age , Chicago , 1959 .

39. Robinson , Charles , Alexander , Ancient History from Prehistory times to the Depth of Justinian , Newyork , 1958 .

40. Rostovtzeff , M , The Social and Economic History of the Hellenistic Word , vol. I , Oxford , 1967 .

41. Rostovtzeff , M. vol. II , 1967 .

42. Sartone , George , Introduction to the History of Science , USA , 1945 .

43. Singer , Charles , The Medicine in Legacy of Greece , Oxford , 1962 .

44. Sollberg , E , The Babylonian , Legend of The Flood ,London , 1971 .

Periodicals :

45. Friberg , J , on the Big , "Place tabbles of Reciprocales and squares from seleucid Babylon and Uruk and their Old Baby lonian Sumerian predecessors" , Sumer , vol. XLII , 19 , N4-2 .

46. Hunger , Herman , "The spread of Mesopotamian exact science in to the Hellenistic word" , Sumer , vol. XLII , No. 1-2 , 1979 .

47. KAHN , Charles , H . "on early Greek Astronomy" , Journal of Hellenistic Studies , vol. XC , 1970 .

48. Kyrala , A , "Speculations on Babylonion Telescopes Planetary , Distances and size" , Sumer , vol. 28 , No. 1-2 , 1972 .

49. McDwell , R.H , "Preliminary Report upon The Excavation at Tel - Umar" , IRAQ , Lcroy- waterman , Michigan Press , 1931 .

50. McEwan , Gilbert , J.p "Priest and Temple in Hellanstic Babylonion" Orientalische Literateur , Zetung , Berlin , 1979 , 1984 .

51. Neugebauer , "The History of Ancient Astronomy" in Journal, of Ancient , Near – East Texts , IV , 1944 .

Abstract

The period between (331-126 B.C) is regarded as the longest critical and exceptional period in the life of the people of Mesopotamia. It is a critical because it is a period of occupation and hegemony and exceptional because Mesopotamia is, for the first time in the history of Iraq, facing an invasion came from the European West through Greeks who invaded and controlled Mesopotamia completely, so our research is of a great importance because it focuses mainly on the nature and details this period. Alexander controlled Mesopotamia and when his successors came after him they divided it into many parts and it is distributed among them. Iraq was put under the control of the first Seleucis. In this period the Iraqi ancient civilization is mixed with the Geek's so a new civilization appeared which is called the Hellenistic civilization. In spite of the difficulties we faced during the study we tried to highlight the nature of this period. Our study concentrated heavily on two important parts. The first one is political and we talked about the reasons of the Greek invasion of Mesopotamia and the future of the Alexander Empire after his death and the importance of Babylon and its role with regard Greeks. The second one is cultural and we talked in some details about the ways of transforming the civilization of the ancient Iraq to Greeks and its influence in the in the fields of sciences, knowledge and humanities. At the same time we made clear the influences of the Hellenic civilization on Mesopotamia one. According to what has been mentioned so far we can came with important conclusions.

1- The Greek invasion is a first stage of continuous Western Invasion on Mesopotamia in the current time.

2- The conflict between the East and West is cultural and all cultural meanings are embodied on it.

3- The ambitions of the colonial West in the rich East represents a continuous phenomenon during the history and the start of its services may be with the advent of Greek invasion.

4- When the Western countries face bad domestic circumstances or critical economical crises they try to come to the East and make it their vital space and Alexander made use of this.

5- After the death of Alexander, Mesopotamia became a fierce battlefield among his three leaders about the distribution the influence areas.

6- The Hellenistic stage resulted in mixing the eastern civilization with the Western's specially the Mesopotamia one.

7- The Mesopotamia civilization influenced greatly the Greek one and this includes different fields specially sciences, knowledge and humanities and vice versa.